الأزهر
ودوره فى الممالك الإسلامية
فى أفريقيا

عثمان ، عبد النعيم ضيفى .
الأزهر ودوره في الممالك الإسلامية
في أفريقيا في الفترة من ٦٤٨-١٣٣٠هـ/
١٢٥٠ - ١٩١٢م / تأليف عبد النعيم
ضيفى عثمان . -- القاهرة : دار الرشاد
للنشر والتوزيع ، ٢٠١٣ .
٢٧٢ ص ؛ ١٧×٢٤ سم .
تدمك : ٧-١٤٦-٣٦٤-٩٧٧-٩٧٨
١- الأزهر (جامع)
أ- العنوان ٢١٥,٩٦٢١٦

الناشـــــــر: **دار الرشـاد**
العنـــــــوان: ١٤ شارع جواد حسنى – القاهرة
تليفـــــــون: ٢٣٩٣٤٦٠٥
بريد إلكترونى : Dar_ alrashad@hotmail.com
رقـم الإيـداع : ١١٨٧٣ / ٢٠١٣/٦/٦م
الطبـــــــع : **عربية للطباعة والنشر**
العنـــــــوان : ٧ ، ١٠ ش السلام – أرض اللواء - المهندسين
تليفـــــــون: ٣٣٢٥٦٠٩٨ - ٣٣٢٥١٠٤٣

جميع حقوق الطبع والنشر وحفوظة

الطبعـة الأولى : ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م
الغـلاف للفنـان : **عبادة الزهيرى**
مـــراجعـــة : **عادل أبو المعاطي**

الأزهر
ودوره في الممالك الإسلامية في أفريقيا

في الفترة من

(٦٤٨ - ١٣٣٠ هـ / ١٢٥٠ - ١٩١٢ م)

تاليف

دكتور / عبدالنعيم ضيفي عثمان

دكتوراة التاريخ الإسلامي / جامعة القاهرة

دار الرشاد

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقـــدمـــة

الحمد لله الذي عرَّف وفهَّم ، وعلَّم الإنسان ما لم يكن يعلم ، وأسبغ على عباده نعماً ظاهرة وباطنة ، ووالى عليهم من مزيد آلائه مناً متظافرة متواترة . وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله ونبيه، وبعد.

بهذه المقدمة من المقريزي من كتاب إغاثة الأمة نستهل هذا الكتاب الذي يعالج دور الأزهر في الممالك الإسلامية في أفريقيا في الفترة من (648 – 1330هـ/ 1250 – 1912م) ذلك أن كثيراً ممن عالجوا تاريخ الجامع الأزهر اقتصروا على علاج دوره في الحياة الثقافية في مصر دون التعرض لدوره في بقية الممالك الإسلامية في أفريقيا وخصوصاً في عصر سلاطين المماليك وما بعده ، وهو العصر الذي شهد فيه الأزهر ازدهاراً كبيراً. وأسباب اختيار هذه الفترة أنها قد شهدت اتصالاً بين مصر وأفريقيا وازدهرت العلاقات بينهما.

لذلك واجهتنا العديد من الصعوبات في إنجاز هذه الدراسة، فمنها أن ما كُتِب عن دور الأزهر في هذه الممالك الأفريقية لم يتجاوز إشارات متناثرة هنا وهناك . كما أن البحث عن حياة العلماء الأزهريين تعتريه صعوبة العثور على معلومات وافية عن الحياة الخاصة لهؤلاء العلماء ، ثم إن هناك سؤالاً برز أمامنا وهو : من هو الأزهري ؟ ومن يمكن أن يُنعت بهذه الصفة ويُنسب إلى الأزهر؟ وقد اعتبر الباحث كل من تلقى العلم في الأزهر أو درس على شيوخه وبين جدرانه أو أجيز من علمائه أو تعلم من كتبه عالماً أزهرياً.

وقد قُسِّم هذا الكتاب إلى مقدمة وخمسة فصول، أما **المقدمة** فهي دراسة تمهيدية عن الأزهر في عصر الفاطميين والأيوبيين والمماليك ، والأزهر بعد عصر المماليك . تم الحديث فيها عن نشأة الجامع الأزهر في عام 361هـ/ 972م في عهد الفاطميين ، والأيوبيين ، والمماليك وتناولت الدراسة كذلك نشاط التدريس والحياة العلمية في الأزهر في تلك الحقبة وصحب ذلك كله الاهتمام بعمارة الأزهر وحبس الأوقاف عليه للإنفاق من ريعها على الجامع الأزهر، وصحب ذلك إلقاء الأضواء على مكانة العلماء في هذه العصور

من حيث مظاهر تكريمهم وأشهرهم ومؤلفاتهم التي ألَّفوها بالإضافة إلى موضوعات الدراسة ومناهجها بالأزهر في هذه العصور.

و**الفصل الأول** وعنوانه (ملامح الحياة العلمية في الأزهر) يتكون من أربع نقاط وهي تحويل الجامع للدراسة في عصر الفاطميين . والنقطة الثانية هي الحياة العلمية في عصر الأيوبيين . والنقطة الثالثة تتحدث عن الحياة العلمية في عصر المماليك . أما النقطة الرابعة والأخيرة فموضوعها الحياة العلمية بعد عصر المماليك .

و**الفصل الثاني** عنوانه (الدور الديني للأزهر في أفريقيا) فيتكون من ثمان نقاط وهي أهم الممالك التي ظهر فيها دور الأزهر . ودور الأزهر الديني في الممالك الإسلامية. والنقطة الثالثة تتحدث عن نشر الإسلام في القارة . والرابعة تتحدث عن تصحيح المفاهيم الدينية وغرس قواعد الدين . أما النقطة الخامسة فموضوعها إرسال الكتب الدينية والمصاحف الشريفة . والنقطة السادسة هي تأهيل القضاة وعلماء الدين الأفارقة . والنقطة السابعة موضوعها المساهمة في إنشاء العمائر الدينية . أما النقطة الثامنة والأخيرة فتتحدث عن دور الأزهر الديني بعد عصر المماليك .

و**الفصل الثالث** يتناول (الدور العلمي والتعليمي للأزهر في أفريقيا) ، ويتكون من عشر نقاط وهي استقبال الدارسين من طلبة العلم والعلماء ، وإنشاء الأروقة اللازمة لإقامتهم بالمجان ، والأوقاف التي كانت تُخصص للإنفاق عليهم ، والعلوم التي كانوا يدرسونها ، وتأثرهم وتأثيرهم في الحياة المصرية ، وإرسال بعض علماء الأزهر المصريين لأنحاء القارة ، والمساهمة في إنشاء المؤسسات التعليمية ، والحفاظ على الهوية العربية الإسلامية ، أما النقطة التاسعة فتناولت أسباب بروز دور الأزهر عن نظائره من الجوامع الأخرى . والنقطة الأخيرة تتحدث عن دور الأزهر في أفريقيا بعد عصر المماليك .

أما بخصوص **الفصل الرابع** وهو تحت عنوان (الدور الاجتماعي للأزهر في أفريقيا) فيتكون من خمس نقاط وهي المشاركة في الاحتفالات الدينية ، والمساهمة في مقاومة

البدع والخرافات والأمراض الاجتماعية ، والنقطة الثالثة تتناول دور الأزهر في تطوير أساليب الحياة اليومية . وبخصوص النقطة الرابعة فتتحدث عن علاقة العلماء الأزهريين بالطبقات الاجتماعية . أما النقطة الخامسة فموضوعها هو دور الأزهر الاجتماعي بعد عصر المماليك .

أما **الفصل الخامس** والأخير فيأتي تحت عنوان (الدور السياسي للأزهر في أفريقيا) ويتكون من ست نقاط ، وأول هذه النقاط هي موقع العلماء الأزهريين من السلطة والحكم في أفريقيا في بلدان القارة المسلمة . والنقطة الثانية هي علاقة العلماء الأزهريين بالحكام والسلاطين . والنقطة الثالثة تتحدث عن دور علماء الأزهر في العلاقة بين الحكام والمحكومين . أما النقطة الرابعة فتتناول دور العلماء الأزهريين في الحرب والسلم . والنقطة الخامسة تتناول دور العلماء الأزهريين في العلاقات الخارجية وعملهم كسفراء للدول الإسلامية في أفريقيا . أما النقطة السادسة والأخيرة فتتناول دور الأزهر في أفريقيا بعد العصر المملوكي.

كما زُوِّد الكتاب بملاحق عبارة عن خرائط توضح الدول الأفريقية التي برز فيها دور الأزهر الحضاري . وأيضاً ألحقت به مجموعة من الصور التوضيحية . كما ألحق به بعض الجداول التوضيحية التي تلخص أهم النقاط التي وردت في الكتاب .

وفي النهاية أتمنى أن يجد الكتاب قبولاً لدى القراء . كما أنني أرحب بملاحظتهم على ماجاء به . كما أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم . وماتوفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

دكتور / عبدالنعيم ضيفي عثمان عبدالنعيم

القاهرة في عام 2012م

الفصل التمهيدي

(نشأة الأزهر وتطوره)

1 – بناء الفاطميين للأزهر .

2 – الأزهر في العصر الأيوبي .

3 – الأزهر في العصر المملوكي .

4 – الأزهر بعد العصر المملوكي .

5 – التنظيم الإداري للأزهر .

6 – القوانين المنظِّمة لعمل الأزهر الشريف .

1 - بناء الفاطميين للأزهر

بعد نجاح الفاطميين [1] في تأسيس دولتهم في بلاد المغرب العربي على يد زعيمهم أبي عبد الله الشيعي وفي عهد محمد عبيد الله المهدي[2] في سنة 297هـ/ 909م تطلعوا لفتح مصر وإقامة دولتهم فيها وكانت مصر محط أنظار الفاطميين لأسباب عديدة، منها قرب مصر من بلاد المغرب العربي حيث قامت الدولة الفاطمية ، وأيضاً قرب مصر من ناحية الموقع الجغرافي من مقر الدولة العباسية التي تمثل الخلافة السنية المنافسة للخلافة الفاطمية الشيعية بالإضافة لرغبة الفاطميين أنفسهم في الاستقرار بمصر تخلصاً من الثورات والحروب التي كانت تقوم ضدهم في بلاد المغرب [3] ، وأيضاً لقرب مصر من بلاد الحجاز حيث يجعل من يسيطر عليهما تصبح له الزعامة في العالم الإسلامي.

لهذه الأسباب أرسل المعز لدين الله الفاطمي الخليفة المقيم في بلاد المغرب ، قائده جوهر الصقلي[4] على رأس جيش لفتح مصر في سنة 358هـ/ 969م واستطاع هذا القائد فتح مصر بعد فترة قصيرة ، وتم القضاء على الدولة الإخشيدية التي كانت تحكم مصر في ذلك الوقت .

---

1 – الفاطميون: هم الشيعة الإسماعيلية ، الذين يقولون أن الخلافة انتقلت من جعفر الصادق ، إلى ابنه إسماعيل، ويعتقدون أنه مات أثناء حياة أبيه . انظر العمري : التعريف بالمصطلح الشريف ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1998م ، ص198. وانظر أيضاً الشهرستاني : المِلَل والنحل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1990م ، جـ1 ص131. وانظر أيضاً مصادر الشيعة مثل كتاب الكافي الذي ورد في كتاب عبد المنعم النمر: الشيعة والدروز ، دار الحرية ، القاهرة ، 1987م ، ص20.

2 – اختلف المؤرخون في نسب عبيد الله المهدي ، حيث إنه كان يقول أنه من نسل جعفر بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب ونسبوه مرة للقرامطة ، ومنهم من نسبه للمجوس ، ومنهم من أرجع نسبه إلى يهود السالمية في الشام وقالوا أنه كان يعمل حداداً . انظر ابن عزارى . البيان المغرب ، دار الثقافة ، لبنان ، 1967م ، ص 158 ؛ وانظر الاسحاق المنوفي : أخبار الأُوَل في من تصرف في مصر في أرباب الدول ، وزارة الثقافة ، مصر ، 1998م ، ص 116، 117 .

3 – لبيان هذه الحروب ، انظر ابن عزارى : المصدر السابق ، ص222 ، 223 .

4 – جوهر الصقلي : أبو الحسن جوهر بن عبد الله ، كان مشهوراً بلقب الكاتب ، وكان من موالى المعز بن المنصور ابن القائم بن المهدي. انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان 1968م ، جـ1 ، ص375 ، 376.

وبعد إتمام عملية الفتح ، بدأ جوهر القائد في إرساء دعائم مدينة القاهرة ، والتي ستصبح عاصمة للدولة الفاطمية ، وقد تم اختيار موقع العاصمة إلى الشمال من مدينة الفسطاط [1] ، وتم تقسيم المدينة الجديدة إلى عدة خطط لكل قبيلة خطة عُرفت باسمها . كما قام جوهر الصقلي بإنشاء سور حول المدينة وجعل له عدة أبواب ، ثم تلَى ذلك إنشاء مجموعة من القصور التي خُصِّصت لنزول الخلفاء الفاطميين [2] ، ثم أرسل جوهر للخليفة المعز لدين الله يطلب منه القدوم فحضر عن طريق البحر في أسطول كبير مكوَّن من سبع سفن [3] وسكن القاهرة التي كانت تضم جامعها الشهير المعروف باسم جامع القاهرة الذي بناه جوهر الصقلي أيضاً.

بناء الفاطميين للأزهر:

كان هدف جوهر الصقلي من بناء الجامع الأزهر هو أن يكون مقراً لنشر الدعوة للمذهب الشيعي ، ولكي يكون رمزاً للدولة الفاطمية ، على الرغم من وجود عدة جوامع كانت قائمة في القاهرة آنذاك ، مثل جامع عمرو بن العاص ، وجامع أحمد بن طولون ، ولكنها كانت خارج المدينة الجديدة ، كما أن إنشاء جامع جديد تُمارس فيه الشعائر الدينية الشيعية بحُرية [4] يبعدهم عن الصدام المتوقع مع المصريين من أهل السنة ، وقد بدأ جوهر العمل في وضع أساس هذا المسجد في يوم السبت من شهر رمضان الموافق سنة 359هـ/ 970م ، واستغرقت مدة بنائه ما يقرب من سنتين ، حيث تم الفراغ منه في

---

1 – من الأسباب التي ساعدت الفاطميين على فتح مصر ، انظر المقريزي : إغاثة الأمة بكشف الغمة ، دار الهلال ، القاهرة ، 1990م ، ص40وانظر أيضاً ابن خلكان : المصدر السابق ، جـ1 ، ص346 ، 347 . وأيضاً ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1969م ، ص180 . وانظر أيضاً محمد جمال الدين سرور: مصر في عصر الدولة الفاطمية ، النهضة المصرية ، القاهرة ، 1960، ص 31 – 33 .

2 – ناصر خسرو : سفر نامة ، ترجمة يحيى الخشاب ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1993م ، ص 102 .

3 – المصدر السابق ، ص 107 .

4 – من الشعائر الخاصة بالشيعة الأذان يكون بعبارة «حي على خير العمل» وجهر القراءة بالبسملة . انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ1 ، ص379 .

اليوم السابع من شهر رمضان لسنة 361هـ/ 972م. وأقيمت فيه صلاة الجمعة حيث وافق افتتاحه يوم الجمعة . ويوجد بالجامع طلسم لكي لا يسكنه عصفور ولا يفرخ فيه بيضة [1] ، كما توجد كتابة على دائر القبة التي تقع ما بين المنبر والمحراب كالتالي «بسم الله الرحمن الرحيم» مما أمر ببنائه عبد الله ووليه أبو تميم معد الإمام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الأكرمين ، على يد عبده جوهر الكاتب الصقلي ، وذلك في سنة ستين وثلاثمائة [2] . وعلى الرغم من التناقض الذي يتضح عند مقارنة تاريخ الإنشاء كما هو مدوَّن في اللوحة وما اتفق عليه المؤرخون أن البدء تم في سنة 361هـ/ 972م لكنه في الحقيقة لا يمثل تناقضاً حقيقياً حيث إن المؤرخين اتفقوا على أن إقامة صلاة الجمعة هو تاريخ إنشاء الجامع بينما اللوحة أثبتت الفراغ من البناء قبل أن يتم بصورته النهائية، وقد أطلق على الجامع في بداية إنشائه اسم جامع القاهرة نسبة للعاصمة الجديدة ، ولكن في عهد ولاية الخليفة العزيز بالله الفاطمي (365 – 386هـ/ 975 – 996م) تم تغيير اسم الجامع إلى اسم جديد وهو الجامع الأزهر.

وقد اختُلف في أسباب إطلاق اسم الأزهر عليه ، فذكر الحسن الوزان أنه يعنى اللامع[3]. ورأي يرى أن معناه الزاهر بالعلم ، أو نسبة للسيدة فاطمة الزهراء [4] ويرى الباحث صحة الرأيين الأولين لأن لفظ الأزهر أُطلق عليه في عهد العزيز بالله (365 – 386هـ/ 975 – 996م) وهو العهد الذي شهد الأزهر فيه ازدهار الحياة التعليمية والعلمية .

---

1 – ابن ظهيرة : مصدر سبق ذكره ، ص 182 ، 183 .

2 – المقريزي : خطط المقريزي : دار التعاون ، القاهرة ، 1968م ، جـ3 ، ص157 .

3 – الحسن الوزان: وصف أفريقيا ، تحقيق على عبدالواحد ، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض ، السعودية ، 1979م ، ص 579 .

4 – عبد العزيز الشناوي. الأزهر جامعاً وجامعة ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1983م ، جـ1 ، ص 29 .

اهتمام الفاطميين بالأزهر

عمائر الفاطميين للجامع :

لم يتوان خلفاء الدولة الفاطمية في الاهتمام بالجامع الأزهر ، على اعتبار أنه المقر الرسمي لنشر الدعوة الفاطمية في مصر ، وقد تنوعت مظاهر هذا الاهتمام بالجامع سواء من ناحية عمارته أو اتخاذه مقراً للاحتفالات التي لا تكل الدولة الفاطمية من إقامتها ، أو بتخصيص أوقاف للجامع.

وقد بدأت عمارة الجامع في عهد العزيز بالله (365 - 386هـ/ 975 - 996م) حيث قام بتجديده ، ثم قام الخليفة المستنصر بالله (427 - 487هـ/ 1035 - 1094م) بإضافة زخارف للجامع[1] ، كما قام الخليفة الحافظ لدين الله (520 - 544هـ/ 1130 - 1149م) بإنشاء مقصورة بجوار الباب الغربي للجامع سُميت بمقصورة فاطمة الزهراء[2] .

أما عن الأوقاف التي خُصِّصت للأزهر فأشهرها الوقفية الخاصة بالحاكم بأمر الله التي خصصها للجامع الأزهر وجامع راشدة ودار الحكمة ، حيث جعل نصيب الأزهر من هذه الوقفية مقدار الخمس والثمن ونصف السدس ونصف التسع[3] ، وجُعلت هذه الأنصبة للصرف على عمارة الجامع ، ولدفع مرتبات الخطيب والموظفين بالجامع ، وقد بلغ عدد الموظفين حوالي ثلاثة أئمة وخمسة عشر مؤذناً للصلاة ، وأربعة ملاحظين ومعهم مشرف الجامع. ولم تتوقف جهود الحاكم على إصدار الوقفية فقط بل أضاف أيضاً لعمارة الجامع ، حيث أمر بإضاءة الجامع في ليالي شهر رمضان وخصص لذلك

---

1 - المقريزي : الخطط ، ج 30ص160.

2 - مقصورة فاطمة الزهراء ، سميت بهذا الاسم لأن السيدة فاطمة الزهراء ظهرت في المنام عندها للخليفة الحافظ لدين الله (520 - 544هـ/ 1130 - 1149م) . انظر المقريزي : المصدر السابق ، جـ3 ، ص 160.

3 - معنى مقدار الخمس ونصف السدس ونصف التسع من قيمة الوقفية المخصصة للجامع وهي ألف دينار . المقريزي: نفسه ، ج3 ، ص158 .

سبعة وعشرين قنديلاً وتنورات من الفضة [1] .

كما أن الأزهر أصبح مكاناً تجرى فيه الاحتفالات الدينية التي كان يقيمها الخلفاء الفاطميون ، ومن أشهر هذه الاحتفالات «الاحتفال بشهر رمضان» حيث كان الخلفاء يخصصون أول جمعة من شهر رمضان للصلاة في الجامع الأزهر ، وكان الخلفاء يمتطون ظهور الخيل ويسير بين يدي الخليفة رجال الدولة والخدم ، ويرتدي الخليفة ملابس مخصصة تتكون من طيلسان أبيض [2] وملابس حريرية ، وعمامة بالقصب ويسير هذا الموكب حتى باب الجامع الأزهر ، ويبدأ في الصعود للمنبر بمصاحبة قاضي القضاة ، ثم يخطب لصلاة الجمعة ويقوم بالدعاء لآبائه وأجداده ، ويعود الموكب ثانية بعد انقضاء الصلاة.[3] كما كان الجامع الأزهر مقراً أيضاً للاحتفال بليالي الوقود الأربع وهي ليلة أول رجب وليلة نصفه وليلة أول شعبان وليلة نصفه [4]حيث تُضاء جنبات الجامع. وكان توقيت الاحتفال يبدأ من بعد غروب الشمس ، وبعدها يخرج موكب قاضي القضاة الذي يكون على رأس الموكب ، ويسير محاطاً بمجموعة من الحجَّاب والقراء ، ويشق الموكب طريقه في المدينة وكلما مر بمسجد يقف المؤذنون ويحمدون الله سبحانه ويدعون للخليفة [5].

أما المناسبة الأخرى التي كانت تتم في الجامع الأزهر فهي مناسبة يوم عاشوراء في العاشر من شهر محرم كل عام. وهو ذكرى استشهاد الإمام الحسين (رضي الله عنه) ، وكان هذا العيد يبدأ من صبيحة اليوم. وتبدأ مظاهر هذه المناسبة بخروج موكب مكوَّن من قاضي القضاة والشهود ، وهم يرتدون الملابس السوداء رمزاً للحزن ، ويتوجهون للجامع الأزهر ، حيث يجلس كبار رجال الدولة ويحيط بهم العلماء والأعيان ، ثم يأتي

---

1 - المقريزي : الخطط ، ج 3 ، ص159 .

2 - المقريزي : المصدر السابق ، ج3 ، ص172 .

3 - المسبحي : أخبار مصر في سنتين ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1980م ، ص 180.

4 - القلقشندي : صبح الأعشى ، وزارة الثقافة ، القاهرة ، 1980، جـ3 ، ص 497 .

5 - القلقشندي : المصدر السابق ، جـ3 ، ص 497 .

الوزير ويجلس بجواره قاضي القضاة ويبدأ القراء في قراءة القرآن الكريم ، ويبدأ الشعراء بعدها بإلقاء قصائدهم الشعرية في رثاء الحسن والحسين ، وكان يستغرق هذا الاجتماع مدة ثلاث ساعات [1] .

1 - المقريزي : الخطط ، ج3 ، ص497 .

2 - الأزهر في العصر الأيوبي

1 – موقف الأيوبيين من الأزهر:

نتيجة للضعف الذي اعترى الدولة الفاطمية في أخريات عهدها ، وأيضاً لعدم استطاعة الخلفاء الفاطميين السيطرة الكاملة على شئون الدولة ، والمنافسة التي قامت بين وزراء الدولة الفاطمية في مصر ، أصبحت الفرصة مهيأة لظهور الدولة الأيوبية . وقد حانت تلك الفرصة بعد تولي شاور الوزارة في العام 558هـ/ 1162م وقيام منافسة بينه وبين ضرغام الذي انتزع الوزارة من شاور ، مما اضطر ضرغام للاستنجاد بالصليبيين واستنجد شاور بنور الدين محمود بن عماد الدين زنكي والذي ورث أملاك أبيه في الشام ، وطلب منه المساعدة في إرجاعه للحكم . فأرسل نور الدين محمود القائد أسد الدين «شيركوه» على رأس قوة لمصر لإعادة شاور للحكم ، وقد استطاع أسد الدين قتل ضرغام وأعاد شاور لتولي الوزارة[1] .

وبعد تولي شاور الوزارة مرة ثانية حدث خلاف بينه وبين أسد الدين شيركوه فاستنجد شاور بالصليبيين مرة ثانية وثالثة ولكن أسد الدين في حملته الثالثة على مصر نجح في إقصاء شاور من الحكم والقضاء عليه وتولي الوزارة . وبعد وفاته تولى صلاح الدين الأيوبي الوزارة في سنة 564هـ/ 1168م ، وأصبح الحاكم الحقيقي لمصر ودعا في الخطبة للخليفة العباسي في مستهل شهر المحرم عام 567هـ/ 1171م ومات الخليفة العاضد آخر الخلفاء الفاطميين بعد ذلك بأيام ، وبذلك انتهى عصر الدولة الفاطمية وقام عصر جديد هو عصر الدولة الأيوبية التابعة لخلافة سنية وهي الخلافة العباسية، ومن ثم بدأ صلاح الدين الأيوبي عهده بمحاولة القضاء على مظاهر الدولة الفاطمية الشيعية ، وكان قد بدأ في تلك السياسة في أواخر عصر الخليفة العاضد ، حينما أمر بإقامة الخطبة لبني العباس ، وإن كان قد تردد في القيام بهذا العمل في البداية ، وفي الحقيقة فإن

---

1 – المقريزي : اتعاظ الحنفا ، جـ2 ، ص333 .

أمر قطع الخطبة لم يكن في تفكيره[1] ولكنها كانت بتوجيهات من السلطان نور الدين محمود ، وكان السبب وراء تردده هو الخوف من مواجهة المتعصبين للمذهب الإسماعيلي والدولة الفاطمية التي لم يكن قد قضي عليها بعد وكان من نتائج قطع الخطبة للخليفة العاضد ، أن تشجع أهل السنة على الشيعة وطاردوهم حتى أصبحت هذه الأحداث من الأعمال المشهورة[2] .

أما الخطوة الأخطر من ذلك فقد كانت قطع الخطبة عن الجامع الأزهر بعد قيام الدولة الأيوبية ، عندما استفتى صلاح الدين الأيوبي القاضي «صدر الدين بن درباس»[3] فأفتى ابن درباس بعدم جواز إقامة خطبتين في بلد واحد ، طبقاً للمعمول به في المذهب الشافعي فأبطلت خطبة الجمعة في الجامع الأزهر مع إقرارها بجامع الحاكم بحجة أنه أوسع[4]. وقد تعرض الأزهر لنفس الموقف حتى في عهد الدولة الفاطمية ، عندما قُطعت منه الخطبة بعد بناء جامع الحاكم في سنة 393هـ/ 1002م ثم أعيدت إليه مرة أخرى إلى أن قام صلاح الدين الأيوبي بإبطالها منه. أما التعليم في الأزهر فقد حاول صلاح الدين إيجاد بدائل منه أيضاً ، مثل قيامه بإنشاء سلسلة من المدارس بغرض صرف الأنظار عنه[5].

محاولة إيجاد بدائل للتعليم غير الأزهر:

لكي يتلاشى صلاح الدين الأيوبي نفوذ ودور الأزهر في الحياة الثقافية والدينية في مصر على اعتبار أنه أكبر مركز للدعوة الشيعية ، بينما أصبحت مصر دولة سنية ، بدأت

1ـ أبو شامة : الروضتين ، ص492 .

2 – أبو شامة : المصدر السابق ، ص492 ، 493 .

3 – صدر الدين بن درباس : أبو القاسم عبد الله بن عيسى الكردي ، ولد بالموصل عام 416هـ/ 1025م بالموصل، وتلقى العلم على يد أبي الحسن المرادي تولى منصب القضاء في عهد صلاح الدين وأصبح قاضياً للقضاء الشافعي ، توفي عام 496هـ/ 1102م. انظر السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ2 ، ص 153 .

4 – السيوطي : المصدر السابق ، جـ2 ، ص 252 .

5ـ ابن ظهيرة : مصدر سبق ذكره ، ص 183 .

الدولة الأيوبية في سياسة بناء المدارس ، حتى يمكنها القضاء على الدور الذي يقوم به الأزهر في التعليم ، وكانت فكرة إنشاء المدارس في العالم الإسلامي قد بدأها قديماً الوزير (نظام الملك)[1] وأول مدرسة أنشئت في بغداد كانت في سنة 459هـ/ 1066م وهي المدرسة النظامية . أما في مصر فإنها لم تكثر بها المدارس حيث إن الفاطميين لم يكونوا محبذين لإلقاء الدروس في المدارس[2]. ولما جاء الأيوبيون تبنوا سياسة إنشاء المدارس ليقضوا على دور الجامع الأزهر التعليمي خوفاً من قيامه بالدعوة للمذهب الشيعي وللدولة الشيعية الزائلة[3] .

ومن أشهر المدارس التي أنشئت في عهد الدولة الأيوبية المدرسة الناصرية التي أنشئت في سنة 566هـ/ 1170م بجوار جامع عمرو بن العاص ، وقد تم تخصيصها لتدريس المذهب الشافعي ، وعُرفت هذه المدرسة بعدة أسماء فأطلقت عليها مدرسة «زين التجار»[4] كما أطلق عليها اسم المدرسة الشريفية ، وتعتبر هذه المدرسة أول مدرسة قام بإنشائها صلاح الدين في مصر في أواخر حكم العاضد.

ومن المدارس التي أنشئت أيضاً في عهد صلاح الدين الأيوبي المدرسة القمحية في سنة 566هـ/ 1170م ، وقد خُصِّصت هذه المدرسة لتدريس المذهب المالكي ، وكانت تقع بالقرب من جامع عمرو بن العاص أيضاً والسبب في تسميتها بهذا الاسم ، تخصيص أراضٍ في الفيوم كانت تغل قمحاً للإنفاق عليها[5]. ومن المدارس المشهورة أيضاً المدرسة السيوفية التي أنشئت في سنة 572هـ/ 1176م وكانت مخصصة لتدريس

---

1 – نظام الملك : قوام الدين الحسن بن علي الطوسي ، كان وزيراً للسلطان السلجوقي ملك شاه عدة عشر سنوات/ من أشهر أعماله بناء المدرسة النظامية ببغداد في سنة 459هـ/ 1066م . انظر السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ2 ، ص 255 .

2 – المصدر السابق ، ص 255 ، 256 .

3 – عبدالعزيز الشناوي : مرجع سبق ذكره . ص97 .

4ـ سبب تسمية المدرسة بهذا الاسم (زين التجار) لأن الذي تولى التدريس فيها أبو العباس بن المظفر بن الحسين الشافعي ، المتوفى عام 591هـ/ 1194م . انظر المقريزي : الخطط ، جـ3 ، ص 315 ، 316 .

5 – المقريزي: المصدر السابق ، جـ3 ، ص316 .

المذهب الحنفي[1]. كما قام صلاح الدين الأيوبي في نفس العام المذكور بإنشاء المدرسة الصلاحية التي خُصِّصت لتدريس المذهب الشافعي ، وقام بالتدريس فيها «نجم الدين الخبوشاني»[2] و«الشيخ صدر الدين أبو الحسن محمد بن حمويه الجويني»[3] وكانت تقع هذه المدرسة بالقرب من جامع الإمام الشافعي.

ولم يكن بناء المدارس وقفاً على فترة حكم صلاح الدين فقط ، بل تبارى خلفاؤه في سياسة إنشاء المدارس . ومن أشهر المدارس التي أنشئت في عهدهم مدرسة «ابن شاس»[4] التي قام بإنشائها الملك العادل وكانت مخصصة لتعليم المذهب المالكي[5]. وفي عهد الملك الكامل قام بإنشاء المدرسة الكاملية في سنة 622هـ/ 1225م وخصصت لتدريس الحديث النبوي الشريف ومن أشهر مدرسيها الحافظ أبو الخطاب عمر بن الحسن[6] وأخوه أبو عمرو عثمان بن الحسن[7].

ويلاحظ على إنشاء المدارس أنها لم تكن وقفاً على الملوك فقط ولكن قام بإنشائها أيضاً الأفراد والخدم ، ومن أشهر المدارس التي أنشأها الأمراء هي المدرسة الصيرمية

---

1 – المقريزي : الخطط ، جـ3 ، ص318 .

2 – نجم الدين الخبوشاني : نجم الدين أبو البركات محمد بن سعيد ، تتلمذ على يد محمد بن يحي ، وله كتاب المحيط في شرح الوسيط ، وكان من العلماء المقربين لصلاح الدين الأيوبي ، وتولى المدرسة الصالحية تدريساً ونظارة ، وكان له مرتب معلوم عبارة عن أربعين ديناراً وستين رطلاً من الخبز ، توفي عام 587هـ/ 1191م ودفن في قبة مفردة. انظر السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ2 ، ص257 .

3 – صدر الدين أبو الحسن : محمد بن حمويه الجويني ، تولى التدريس بالمدرسة الصلاحية ، وكان يقوم بتدريس الفقه الشافعي ، توفي عام 639هـ/ 1247م. انظر ، المصدر السابق ، جـ2 ، ص 257 ، 258 .

4 – سميت هذه المدرسة بهذا الاسم نسبة للفقيه جلال الدين أبي حسن عبد الله بن نجم بن شاس المتوفى سنة 616هـ/ 1219م. انظر المقريزي : نفسه ، جـ3 ، ص 318 .

5 – المصدر السابق ، جـ3 ، ص318 .

6 – أبو الخطاب : عمر بن حسن بن علي السبتي ، أندلسي الأصل ، اشتهر بعلم الحديث ، وكان له اهتمام بعلم اللغة ، تولى منصب مشيخة الكاملية ، توفي في شهر ربيع الأول عام 633هـ/ 1235م. انظر ابن تغري ، النجوم الزاهرة ، جـ6 ، ص 258 ، 296 .

7 – السيوطي : نفسه ، جـ2 ، ص 262 .

التي أنشأها الأمير «جمال الدين شويخ بن صيرم»[1] وكان موقعها بالقرب من سويقة أمير الجيوش . كما أن خدام القصر أيضاً كان لهم باع في إنشاء المدارس مثل الخادم «شمس الخواص مسرور» الذي قام بإنشاء المدرسة المسرورية[2].وقد بلغ تعداد المدارس في عهد الأيوبيين ما يقرب من إحدى وعشرين مدرسة في فترة حكمهم التي لم تزد عن واحد وثمانين عاماً . وبذلك تكون الدولة الأيوبية قد سنَّت فكرة جديدة في مصر وهي إنشاء المدارس التي ستصبح سمة عامة بعد ذلك في مصر وخصوصاً في عهد سلاطين المماليك. وكان الغرض من ذكر هذه المدارس هو بيان مدى محاولة الدولة الأيوبية محاربة الأزهر وتقليص دوره في الحياة التعليمية والعلمية في مصر. لكن الأزهر كان له تأثير على هذه المدارس من حيث العلوم التي كانت تدرس وأسلوب التدريس.

أما عن العلوم التي كانت تدرس في المدارس الأيوبية فهي كما يتضح من أغراض إنشاء المدارس علوم الفقه الإسلامي وما يلزمها من العلوم التي تساعد على فهم النصوص الفقهية ، مثل علوم اللغة والبيان[3].

وكان أسلوب التدريس في هذه المدارس ، يعتمد على الطرق التي كانت سائدة في التعليم في الجامع الأزهر في معظم المعاهد العلمية وهي طريقة الإملاء والإقراء والتلقين[4].

أما من ناحية الإنفاق على هذه المدارس في عهد الأيوبيين فتعددت موارد الإنفاق فكانت كما هو الحال في عهد الفاطميين بالنسبة للجامع الأزهر ، وكانت هذه الموارد

---

1 – ابن صيرم : جمال الدين شويخ ، كان من أفراد الملك الكامل ، بنى هذه المدرسة بالقرب من سويقة أمير الجيوش ، توفي عام 636هـ/ 1238م. انظر المقريزي : الخطط ، جـ3 ، ص 340.

2 – المدرسة المسرورية : كانت دار شمس الخواص مسرور ، خادم من خدام القصر ، أوصى بها بعد وفاته لأنها كانت داره ، وله عدة آثار منها خان مسرور الصفدي . انظر ، المصدر السابق ، جـ3 ، ص340

3 – السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ2 ، ص263 .

4 – عن طريقة الإلقاء والإملاء والتلقين . انظر القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ11 ، ص 251 .

عبارة عن الأوقاف التي خصصها الأيوبيون لهذه المدارس[1] ، ولم يبخل أحد من حكام هذه الدولة في الإنفاق على هذه المدارس ، فقد ذكر الرحالة ابن جبير الذي قام بزيارة مصر في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي وشاهد إنشاء المدرسة الصلاحية ، أن هذا السلطان عندما كان يتفقد أعمال بناء هذه المدرسة كان يقول للقائم على إنشائها «زد احتفالاً وتأنقاً وعلينا القيام بمؤنة ذلك كله»[2] ، ومعناه أنه على القائمين بإنشاء المدرسة الإسراف في تجميلها وسيتحمل السلطان النفقات. والمورد الثاني الذي كانت المدارس تعتمد عليه هو الهبات والإعانات التي كان يجود بها أهل الخير من رجال الدولة.

أما عن الطلبة فقد كانت تخصص لهم رواتب لكي تساعدهم على التفرغ لتحصيل العلم ، كما كانت توجد مساكن لإقامة الطلاب وكان يراعى ذلك عند تصميم المدرسة[3].

ومن البدائل الأخرى التي أوجدها الأيوبيون في مصر نظام الخانقاوات ، ويعتبر صلاح الدين الأيوبي المنشيء والمبتكر لهذا النظام في مصر ، وأول خانقاه أنشئت في مصر هي الخانقاه الصلاحية ، وتعرف باسم خانقاه سعيد السعداء ، والسبب في إطلاق هذا الاسم عليها أنها كانت داراً لخادم يسمى سعيد السعداء[4] . وقد خصص السلطان صلاح الدين لها وقفاً هو قيسارية الشرب [5] كما أسكن بها جماعة من الصوفية ورتب لهم الطعام والشراب وكان لهم رئيس يشرف عليهم يُختار منهم يُسمى بشيخ الشيوخ. وكانت هذه الخانقاه منذ إنشائها في سنة 569هـ/ 1173م مركزاً للتعليم وخاصة علم التصوف ، ومن أشهر من تولى الإشراف على هذه الخانقاه صدر الدين بن حمويه[6].

---

1 - أبو شامة : الروضتين ، ص 487 .

2 - ابن جبير : رحلة ابن جبير ، الهلال ، بيروت ، لبنان ، 1981م ، ص 21 .

3 - المقريزي : الخطط ، جـ3 ، ص316 .

4 - السيوطي: حسن المحاضرة ، ج2 ، ص260.

5 - القلقشندي : صبح الأعشى ، ج3 ، ص365 ، 364 .

6 - السيوطي : المصدر السابق ، جـ2 ، ص260.

وتنفيذاً لسياسة إيجاد بدائل للتعليم في مصر غير الجامع الأزهر ، قام الأيوبيون بتشجيع العلماء على إقامة مجالس علمية في بعض المساجد الأخرى ، مثل الحلقات التي كانت تُعقد في جامع عمرو بن العاص وقد وجد هذا الجامع عناية كبيرة من السلطان صلاح الدين الأيوبي ، فقد أمر بتجديده في سنة 568هـ/ 1172م[1] وخصوصاً أن هذا الجامع يحتل مكانة بارزة في قلوب المسلمين على اعتبار أنه أول جامع أقيم في مصر ، وأول جامع ألقيت فيه دروس علمية .

وكانت تُعقد في جنبات هذا الجامع حلقات لتدريس المذاهب الأربعة ، كما اشتهر بوجود جماعة من العلماء مثل يحي بن عبد المعطي بن عبد النور وكان مشهوراً في علوم النحو واللغة ، ومن أشهر مؤلفاته كتاب الفصول في النحو ، وقد استحضره الملك الكامل للتدريس في جامع عمرو بن العاص لتدريس الأدب ، وقد توفي في عام 628هـ/ 1230م [2] .

وكان سلاطين بني أيوب قد قاموا بتخصيص زوايا بجانب جامع عمرو بن العاص لتدريس الفقه ، مثل زاوية للفقه الشافعي وخصص لها عثمان بن الناصر صلاح الدين أرضاً ينفق منها على العلماء الذين كانوا يقومون بتدريس هذا المذهب[3]. وأيضاً كانت توجد زاوية تسمى الزاوية المجدية نسبة للوزير مجد الدين أبي الأشبال وزير الملك موسى ابن العادل أبو بكر ، وجعل تدريس الفقه فيها للقاضي وجيه الدين بن عبد الوهاب البهنسي[4] ، وخصص لها أوقافاً كبيرة للإنفاق عليها .

---

1 - المقريزي : الخطط ، جـ3 ، ص117 .

2 - يحي بن عبد المعطي : ابن عبد النور زين الدين ، ولد عام 564هـ/ 1168م كان عالماً بالعربية قرأ على الجزولي ، وقام بالإقراء للنحو في جامع عمرو بن العاص ، من أشهر مؤلفاته الفصول ، توفي عام 628هـ/ 1230م . انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ6 ، ص 197 .

3 - المقريزي : المصدر السابق ، جـ3 ، ص125 .

4 - عبد الوهاب بن الحسين بن عبد الوهاب البهنسي ، قاضي مصر ، تولى القضاء ، ثم عزل من قضاء القاهرة . وتولى قضاء الوجه القبلي ، درس بالزاوية المجدية بالجامع العتيق . وكان معاصراً للشيخ شهاب الدين القرافي ، توفي عام 685هـ/ 1286م. انظر السبكي : طبقات الشافعية ، دار هجر للنشر ، القاهرة ، 1992م ، جـ8 ، ص 317 ، 318.

وقد كان من نتائج تشجيع الأيوبيين للعلوم الدينية السنية في عصرهم ازدهار هذه العلوم وظهور طائفة من العلماء المشهورين في مختلف فروعها من أشهرهم في الفقه المالكي عبد الله بن نجم بن شاس وهو من علماء المذهب المالكي وله مصنفات من أشهرها كتاب في الفقه المالكي وكانت وفاته[1] في سنة 610هـ/ 1213م ، ومن علماء المذهب المالكي الذين ازدهر بهم العصر الأيوبي عبد الله بن علي بن الحسين الشيبى[2] ، وكان مشهوراً بابن شاكر ، وله مصنفات في الفقه المالكي منها كتاب البصائر كما قام هذا العالم بإنشاء مدرسة ورباط خاصين به وكانت وفاته في سنة 622هـ/ 1225م.

ومن علماء المذهب الشافعي «صـدر الدين بن حمويه» المتوفى عام 639هـ/ 1247م وأيضاً اشتهر من علماء المذهب الشافعي ابن زين النجار[3] ، ومن علماء المذهب الحنفي الجريري[4] والغزنوي[5]. ومن علماء المذهب الحنبلي الحراني[6]. وبالنسبة لعلم

---

1 - ابن فرحون : الديباج المذهب ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، 1996م ، ص 229 .

2 - عبدالله بن علي بن الحسين بن عبدالخالق الشيبي المالكي تفقه في مذهب مالك ، دخل الإسكندرية وتفقه بها على أبي القاسم مخلوف ، كان مؤثراً للعلماء والصالحين (الديباج المذهب 1 / 450).

3 - ابن زين النجار : أبو العباس أحمد بن المظفر بن الحسين الدمشقي ، أحد أعيان الشافعية كان يُعرف بابن زين النجار ، تولّى التدريس في المدرسة الناصرية حتى عُرفت باسمه ، وتوفي عام 591هـ/ 1194م. انظر المقريزي: الخطط ، جـ3 ، ص315 - 316 .

4 - الجريري : عبد الله بن محمد بن سعد الله الجريري ، ولد عام 513هـ/ 1119م ببغداد ، وكان يُعرف باسم ابن الشاعر ، برع في المذهب الحنفي وقدم مصر بمعرفة صلاح الدين الأيوبي ، وتولى التدريس بالمدرسة السيوفية ، توفي عام 584هـ/ 1188م . انظر السيوطي : المحاضرة ، جـ1 ، ص 464 .

5 - الغزنوي : محمد بن يوسف بن محمد الغزنوي ، ولد عام 522هـ/ 1128م بغزنة وتلقى العلم على يد النعمان الكردي ، وسمع الحديث من أبي الفضل بن ناصر ، روى عنه الرشيد العطار ، توفي عام 599هـ/ 1202م بالقاهرة . انظر السيوطي : المصدر السابق ، جـ1 ، ص 498 .

6 - الحراني : نجم الدين أبو عبد الله أحمد بن حمدان الحراني ، تلقى العلم على يد عبد القادر الرهاوي ، وفخر الدين ابن تيمية ، من أشهر مؤلفاته الرعاية الكبير ، توفي عام 695هـ/ 1295م بالقاهرة . انظر السيوطي : نفسه ، جـ1 ، ص 480.

القراءات اشتهر به خلف بن أحمد المعروف بالشاطبي[1] وكان عالماً في القراءات والنحو واللغة ، وهو صاحب القصيدة المشهورة بحرز الأماني ووجه التهاني في علم القراءات وعدد أبياتها حوالي 1173 بيتاً . وقد أصبحت هذه القصيدة من المقررات الواجب حفظها عند دراسة علـم القراءات ، كما عمل الشاطبي بالتدريس وكانت وفاته في عام 590هـ/ 1193م ودُفن بمصر في القرافة الصغرى . وهكذا ازدهر التعليم في المدارس التي أنشأها الأيوبيون والتي أشرنا إليها .

1 – الشاطبي : أبو محمد القاسم بن خيرة بن أبي القاسم ، ولد عام 538هـ/ 1143م في شاطبة بتونس وقدم لمصر عام 572هـ/ 1176م ، وكان عالماً بالنحو واللغة ، وله القصيدة المعروفة بالشاطبية (حرز الأماني) توفي عام 590هـ/ 1193م . انظر ابن فرحون : الديباج المذهب ص323 .

3 - الأزهر في العصر المملوكي

المماليك طائفة من الأرقاء البيض ، أول من بدأ في الاستكثار منهم وشرائهم الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وأسكنهم في قلعة الروضة[1] ولذلك عرفت أول دولة لهم اسم المماليك البحرية.

وقد بدأت دولة المماليك البحرية بعد وفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب وتولَّت زوجته شجر الدر[2] الحكم في سنة 648هـ/ 1250م والتي تزوجت بدورها من عز الدين أيبك التركماني الذي يعتبر أول سلطان مملوكي يتولى الحكم ، وقد انفرد بالحكم ولقَّب نفسه باسم الملك المعز[3]. وبعد وفاته تولى ابنه المنصور الحكم ، ونظراً لصغر سنه فقد قفز إلى سدة الحكم سيف الدين قطز في سنة 657هـ/ 1260م . ومن أشهر سلاطين دولة المماليك البحرية السلطان (بيبرس البندقداري) وآخر سلاطين هذه الدولة الملك حاجى الذي انتهت في عهده دولة المماليك البحرية في سنة 783هـ/ 1381م والتي حكمت مصر لمدة 132 عاماً.

ذلك أن الدولة بعد توليه حكم البلاد اضطربت أحوالها في أخريات عهده نتيجة لصغر سنه ، بالإضافة لتصارع فرق الجند ، واستمرت الأحوال مضطربة حتى تمكن (برقوق)[4] من التغلب على هذه الأحوال المضطربة وتسلطن في عام 784هـ/ 1382م

---

1 - السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ2 ، ص 34 .

2- شجر الدر : أم خليل كانت جارية للملك الصالح نجم الدين أيوب وكانت شخصية لها مهابة واحترام ، وقد أخفت موت زوجها الملك الصالح أثناء معركة المنصورة ، ثم تولت الحكم بعد فشل توران شاه ابن الملك الصالح . ثم تزوجت عز الدين أيبك وقد قتلت في سنة 655هـ/ 1257م انتقاماً منها لتآمرها على قتل زوجها . انظر ابن تغري بردي : المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافى الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1990م ، جـ6 ، ص219 ، 220.

3 - السيوطي : المصدر السابق ، جـ2 ، ص 38 .

4 - برقوق : السلطان أبو سعيد برقوق ، بن آنص ، أصله من بلاد الجركس تولى السلطة في يوم الأربعاء 19 رمضان سنة 784هـ/ 1382م واستمر في الحكم حتى 791هـ/ 1388م ، وبلغت مدة حكمه حوالي ست سنوات وثمانية أشهر . انظر ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، ص 15 .

وبذلك يكون أول سلاطين دولة المماليك البرجية[1] التي حكمت مصر حوالي 135 عاماً.

ومن أشهر السلاطين البرجية الذين حكموا مصر السلطان قايتباي المحمودي والسلطان قنصوة الغوري الذي انتهت في عهده دولة المماليك البرجية بعد هزيمته في موقعة مرج دابق ثم خلفه طومان باي الذي لقي الهزيمة على يد العثمانيين في موقعة الريدانية في سنة 923هـ/ 1517م . وشنقه السلطان سليم الأول العثماني وبذلك انتهت دولة المماليك في مصر[2].

وقد تضافرت عدة عوامل اقتصادية وسياسية جعلت دولة المماليك الأولى والثانية تبلغ مبلغاً عظيماً من القوة والازدهار، حيث سيطر المماليك على طرق التجارة البحرية التي تربط بين الشرق والغرب، وفرضوا المكوس والضرائب على البضائع المارة بمصر، وقد تبارى سلاطين المماليك في فرض هذه الضرائب والمغالاة فيها[3] مما در عليهم أموالاً طائلة ساعدتهم في تحقيق مشروعاتهم السياسية والعلمية وانعكس ذلك على الأزهر بطبيعة الحال .

أما من ناحية المشروعات السياسية فقد نجحوا في صد العدوان الصليبى والمغولي على العالم الإسلامي كما فتحوا أبواب مصر للكثير من العلماء والأعيان الذين فروا إليها عقب سقوط بغداد على يد التتار في سنة 656هـ[4]/ 1251م وأصبحت القاهرة ملتقى للكثير من أبناء العالم الإسلامي مما كان له أثره الكبير فيما شهده الأزهر من نهضة علمية في عهد سلاطين المماليك الذين لم يتوانوا في دعمه والاهتمام به اهتماماً كبيراً حتى صار أكبر مركز علمي في العالم الإسلامي كله.

---

1 - البرجية : سمي المماليك البرجية بهذا الاسم لأنهم كانوا يسكنون أبراج القلعة .

2 - شمس الدين محمد بن طولون : مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، 1964م، ص 23، 24 .

3 - السيوطي : حسن المحاضرة، جـ2، ص 296 .

4- ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة، ص 53 .

بعد أن عانى الأزهر في عصر الأيوبيين من الركود بدأ المماليك في الاهتمام به ، وكان دافعهم لذلك الاهتمام رغبة سلاطين الدولة المملوكية في التودد لعامة الشعب وحاجتهم لدعمهم ، ومن مظاهر اهتمام المماليك بالأزهر إعادة الخطبة للجامع بعد أن تعطلت فيه صلاة الجمعة ما يقرب من مائة عام . وقد بدأت إعادة الخطبة للجامع عندما أقنع الأمير عز الدين إيدمر[1] السلطان الظاهر بيبرس بإعادة تعمير الجامع الأزهر . وكان دافع الأمير لذلك العمل هو سكنه بجوار الجامع ، فاستصدر السلطان بيبرس فتوى من العلماء بجواز إقامة صلاة الجمعة في بلدين ، ولما اعترض قاضي الشافعية على الفتوى ، عزله بيبرس وعين بدلاً منه قاضياً من المذهب الحنفي[2] وافق على رأى السلطان وتمت إعادة خطبة صلاة الجمعة في الأزهر في عام 665هـ/ 1266م وحضر السلطان بيبرس أول خطبة أقيمت فيه وأمر بإعادة طلاء الجامع[3].

كما كان من مظاهر اهتمام المماليك بالأزهر إحداث منصب جديد في الأزهر وهو منصب ناظر الأزهر ، وكان الغرض منه هو ضمان الإشراف على الجامع وإدارة شئونه. وكان منصب ناظر الأزهر من المناصب التي اختص بها الأمراء والمماليك وأحياناً كان يتولاه حاجب الحجَّاب ، ومن نظار الأزهر من وصل لرتبة السلطنة مثل السلطان جقمق[4]. وكان هناك قبل استحداث هذا المنصب مشرف يتولى شئون الجامع وتحت يده مجموعة من الموظفين[5]. وأول من تولى منصب ناظر الأزهر من الأمراء المماليك الأمير

---

1 – عزالدين إيدمر : بن عبد الله الظاهري ، سيف الدين التركي ، كان من عتقاء الملك الظاهر بيبرس ، تولى منصب نيابة الشام في عهد الظاهر بيبرس . وقد تعرض الأمير لمحنة في عهد السلطان قلاوون وتم سجنه وأفرج عنه في عهد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون ، توفي بالشام عام 676هـ/ 1277م ، انظر العيني : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، هيئة الكتاب المصرية ، القاهرة ، 1988م ، جـ1 ، ص 56 وأيضاً ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، جـ3 ، ص 183 ، 184 .

2 – السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ2 ، ص 252 .

3 – العيني : المصدر السابق ، جـ2 ، ص 6 .

4 – الأزهر وظيفته قديماً وحديثاً ، وثيقة ملف 9/ 4/ 1 حافظة 356 ، دار الوثائق القومية ، ص 2 .

5 – انظر وقفية الحاكم بأمر الله ، المقريزي : الخطط ، جـ3 ، ص 158 ، 159 .

(بهادر الطواشي)[1] الذي تم تعيينه في عهد السلطان برقوق في عام 784هـ/ 1382م. وقد قام هذا الأمير بتنفيذ مرسوم السلطان برقوق بتحقيق المساواة بين طلبة الأزهر في مجال المواريث ، ونص هذا المرسوم كما ذكره المقريزي «بأن من مات من مجاورى الأزهر من غير وارث شرعي وترك موجوداً ، فإنه يأخذه المجاورون بالجامع»[2] .

ومن مظاهر اهتمام سلاطين المماليك بالأزهر تشجيع العلماء وتقرير الأعطيات لهم . ولم يتوقف التكريم عند المظاهر المادية فقط بل تعداه إلى المظاهر المعنوية ، حيث أصبح من السمات الملازمة لسلاطين المماليك تقريب العلماء إليهم وإسناد المناصب لهم. فعلى سبيل المثال أسند منصب المحتسب للمقريزي والعيني[3] أكثر من مرة . وأيضاً كان السلاطين يحضرون مجالس العلماء وينصتون لدروسهم بل والتلمذة على أيديهم . ولم يكن السلاطين يقربون العلماء الموجودين بالقاهرة فقط ، بل كانوا يقربون العلماء في غيرها من المدن ويرسلون لهم العطايا في بلدانهم[4]. ولذلك كان من الطبيعي أن يصبح الأزهر مجالاً لاستقطاب كثير من العلماء من مشرق ومغرب العالم الإسلامي . كما كان السلاطين يقومون بتعيين العلماء الأزهريين في المدارس التي قاموا بإنشائها[5] ، وتخصيص بنود من وقفياتهم التي خصصوها لتلك المدارس خاصة بالعلماء ، مع خلع الكساوى عليهم في المناسبات المختلفة[6] ، واصطحابهم معهم في أثناء حروبهم ، وإشراكهم كذلك في المواكب الرسمية[7] ، مع تخصيص ملابس معينة لكل طائفة منهم . وكان تقريب

---

1 – بهادر الطواشي : بهادر بن عبد الله التهامي الطواشي الرومي ، مقدم المماليك السلطانية ، وقد تولى بهادر هذا المنصب بعد الأمير الطواشي صواب السعدي المعروف بجنكل ، وكان يمتاز بالوقار وضخامة الجسم ، توفي في السابع عشر من شهر رجب عام 802هـ/ 1399م . انظر ابن تغري : المنهل الصافي ، جـ3 ، ص 436 .

2 – المقريزي : الخطط ، جـ3 ، ص 162 .

3 – السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ2 ، ص 121 .

4 – بدر الدين العيني : السيف المهند في سيرة الملك المؤيد ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1967م ، ص 266 .

5 – وثيقة رقم 40/ 6 مجموعة وثائق السلطان حسن ، ملاحق كتاب تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1986 ، ص349 .

6 – ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، دار الشعب ، القاهرة ، 1960م ، جـ4 ، ص 453.

7 – شمس الدين محمد بن طولون : مفاكهة الخلان ، جـ2 ، ص 13 ، 14 .

السلاطين للعلماء يزداد في حالة الخطوب والمحن[1] . كما كانوا يكثرون من الاهتمام بعمارة الأزهر وغيره من الجوامع قربى إلى الله سبحانه وتعالى وتقرباً للشعب .

عمائر المماليك للأزهر:

يتميز العصر المملوكي بصفة عامة بأنه عصر العمارة الإسلامية نظراً لاهتمام السلاطين بالمنشآت ذات الطابع الديني مثل المساجد والخانقاوات والأربطة والتكايا ، ويظهر ذلك الاهتمام من خلال حجج الأوقاف التي تم تخصيصها لهذه المنشآت[2]. بل إن يد التعمير والإصلاح امتدت لتشمل إنجازات غيرهم من الملوك السابقين ، ولذلك كان من الطبيعي أن يجد الجامع الأزهر اهتماماً ورعاية وعناية كبيرة وقد تنوعت مظاهر هذا الاهتمام من الإضافة المعمارية للجامع إلى إنشاء مدارس ملحقة به لتواصل نفس رسالته .

وقد كانت أول إضافة معمارية في الأزهر هي ما قام به الأمير عز الدين إيدمر[3] في سنة 665هـ/ 1266م من تخصيص جزء كبير من أمواله الخاصة بالإضافة للتبرعات التي قام بجمعها من السلطان الظاهر بيبرس لترميم الجامع الأزهر فأصلح حوائطه وأعاد طلاءها[4] وقد تمت عمارة أخرى على يد الأمير (سلار)[5] بعد وقوع الزلزال الذي ضرب مصر في شهر ذي الحجة سنة 702هـ/ 1302م[6]. وأيضاً تمت عملية أخرى لتعمير الجامع على يد القاضي (نجم الدين محمد بن حسين) محتسب القاهرة[7] ، أما من ناحية

---

1 – الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1994 ، جـ4 ، ص 81

2 – حجة بيبرس : م 126 رقم عام 30، دار الوثائق القومية ، القاهرة .

3 – انظر ترجمة ص 28 ، حاشية رقم (2) .

4 – المقريزي : الخطط ، جـ3 ، ص 76 .

5 – الأمير سلار : بن عبد الله المنصوري ، سيف الدين ، كان نائب السلطنة في مصر ، وكان يشتهر بحبه للخير ، وأنفق الكثير على المشروعات الخيرية في مثله ، انقلب عليه السلطان الناصر محمد بن قلاوون وحبسه في القلعة وظل محبوساً حتى توفي عام 710هـ/ 1330م . انظر ابن تغري : المنهل الصافي ، جـ6 ، ص 5 – 13 .

6 – المقريزي : المصدر السابق ، جـ3 ، ص 161 .

7 – لم يعثر على ترجمة للقاضي نجم الدين محمد بن حسين ، وإنما ذكر اسمه فقط في المقريزي. انظر المصدر السابق ، جـ3 ، ص 161 .

المآذن التي قام السلاطين بإنشائها ففي سنة 800 هـ/ 1397م تم هدم المئذنة القصيرة بالجامع وتم بناء مئذنة أطول منها ، بلغت تكاليفها حوالي خمسة عشر ألف درهم ، وأقيم احتفال كبير بإنشاء هذه المئذنة التي أضيئت بالأنوار واجتمع القراء يقرئون آيات القرآن الكريم. وكان إنشاء هذه المئذنة في عهد السلطان برقوق ، وقد تم هدمها في سنة 817هـ/ 1414م نتيجة لعيب ظهر فيها[1] وكادت أن تسقط فتم إنشاؤها من الحجر[2] وأُخذت أحجارها من مدرسة الأشرف خليل(وقد قامت محاولة تشجير الجامع من خارجه ولكن الأشجار لم تنمُ ، ثم توجت الأعمال العمرانية للجامع بإنشاء العديد من المآذن ، مثل المئذنة التي قام بإنشائها الملك الأشرف قايتباي في سنة 883هـ/ 1468 - 1469م) وأيضاً قيام السلطان قنصوة الغوري ببناء مئذنة ذات رأسين تُعرف بمئذنة السلطان الغوري[3].

ولم تقتصر الإضافات المعمارية على المسجد من الخارج فقط ، بل امتدت يد العمران والإصلاح لتشمل الجامع الأزهر من الداخل ففي سنة 818هـ/ 1415م بدأ في إنشاء صهريج للمياه وبأعلاه مكان لجريان المياه ، كما تم إنشاء ميضأة للجامع وكانت تحتل مكان المدرسة الاقبغاوية[4] .

ولما هُدمت قام الأمير (بدر الدين جنكل)[5] ببناء ميضأة جديدة بدلاً منها[6] .

---

1 - المقريزي : الخطط ، جـ3 ، ص 162 .

2 - المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، دار الكتب ، 1972م ، جـ4 ، قسم 2 ، ص 698 .

3 - ابن إياس : مصدر سبق ذكره ، جـ10، ص 143 .

4 - المدرسة الأقبغاوية : بناها الأمير أقبغا عبد الواحد ، وتقع على يسار الداخل للجامع الأزهر ، ويتميز بوجود منارة من حجارة منحوتة ، وتعتبر أول مئذنة في مصر مبنية من الحجر ، وكان يدرس في هذه المدرسة المذهب الشافعي ، ويسكنها جماعة من الصوفية. أما الأرض التي بنيت عليها المدرسة فكانت ملكاً للأمير عز الدين إيدمر الحلي . انظر المقريزي : المصدر السابق ، جـ3 ، ص 349 ، 350.

5 - بدر الدين جنكل : بدر الدين جنكل بن البابا ، كان رئيساً للميمنة ، وتولى عدة مراكز ومناصب في عهد السلطان محمد بن قلاوون ، اشتهر بحبه للعلم ، توفي في عام 746هـ/ 1345م . انظر ابن تغري : المنهل الصافي ، جـ5 ، ص 21 ، 22 .

6 - المقريزي : نفسه ، جـ3 ، ص 162 .

ولم تقتصر عمارة الجامع الأزهر على المباني فقط بل امتدت أيضاً لتعميره من الناحية العلمية والتعليمية ، فقد قام الأمير (بدر الدين بيليك)[1] بإقامة مقصورة بالجامع خُصصت لتدريس المذهب الشافعي ، وتدريس الحديث النبوي الشريف ، كما رتب جماعة لقراءة القرآن الكريم وخصص لها أوقافاً للإنفاق منها على العلماء[2].

كما أضاف المماليك إلى الجامع الأزهر مجموعة من المدارس لكي تكون رافداً من روافد الأزهر ، وكانت تعتمد عليه في إمدادها بالمدرسين ومن أشهر هذه المدارس:

المدرسة الطيبرسية

قام بإنشائها الأمير علاء الدين طيبرس الخازندار[3] ، نقيب الجيوش وتقع هذه المدرسة على يمين الجامع الأزهر ، وكان الغرض من إنشائها أن تصبح مسجداً ثم قرر لها مدرساً للفقه الشافعي[4] ، وتتميز هذه المدرسة بنمط معماري مميز ، من حيث كثرة عدد الرخام المستخدم في بنائها ووجود سقف مذهب بها ، ثم تم إلحاق مكتبة بها . وكان الفراغ من بناء هذه المدرسة في سنة 709هـ/ 1309م واشتهرت هذه المدرسة بمجموعة من المدرسين فيها مثل العلامة (سعد بن محمد بن عجلون الأزهري)[5] المولود في سنة

---

1 - بيليك : بن عبد الله الظاهري الخازندار ، كان يتولى منصب نائب السلطنة بمصر ، ومقدم الجيوش ، اشتهر بحبه للخير والصدقات ، أوقف على الجامع الأزهر لتدريس المذهب الشافعي ، توفي عام 676هـ/ 1277م ودفن بتربته في القرافة . انظر ابن تغري بردي : مصدر سبق ذكره ، جـ3 ، ص 153 ، 154 .

2 - ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، ص 184 .

3 - علاء الدين طيبرس : ابن عبد الله الوزيري ، كان في خدمة الأمير بدر الدين بيليك ، ثم انتقل خدمة الأمير بدر الدين ميدرا ، ثم تولى نقابة الجيوش في عهد السلطان لاجين ، وقد اشتهر بالطهارة ونظافة اليد ، من أشهر أعماله إنشاء خانقاه بأرض الشط ، توفي عام 719هـ/ 1319م . انظر المقريزي : الخطط ، جـ3 ، ص 348 .

4 - المقريزي : المصدر السابق ، جـ3 ، ص 348 .

5 - سعد بن عجلون : كان من العلماء المشهورين بالخير ، وكان يحفظ القرآن الكريم ويلازم الذكر والعبادة ، توفي سنة 839هـ/ 1435م . انظر السخاوي ، الضوء اللامع ، مكتبة المقدسي ، القاهرة ، 1353هـ ، جـ3 ، ص 248 .

839هـ/ 1435م وكذلك الشيخ محمد بن أبي الفتوح الشافعي المعروف بابن الريس[1].

المدرسة الأقبغاوية:

ومن المدارس أيضاً التي أنشئت في عصر المماليك المدرسة الأقبغاوية وقام بإنشائها الأمير (علاء الدين أقبغا بن عبد الواحد)[2] استادار الملك الناصر محمد بن قلاوون وتقع على يسار الجامع الأزهر ، وتم إنشاؤها على يد المعلم ابن السيوفي[3] رئيس المهندسين ، وأقيمت على أرض مغتصبة من دار الأمير (عز الدين إيدمر) ، كما تم ضم ميضأة الجامع لهذه المدرسة[4]. وتتميز المدرسة بوجود مئذنة من الحجر المنحوت وتعتبر أول مئذنة في مصر مبنية من الحجر ، وقد قرر فيها أقبغا إماماً ومؤذناً ووضعت تحت إشراف القاضي الشافعي في مصر[5]. ومن المدارس الملحقة بالأزهر المدرسة الجوهرية ، وقد بناها الأمير جوهر القنقبائي[6] في سنة 844هـ/ 1440م ، وهي مدرسة صغيرة الحجم ومكانها في شرق الإيوان الشرقي للجامع الأزهر ، وقام بالإشراف على

---

1 - ابن الريس : محمد بن علي بن أحمد بن إسماعيل أبو الفتح ، ولد في عام 820هـ/ 1417م بالقاهرة وتلقى العلم بها وتتلمذ على يد السخاوي ، وكان يدرس في المدرسة الطيبرسية ، وسمي ابن الريس لأن أباه كان كبير الوقاد بالأزهر ، توفي عام 862هـ/ 1457م . انظر السخاوي : مصدر سبق ذكره ، جـ8 ، ص 157 .

2 - أقبغا بن عبد الواحد . الأمير علاء الدين وبقية اسمه عبد الواحد نسبة للتاجر الذي باعه للناصر محمد بن قلاوون ، وقد عمل استاداراً للملك الناصر محمد بن قلاوون ، وتولى منصب مقدم المماليك ، وقد اشتهر بالظلم والطمع وجمع بذلك ثروة كبيرة ، مات مقتولاً في سنة 744هـ/ 1343م . انظر المقريزي : الخطط ، جـ3، ص 350 - 352 .

3 - السيوفي : كان رئيس المهندسين في عهد الملك الناصر ، وكان من أشهرهم وأشهر أعماله بناء الجامع المارداني خارج باب زويلة ، وبنى مئذنته بالإضافة لقيامه ببناء المدرسة الأقبغاوية . انظر المقريزي : المصدر السابق ، جـ3، ص 349.

4 - المقريزي : المصدر السابق ، جـ3 ، ص 349 .

5 - المقريزي : نفسه ، جـ3 ، 350.

6 - جوهر القنقبائي : بن عبد الله الطواشي الحبشي الخازندار ، كان أصله من خدام الحطي داود بن سيف أرعد ملك بلاد الحبشة ، وتم إهداؤه للسلطان برقوق ، وقد تولى منصب الخازندارية ، وامتاز بالعقل والسكون من أشهر أعماله بناء المدرسة الجوهرية في عام 844 هـ/ 1440م كما اشتهر بالزهد والصلاح ، توفي عام 844هـ/ 1440م عن عمر يناهز سبعين عاماً . انظر ابن تغري : المنهل الصافي ، جـ5 ، ص 38 - 42 .

المدرسة مشايخ كثيرون من أشهرهم الشيخ (محمد عبد الرحمن المحب الحسني)[1] الذي كان يقوم بتدريس المنطق فيها وتوفي ربيع الأول سنة 823هـ/ 1420م. وباهتمام المماليك بالأزهر على النحو الذي ذكرناه ، يكون الأزهر قد استكمل مقومات نجاحه في الدور الذي سيقوم به في هذا العصر ويصبح منارة علمية ذاخرة بالعلم والتعليم والمتعلمين ، وسيصبح مركز جذب لكل الدارسين في العالم الإسلامي وخاصة في أفريقيا التي نحن بصدد الحديث عنه.

1 – محمد عبد الرحمن المحب الحسني : القاهري الأزهري ، ولد في عام 774هـ/ 1372م بمكة وتلقى العلم بالقاهرة ، وكان حنفي المذهب ، اشتغل بتدريس العلوم العربية والتربية وتميز في المنطق ، من أشهر تلاميذه حسن الأعرج ، وقد تولى شياخة المدرسة الجوهرية ، وتميز بالوقار والسكون ، توفي عام 823هـ/ 1420م . انظر السخاوي: الضوء اللامع ، جـ8 ، ص 48 ، 49 .

4 - الأزهر بعد العصر المملوكي

بعد سقوط دولة المماليك في عام 922 هـ / 1517م ، دخلت مصر في حوزة الدولة العثمانية وبدأ الأزهر يدخل في منعطف جديد ، حيث أصابه ما أصاب الحياة المصرية من جمود ، وعلى الرغم من ذلك لم تتوقف يد العمران عن الأزهر فقد شهد في عام 1067هـ/ 1753م إضافات معمارية فقد قام الأمير عبدالرحمن كتخدا مقصورة جديدة بالجامع كما زاد في مساحة الجامع حيث وصل اتساعه إلى حوالي النصف ، كما قام بإنشاء الباب العمومي للأزهر[1] . كما قام عبدالرحمن كتخدا ببناء زاوية للعميان خارج الجامع ، ليدرس فيها الطلبة العميان ، وكانت تتكون من ثلاث حجرات لها أربعة أعمدة ، ومحراب ، وميضأة ومغطس . وكان إنشاء هذه الزاوية في عام 1148هـ/ 1735م. ومن عمائر الأمير عبدالرحمن كتخدا إنشاء رواقيْ الأتراك والسليمانية .

كما قام الوزير العثماني أحمد باشا كور مزولتين[2] من الرخام للجامع وُضعت إحداهما على الواجهة الغربية للجامع ، والأخرى وضعت فوق سطحه . وقد كان هذا الوزير مهتماً بالفلك وأراد تدريسه في الجامع الأزهر[3] .

1 - أحمد محمد عوف : الأزهر في ألف عام ، مجمع البحوث الإسلامية ، القاهرة ، 1970، ص 41 .

2 - مزولة : آلة لقياس الوقت .

3 - المرجع السابق . ص 42 .

5 - التنظيم الإداري للأزهر

منصب شيخ الأزهر:

وقد تطور الأمر وظهر منصب شيخ الأزهر في القرن الحادي عشر الهجري ، حيث تم الاتفاق على أن يتولى إدارة الأزهر الشريف ، وشئونه التعليمية أحد العلماء المشهود له بالعلم والكفاءة أيًّا كان مذهبه الفقهي . وقد جرت العادة ألا يُعزل شيخ الأزهر من منصبه ، ثم أصبح يعزل بعد ذلك وأول شيخ عُزِل هو الشيخ مصطفى العروسى .

وقد كان الخديوي هو الذي يقوم بتعيين شيخ الأزهر ، وبعد إعلان اسم المرشح للخديوى يخلع عليه خلعة سنية ، ويتم ذلك في موكب كبير يحضره كافة العلماء . كما كان يراعى عند اختيار شيخ الأزهر أن يكون المرشح متفقاً عليه من جميع العلماء . وأول من تم اختياره شيخاً للأزهر هو الشيخ محمد عبدالله الخرشي . وقد بلغ عدد من تولوا منصب مشيخة الأزهر حوالي أربعة وأربعين شيخاً حتى الآن .

6 - القوانين المنظّمة لعمل الأزهر الشريف

أولاً: قانون عام 1885م:

صدر هذا القانون في عهد الشيخ محمد المهدي ، وهو بخصوص تنظيم من يتولى التدريس بالأزهر . واشترط هذا القانون على أن من يقوم بالتدريس في الأزهرلابد له من اجتياز امتحان في أحد عشر علماً من علوم الأزهر وهي التفسير ، والحديث ، والفقه ، والتوحيد ، وأصول الفقه ، والنحو ، والصرف ، والمعاني ، والبيان ، والبديع، والمنطق . وكان يجب على كل من يتقدم للتدريس أن يعد درساً ويلقيه أمام جماعة من العلماء ، يجتمعون في بيت شيخ الأزهر ، وإذا نجح الطالب سمح له بالتدريس في الأزهر . وكان غالباً لايسمح للتدريس سوى لستة فقط كل عام[1] .

ثانياً: قانون 1896م:

صدر هذا القانون في عهد الشيخ حسونة النواوي (1313هـ / 1896م) وقد صدر القانون بالتعاون مع الإمام محمد عبده . وقد كانت أبرز ملامح هذا القانون إدخال علوم حديثة مثل الجغرافيا ، والحساب ، والجبر ، والهندسة ، والتاريخ ضمن مناهج الدراسة بالأزهر . كما وضع هذا القانون شروط الانتساب في الأزهر .

وكان من أحكام هذا القانون إنشاء الشهادة الأهلية وتُمنح لمن قضى ثمان سنوات في الأزهر ويؤدي الامتحان أمام لجنة مكونة من ثلاثة علماء . كما أنشأ القانون شهادة العالمية وكانت تمنح لمن قضى اثنى عشر عاماً في الدراسة ، ويؤدي امتحاناً أمام لجنة مكوَّنة من ستة علماء[2] .

---

1 - شوقي عطا الله الجمل : الأزهر ودوره السياسي والحضاري في أفريقيا ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1988م ص 19 ، 20 .

2 - المرجع السابق . ص 21 .

ثالثاً: قانون 1908م:

صدر هذا القانون في عهد المشيخة الثانية للشيخ حسونة النواوي . وفيه تكون مجلس أعلى لإدارة الأزهر . وكان يتكون من ستة أعضاء وهم مفتي الديار المصرية ، وشيخ الشافعية ، وشيخ المالكية ، وشيخ الحنابلة ، واثنين من موظفي الحكومة المصرية ، وكان المجلس برئاسة شيخ الأزهر .

كما نظمت فيه الدراسة ، وقسمت على ثلاث مراحل كل مرحلة مدة الدراسة فيها أربع سنوات . وهذه المراحل هي المرحلة الأولية ، والمرحلة الثانوية ، والمرحلة العالمية ، ويُمنح الطالب بعدها شهادة العالمية .

رابعاً: قانون عام 1911م:

يعتبر هذا القانون من أهم القوانين التي صدرت لتنظيم الأزهر ، حيث تم بموجبه إنشاء المجلس الأعلى للأزهر ، وهيئة كبار العلماء ، وتم فيه وضع نظم لموظفي الأزهر من حيث التعيين ، والترقية ، والتأديب . كما نظم شروط التحاق الطلاب في الأزهر .

وكان لصدور هذا القانون نتائج هامة وهي مضاعفة عدد الدارسين في الأزهر حتى وصل عددهم في عام 1917 م إلى حوالي عشرين ألفاً من الدارسين في جنباته [1] .

خامساً: قانون عام 1923م:

نظم هذا القانون الدراسة في الأزهر وأوجد شهادة التخصص ، وهو قسم يدخله الطالب بعد حصوله على شهادة العالمية للتخصص في الفقه وأصوله والتفسير والحديث . والنحو والصرف والبلاغة والأدب . والتوحيد والمنطق . والتاريخ والأخلاق .

سادساً: قانون عام 1930م:

قام بوضع هذا القانون الشيخ مصطفى المراغي ، الذي تولى عام 1928م ، ولكنه

---

1 - شوقي عطا الله الجمل : مرجع سبق ذكره . ص 22 .

صدر في عهد الشيخ الأحمدي الظواهري . وقد قسم القانون الدراسة في الأزهر لأربع مراحل وهي الابتدائية ومدة الدراسة فيها أربع سنوات . والمرحلة الثانوية ومدة الدراسة فيها خمس سنوات . أما المرحلة الثالثة فهي المرحلة العالمية ، وقد انحصرت في الكليات الثلاث وهي كلية أصول الدين ، وكلية اللغة العربية ، وكلية الشريعة والقانون . أما المرحلة الرابعة فهي مرحلة التخصص وهو تخصص الوعظ والإرشاد ، وتخصص القضاء الشرعي والإفتاء ، وتخصص التدريس ومدته عامان . وتخصص الفقه ، وأصول الدين ، والتوحيد والمنطق ، والتفسير والحديث ، والتاريخ ، والبلاغة والأدب ، والنحو والصرف ومدة كل تخصص خمس سنوات .

سابعاً: قانون عام 1936م:

صدر هذا القانون في عهد المشيخة الثانية للشيخ مصطفى المراغي ، وقام بجمع قوانين تطوير الأزهر في قانون واحد .

ثامناً: قانون عام 1961م:

يعتبر هذا القانون من أهم القوانين التي صدرت للأزهر الشريف ، حيث قام بإضافة العلوم الحديثة للأزهر ، ونظم الدراسة فيه . وكان من أهداف هذا القانون أن يقوم الأزهر بدوره في خدمة الإسلام ، وأن يعلي من مكانة جامعة الأزهر . وأن يحصل دارسوه على قدر من المعرفة الحديثة والتي يحصل عليها أقرانهم في الجامعات الأخرى ، مع الاحتفاظ بالعلوم الدينية والعربية التي ميزت الأزهر الشريف .

والقانون يحتوي على 101 مادة مرتبة في ستة أبواب وهي الأحكام العامة والتي تتعلق باختيار شيخ الأزهر وتعيينه ، وتحدثت عن هيئات الأزهر . والباب الثاني يختص بالمجلس الأعلى للأزهر . والباب الثالث يتحدث عن مجمع البحوث الإسلامية . والباب الرابع يتحدث عن جامعة الأزهر . أما الباب الخامس فيتحدث عن المعاهد الأزهرية .

وبخصوص الباب السادس والأخير فهو عن الأحكام الانتقالية .

وقد كان من نتائج إصدار هذا القانون إنشاء كليات علمية كثيرة مثل كلية الطب ، وكلية الهندسة ، وكلية العلوم ، وكلية اللغات والترجمة وغيرها الكثير . كما كان من نتائجه اشتداد الطلب على الالتحاق بالأزهر الشريف .

الفصل الأول

(ملامح الحياة العلمية في الأزهر)

1 - تحويل الجامع للدراسة في عصر الفاطميين .

2 - الحياة العلمية في عهد الأيوبيين .

3 - الحياة العلمية في عصر المماليك .

4 - الحياة العلمية بعد عصر المماليك .

1 - تحويل الجامع للدراسة في عصر الفاطميين

قام الفاطميون بخطوة مهمة في تاريخ الجامع الأزهر وهي تحويله للدراسة بجانب العبادة، وبدأت تعقد فيه حلقات للدرس وذلك عندما جلس الوزير يعقوب بن كلس[1] بإلقاء دروسه في الفقه من كتابه الذي ألَّفه وكان يعرف بالرسالة الوزيرية. كما عقد أيضاً القاضي (ابن النعمان)[2] مجالس كان يلقي فيها محاضرات على جمهور المستمعين من كتاب سمي (الاقتصار في الفقه الشيعي)، وطلب هذا القاضي إثبات من يحضره من هذه المجالس في دفاتر[3].

كما يعود الفضل للوزير (يعقوب بن كلس) بأنه أول من طلب من الخليفة العزيز بالله أن يخصص للعلماء في الأزهر مرتبات شهرية وأن يقيموا في مساكن حول الجامع الأزهر، كما قام هذا الوزير بترتيب دروس في منزله يحضرها العلماء والشعراء وكان يتقابل معهم كل يوم ثلاثاء. أما دروسه العامة فكان يلقيها يوم الجمعة في الجامع الأزهر بحضور جمع غفير من القضاة والشعراء والفقهاء[4]. وكان لدروسه نظم ومراسيم خاصة، فبعد أن ينتهي من إلقاء دروسه بالجامع الأزهر يقوم الشعراء بإلقاء قصائد المدح في يعقوب ابن كلس وفي شهر رمضان كانت مآدب الطعام تقدَّم لجماعة الفقهاء[5]. وبتلك الأعمال يكون الوزير يعقوب بن كلس واضع أول نظم للدراسة في الجامع الأزهر، وسيتحول الجامع بعدها إلى معهد علمي له شهرة ستصبح ملازمة له حتى الآن وستصبح له مناهجه الخاصة في التعليم وعلوم اشتهر بها وأصبحت عَلَماً عليه.

---

1 - يعقوب بن كلس: كان يهوديًا ثم أعلن إسلامه، كان من كتَّاب كافور الإخشيدي، وبعد قيام الدولة الفاطمية في مصر أصبح وزيراً لها ويعتبر أول وزير للدولة الفاطمية، وأول من اهتم بالأزهر، وتوسط لعلمائه لدى الخلفاء لتقرير رواتب لهم، توفي عام 380 / 990 م. انظر السيوطي: حسن المحاضرة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1968م، جـ2، ص 201.

2 - ابن النعمان: أبو الحسن بن النعمان كان قاضياً شيعيًا، وأول من لُقِّب بلقب قاضي القضاة، وتولى التدريس بالأزهر، وتوفي عام 774هـ/ 984م. انظر السيوطي: المصدر السابق، جـ2، ص 147

3 - المقريزي: الخطط، جـ3، ص 274.

4 - المقريزي: المصدر السابق، جـ3، ص 274.

5 - نفسه، جـ3، ص 275.

مناهج الدراسة في الأزهر:

كانت الدراسة في الجامع الأزهر تتم على شكل الحلقات العلمية ومعنى الحلقات هو تحلُّق الطلاب حول المدرس في الجامع ، وتعتبر الحلقات العلمية هي أنسب النظم الملائمة لشكل الجامع ، حيث إنها لا تحتاج لمقاعد ولكن يجلس الطلاب على الحصر. ولم يتفرد الأزهر بهذا الشكل التعليمي بل شاركته فيه جوامع أخرى . وكانت الحلقات العلمية التي كانت تُعقد في الجامع الأزهر تنقسم إلى حلقات مخصصة للدارسين وحلقات خاصة . فالحلقات المخصصة للدارسين يتولاها علماء يقومون بشرح الفقه وعلوم الدين المختلفة ، وتوقيت عقد هذه الحلقات هو يوم الجمعة بعد الصلاة وتمتد حتى صلاة العصر ، وقد بلغ عدد العلماء الذين يقومون بإدارة تلك الحلقات حوالي سبعة وثلاثين عالماً [1] كان من أشهرهم أبو يعقوب[2] .

وكانت هناك حلقات خاصة يعقدها داعي الدعاة[3] وتسمى مجالس الحكمة ، وكانت تخصص للنقاش في الأمور الدينية والموضوعات المتعلقة بالفقه والتفسير ، وكان يخصص في هذه الحلقات حلقات تحضرها النساء لكي يتفقهن في أمور الدين[4] .

أما عن طريقة التدريس فكانت تتم عن طريق قراءة الدرس في الكتب المقررة مع إملاء أجزاء من الكتاب [5] في كل درس يتم شرحه لكي يكون لدى الطالب مرجع يعود إليه في وقت الحاجة ، كما يكتب الطالب ملاحظات المعلم على الشرح ومنها ظهرت بعد

---

1 – القلقشندي : صبح الأعشى ، ج3 ، ص 274 .

2 – أبو يعقوب : فقيه من فقهاء الدولة الفاطمية ، كان يُعرف باسم أبي يعقوب قاضي الخندق ، ولم توضح المصادر القديمة أي شيء عنه. انظر محمد النادي ، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ، دار المعارف ، القاهرة ، 1970 ، ص106 .

3 – داعي الدعاة : منصب من مناصب الدولة الفاطمية ، يلي في المرتبة مذهب قاضي القضاة ، ويرتدي صاحب المنصب نفس رداء القضاة ، وكان من اختصاص المنصب قراءة مذهب آل البيت ، ويتولى الراغبين في دخول المذهب الشيعي . انظر القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 482 .

4 – المقريزي : الخطط ، ج3 ، ص276 .

5 – حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، دار الفكر ، لبنان ، 1994م ، جـ1 ، ص 47 .

ذلك كتب المتون والحواشي .

وبخصوص العلوم التي كانت تُدرس بالجامع الأزهر فيمكن تقسيمها إلى علوم عامة ، وهي التي كانْ يدرسها جميع الطلاب في أنحاء العالم الإسلامي مثل علوم الدين وعلوم اللغة . وعلوم خاصة وهي العلوم الخاصة بالدعوة الشيعية الإسماعيلية مثل دراسة الفقه الشيعي والعقائد[1] .

أما الكتب التي كانت تدرس في الجامع الأزهر في تلك الفترة فأشهرها كتاب دعائم الإسلام. كتاب الاقتصار للقاضي النعماني القيرواني . وكتاب الرسالة الوزيرية ومختصرها التي ألَّفها الوزير يعقوب بن كلس ، وهو كتاب في الفقه الشيعي رُتِّب على حسب أبواب الفقه [2] وكان من الكتب المعتمدة في الفتوى ، وكان هذا الكتاب أيضاً يدرس في جامع عمرو بن العاص ، أما بالنسبة لكتاب الاقتصار فهو ملخص لكتاب في الفقه الشيعي اختصره القاضي النعمان وقام ابنه بتدريسه في المحاضرات التي كان يلقيها في الجامع الأزهر.

وكما تنوع الاهتمام بتدريس العلوم في الأزهر تنوع أيضاً الاهتمام بالعلماء والطلاب الذين كانوا يتعلمون ويدرسون في الأزهر ، وقد وجدوا عناية كبيرة من الخلفاء والوزراء وقد تنوع الطلاب من حيث النوع فكان هناك طلاب من الذكور وطلاب من الإناث ، لذا كان من الطبيعي أن يبرز علماء في كافة المجالات ويكون لهم أثر في إثراء الحياة العلمية في الأزهر.

اهتمام الفاطميين بعلماء الأزهر ومظاهر تكريمهم وأشهرهم:

اهتم الخلفاء الفاطميون بعلماء الأزهر وشجَّعوهم ، وكان دافع الخلفاء إلى ذلك التشجيع والتكريم ، هو أن دولة الفاطميين في مصر قامت على أساس مذهبي ، وكان

---

1 - المقريزي : الخطط ، ج3 ، ص 274 .

2 - تُرتب أبواب الفقه على النحو التالي : باب العبادات ويتناول العبادات من صلاة وصوم ... الخ وباب المعاملات ويتناول البيوع والنكاح والطلاق.

احتياجهم للعلماء ضرورياً ، حيث كان هؤلاء العلماء يتولون نشر الدعوة الشيعية والترويج لها ، وقد تباينت مظاهر التشجيع ما بين تشجيع مادي وتشجيع معنوي.

ومن أبرز مظاهر التشجيع المادي إغداق الأموال على العلماء لكي يتفرغوا لنشر العلم ، كما كان يتم تخصيص الدور لسكنى هؤلاء العلماء بجوار الأزهر[1]. وقد تجلت هذه المظاهر في عهد الخليفة العزيز بالله ، حيث ذكر المقريزي[2] أن الوزير يعقوب ابن كلس طلب من الخليفة العزيز بالله ترتيب رزق جماعة من العلماء فأمر العزيز بالله بتخصيص أموال لشراء منازل خاصة لهؤلاء العلماء ، وتخصيص بغال يركبها هؤلاء العلماء في الاحتفالات التي كانوا يشاركون فيها ، كما أن الإغداق المالي على العلماء لم يكن مقصوراً على الخلفاء فقط ، بل تبارى الوزراء أيضاً في الإغداق على هؤلاء العلماء وترتيب دروس في منازلهم ، ويكفي للتدليل على ذلك ما قام به الوزير يعقوب بن كلس من تحويل منزله لمنتدى يجمع العلماء والشعراء ، كما كان يخصص لهم أموالاً وأطعمة كانت تُقدم لهم[3].

أما عن التكريم المعنوي للعلماء فهو قيام الخلفاء باصطحابهم المدرسين في المواكب التي كانوا يقيمونها ، ومن أشهرها موكب فتح الخليج[4] والأعياد ، كما كانت تخصص لأصحاب بعض المناصب العلمية ملابس من كسوة الخلفاء أنفسهم.

وقد تولى الخلفاء الفاطميون تعيين المدرسين في الجامع الأزهر وترتيب الدروس لهم بمواعيد منتظمة ، وكانت بدايات التعيين في الجامع الأزهر ، عندما صدر أمر بتعيين ما يفوق عن ثلاثين[5] عالماً لتولي التدريس بالجامع ، وكانوا يعقدون مجالسهم في كل يوم جمعة عقب صلاة العصر ، وكان صاحب فكرة التعيين ومقترحها هو الوزير

1 – القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 363 .
2 – المقريزي : الخطط ، جـ3 ، ص 274 .
3 – ابن خلكان : مصدر سبق ذكره ، جـ7 ، ص 29 .
4 – المسبحي : مصدر سبق ذكره ، ص 30 .
5 – النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1990م ، جـ30 ، ص 136 .

يعقوب بن كلس كما سبق القول . وكان من الطبيعي نتيجة تشجيع العلماء والرعاية التي وجدوها من قبل الخلفاء الفاطميين مع تنوع مجالات الدراسة ، أن ظهرت جماعات كبيرة من العلماء في العصر الفاطمي سواء من تولوا التدريس في الجامع الأزهر أو كان لهم نشاط علمي في خارج هذا الجامع ، والملاحظ على هؤلاء العلماء تنوع مجال دراساتهم وتخصصاتهم فظهر منهم المؤرخون والمتكلمون والفلاسفة.

وكان من أشهر علماء التاريخ في العصر الفاطمي المؤرخ العالم الحسن بن ذولاق المتوفى في سنة 387هـ/ 988م وله جملة من التآليف في التاريخ مثل كتاب أخبار قضاة مصر[1]. ومن كوكبة علماء التاريخ الذين ظهروا في هذا العصر «المسبحي» وكان يلقي دروساً في التاريخ وله مصنفات تاريخية أيضاً من أشهر الكتب التي صنفها «أخبار مصر في سنتين» وقد توفى المسبحي في عام 420 هـ/ 1029م[2]. ولذلك ظهر المؤرخ القاضي أبو عبد الله بن سلامة القضاعي المتوفى سنة 454هـ/ 1062م ومن أشهر مؤلفاته كتاب عن تاريخ مدينة القاهرة وخططها[3] ، وله من المؤلفات أيضاً كتاب مناقب الإمام الشافعي ، وكتاب الأنبياء ، وكتاب تاريخ الخلفاء.

أما عن علماء اللغة الذين ظهروا في العصر الفاطمي ، وكانت كتبهم تدرس في الأزهر (الحوفي)[4] المتوفى سنة 430 هـ/ 1038م وكان له باع طويل في تفسير القرآن الكريم وعلم النحو ومن أشهر مؤلفاته كتاب إعراب القرآن الكريم في عشرة أجزاء[5]. واشتهر أيضاً العالم ابن بابشاذ النحوي واسمه الحقيقي «أبو الحسن طاهر بن أحمد»

1 - ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ2 ، ص 91 ، 92 .

2 - ابن خلكان: المصدر السابق ، جـ5 ، ص 377 ، 379 .

3 - علي مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ5 ، ص 117 .

4 - الحوفي : أبو الحسن علي بن ابراهيم بن سعيد الحوفي النحوي ، كان عالماً في اللغة العربية وعلم التفسير ، تتلمذ على يد أبي بكر الإدفوي، ولقي جماعة من علماء المغرب وتصدر لإثراء اللغة العربية ، من أشهر مؤلفاته ، كتاب إعراب القرآن الكريم ، وله قصائد في علم النحو ، توفي عام430هـ/ 1038م . انظر : المصدر السابق ، جـ3 ، ص 300 ، 301 .

5 - حاجي خليفة : كشف الظنون ، جـ1 ، ص 152 .

ومن أشهر مصنفاته كتاب شرح الأصول[1] وشرح الجمل[2] وتوفي ابن بابشاذ في سنة 469هـ/ 1077م ومن علماء القراءات اشتهر العالم (أحمد بن هشام) [3] المصري المتوفى سنة 560 هـ/ 1164م ، وكان يعتبر من أئمة علم القراءات واشتهر بنسخ الكتب الأدبية.

ولم يقتصر العلماء في العصر الفاطمي على العلوم اللغوية والشرعية فقط ، بل وجدت العلوم الطبيعية والفلسفية لنفسها مكاناً في جنبات الجامع الأزهر . فمن علماء الطبيعة الذين اشتهروا في هذا العصر ابن يونس[4] المنجِّم الفلكي المصري وله مؤلف كبير في أربعة مجلدات عن علم الفلك ، كما قام بوضع جدول فلكي عرف باسم الزيج الحاكمي نسبة للحاكم بأمر الله الفاطمي ، كما كان له اهتمامات بفن الشعر[5].

وهكذا نشط الأزهر نشاطاً علمياً واضحاً لكن هذا النشاط وجد منافسة من مدرسة علمية أخرى عُرِفت بدار الحكمة ، تلك الدار التي قام بإنشائها الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي في عام 395هـ/ 1005م وقد خصصت هذه الدار لدراسة المذهب الاسماعيلي[6]،

---

1 - شرح الأصول : هو شرح لكتاب ابن السراج في النحو ، واسم المؤلف الحقيقي أبو بكر محمد النحوي وتناول اختلاف النقل ، واختلاف الأقوال . انظر حاجي خليفة ، مصدر سبق ذكره ، جـ2 ، ص 479 .

2- شرح الجمل : هو شرح لكتاب الجمل تأليف أبي القاسم عبد الرحمن الزجاجي ، المتوفى سنة 339هـ/ 940 م ، وتميز الكتاب بطوله وكثرة أمثلته وموضوعاته في النحو . انظر المصدر السابق ، جـ2 ، ص 472 ، 473 .

3 - ابن هشام : أبو العباس أحمد بن عبد الله بن الحطيئة الفاسي ، ولد عام 478هـ/ 1085م في مدينة فاس بالمغرب، وانتقل للإقامة في مصر ، واشتهر بالصلاح وحب الأدب ، وكان من علماء القراءات السبع ، وكان يتولى نسخ الكتب بيده ، توفي عام 560 هـ/ 1161م. انظر ابن خلكان : مصدر سبق ذكره ، جـ1 ، ص170.

4 - ابن يونس : أبو الحسن علي بن سعيد بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس ، كان مختصاً بعلم الفلك والنجوم ، بارعاً في الشعر ، وكان يتميز بأحوال غريبة مثل صعوده للمقطم وارتدائه ملابس خاصة لكل نجم من النجوم، من أشهر مؤلفاته الزيج الحاكمي ، توفي عام 399هـ/ 1008م . انظر ابن خلكان : المصدر السابق ، جـ3 ، ص 429 ، 431 .

5 - نفسه ، جـ3 ، ص 429 ، 431 .

6 - دار الحكمة : افتتحت في شهر جمادى الآخر عام 395هـ/ 1005م ، وحملت الكتب إليها من خزانة الحاكم بأمر الله الفاطمي ، وشهدت إقبال كثير من القراء وناسخي الكتب ، كما هيئت بالعمال والخدم للعناية بها ، وكانت تعطي كل طالب علم ما يلزمه من أوراق وأقلام بالإضافة لصرف رواتب لهم وقد أغلقها الأفضل ابن بدر الجمالي ، ثم أعيد افتتاحها عام 517هـ/ 1133م . انظر المقريزي : اتعاظ الحنفا في ذكر الأئمة الفاطميين الخلفا ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، 1996م ، جـ2 ، ص56 .

وقد نافست هذه الدار الأزهر لمدة ما يقرب من مائة عام. ولذلك يجدر بنا أن نوازن بين الأزهر وهذه الدار.

أولاً : أوجه الشبه بين الأزهر ودار الحكمة :

من اللافت للنظر أن التعليم كان في الجامع الأزهر بالمجان دون أن يتكلف الطالب أية مبالغ ، وكذلك دار الحكمة كانت الدراسة فيها بالمجان. ومن ناحية التمويل فقد خصص للأزهر أوقاف للصرف منها على الجامع ، وكذلك دار الحكمة خصصت لها أوقاف[1].

ثانياً : أوجه الاختلاف بين الأزهر ودار الحكمة :

من أبرز مظاهر الاختلاف بين الأزهر ودار الحكمة هو الناحية التعليمية ومن ناحية المناهج ، فبينما كان الأزهر يتولى تدريس العلوم الدينية والعربية وبعضاً من العلوم العقلية[2] ، نجد أن دار الحكمة كانت مخصصة لدراسة مبادئ المذهب الاسماعيلي.

كما وجد اختلاف أيضاً من حيث شروط قبول الطلاب ، فبينما كانت دار الحكمة لا تقبل إلا الطلبة الذين يعتنقون المذهب الاسماعيلي نجد أن الأزهر كان لا يشترط هذا الشرط[3].

والناحية الأخرى من الاختلاف أن الأزهر كان الهدف منه هو تخريج عالم الدين بينما دار الحكمة كان يتخرج منها دعاة المذهب الاسماعيلي بالإضافة لاستمرار الأزهر في دوره حتى اليوم بينما دار الحكمة لم تصمد طويلاً ودارت حولها الأقاويل مما حدا بالدولة الفاطمية لإغلاقها في عام 513هـ/ 1119م[4]. وعلى أية حال فقد استمر الأزهر في القيام

---

1 - المقريزي : الخطط ، جـ3 ، ص 158 ، 159 .

2- المقريزي : اتعاظ الحنفا ، جـ2 ، ص 56 .

3 - المصدر السابق ، جـ2 ، ص 56 .

4 - المقريزي : نفسه ، جـ2 ، ص 56 .

بدوره العلمي والتعليمي في العصر الفاطمي ، ولكن في نهاية العصر الفاطمي وقيام العصر الأيوبي تحول الأزهر إلى كم مهمل نتيجة لسياسة الدولة الأيوبية ، ولكن على الرغم من عدم الاهتمام الرسمي ظل الأزهر موجوداً في الوجدان الشعبي حتى استأنف دوره في عصر سلاطين المماليك.

2 - الحياة العلمية في عهد الأيوبيين

بظهور المدارس والخانقاوات التي قام بإنشائها سلاطين الدولة الأيوبية والتي أشرنا إليها أصبح الأزهر يتعرض لمنافسة من تلك المدارس ، حيث اجتذبت إليها أعداداً كبيرة من العلماء نتيجة الإغراءات المالية التي كانت تعطى لمن يعمل في هذه المدارس بسبب وفرة مواردها المالية . وعلى الرغم من ذلك احتفظ الأزهر بشيء من مكانته العلمية وكان مفتوحاً لجميع المسلمين من كافة البلاد ، وكان السبب في احتفاظ الأزهر بمكانته العلمية تدريسه لكافة العلوم ، على العكس في المدارس التي قامت على أساس تخصيصها لمذاهب معينة ، كما حدث في هذا العصر أقصد العصر الأيوبي[1].

كما كان الأزهر مقصداً للعلماء الوافدين إلى مصر ويعتبر الجلوس للتدريس فيه شرفاً لكل عالم . ومن أشهر العلماء الوافدين إليه (عبد اللطيف البغدادي)[2] الذي قدم إلى الأزهر في سنة 589هـ/ 1193م وجلس للتدريس فيه حوالي ست سنوات ، وكان يقوم بتدريس علم الطب ، وكان يعتمد في تدريس ذلك العلم على الطريقة التجريبية العملية[3] التي تعتمد على المشاهدة تبدأ غالباً في أول النهار إلى وقت الظهيرة[4]. وقد وصف لنا مواقيت الدراسة في الأزهر ، حيث كانت تبدأ الدراسة من مطلع النهار إلى وقت الليل ، ومن العلماء الذين وفدوا على مصر والأزهر في عهد الدولة الأيوبية العالم ابن خلّكان[5] الذي وضع كتابه المشهور في مصر. وبذلك يكون الأزهر قد واصل مسيرته العلمية في

---

1 - كانت المدارس تخصص لدراسة فرع معين من العلوم فمثلاً الكاملية خصصت لدراسة الحديث .

2 - عبد اللطيف : موفق الدين عبد اللطيف البغدادي ، طبيب مشهور ، زار مصر في عصر الدولة الأيوبية ، ودرس بالأزهر وله كتاب الإفادة والاعتبار ، وقد نشر هذا الكتاب في مصر سنة 1937م . انظر ترجمته في مقدمة كتاب الإفادة والاعتبار .

3 - عبد اللطيف البغدادي : الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة ، قام بنشره سلامة موسى بالمجلة الجديدة ، القاهرة 1937م ، ص 11 .

4 - المصدر السابق ، ص 11 .

5 - ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ1 ، ص 446 .

العصر الأيوبي ، ولم تؤثر فيه الحوادث التي مر بها من حيث قطع الخطبة أو إهماله بشكل يجعله يفقد دوره التعليمي والتثقيفي بشكل كامل ، ذلك الدور الذي برز بشكل كبير في عصر سلاطين المماليك .

3 - الحياة العلمية في عصر المماليك

كانت العلوم التي تُدرَّس في الأزهر ، هي نفس العلوم التي كانت سائدة في المعاهد العلمية الأخرى في العالم الإسلامي ، وانقسمت هذه العلوم إلى علوم نقلية منقولة عن السلف ، وعلوم عقلية تعتمد على ملكات التفكير ، وفيما يلي حديث عن أشهر تلك العلوم .

أما العلوم النقلية فيأتي على رأسها العلوم الدينية التي من أهمها علوم القرآن الكريم ، وتشمل هذه العلوم علم القراءات وعلم الناسخ والمنسوخ ، وعلم أسباب النزول وعلم الرد على المطاعن . وبالنسبة للعلم الأول وهو علم القراءات فقد اهتمت به برامج التعليم في الأزهر ، وكان من شروط تولي خطابة الجامع الأزهر أن يكون الخطيب من رجالات هذا العلم ، الذي كان الغرض منه معرفة القراءات السبع التي يقرأ بها القرآن الكريم[1].

ومن العلوم النقلية الدينية أيضاً والتي كانت تُدرَّس في الأزهر علوم التفسير وهو علم يهتم بفهم معاني القرآن الكريم ، وينقسم بدوره إلى نوعين هما تفسير عقلي وتفسير نقلي ، فأما التفسير النقلي فيعتمد على الروايات المتواترة بدون إعمال الرأى[2] ، بعكس التفسير العقلي الذي يعتمد على الرأي وعلى الروايات المتوافرة أيضاً.

ومن العلوم النقلية الدينية التي كانت تدرس في الأزهر أيضاً علم الحديث النبوي الشريف . وقد اهتم به المسلمون لأنه مصدر من مصادر التشريع الإسلامي ، وتدور موضوعاته حول معرفة الناسخ والمنسوخ وتصحيح السنة[3]. واشتهر بتدريس

1ـ ابن خلدون : المقدمة ، المطبعة الشرقية ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص 488 .

2 - ابن خلدون: المصدر السابق ، ص 490 ، 491 .

3 - نفسه ، ص 491 ، 492 .

علم الحديث ابن حجر العسقلاني[1] الذي وفد إلى مصر ودرَّس وخطب في الجامع الأزهر.

ويأتي علم الفقه ضمن العلوم الدينية الهامة التي وجدت مجالاً في رحاب الأزهر، لأن هذا العلم تتم به معرفة الأحكام الشرعية[2]. وكان يرتبط به علم آخر وهو علم أصول الفقه، وموضوعات هذا العلم هي معرفة مصادر التشريع مثل القرآن الكريم والسنة النبوية واستنباط الأحكام منهما ومن العلوم التي ارتبطت أيضاً بالفقه وأصوله علم الفرائض وهو علم البحث في معرفة توزيع الأنصبة الشرعية في المواريث[3]. وكانت طريقة تدريس الفقه وغيره من العلوم بصفة عامة تعتمد على نظام الحلقات وكل حلقة كانت تخصص لتدريس مذهب معين من المذاهب الأربعة.

ومن أشهر العلوم الدينية علم التصوف وكان تدريسه حديث العهد في تلك الفترة . وتعود أسباب نشأة هذا العلم إلى انشغال الناس بالأمور الدنيوية وتركهم الاهتمام بالدين[4]. وكانت موضوعات هذا العلم متنوعة، وتتطلب التخصص الدقيق في التأليف . فمثلاً نجد أن القشيري والسهروردي تخصَّصا في نوع معين في هذا العلم، فمثلاً القشيري[5] تخصص في الكتابة عن الورع ومحاسبة النفس، بينما نجد السهروردي

---

1 - ابن حجر : أحمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن علي العسقلاني، الشافعي، تتلمذ على يد الأشيطي والقطان تولى مشيخة المدرسة البيبرسية وتولى الخطابة بالجامع الأزهر ودرس التفسير والحديث، من أشهر مؤلفاته شرح البخاري والدرر الكامنة، وإنباء الغمر، توفي عام 852هـ/ 1448م . انظر السخاوي الذيل على رفع الإصر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966م، ص 75، 76 .

2 - ابن خلدون : المقدمة، ص 497 .

3 - ابن خلدون : المقدمة، ص 503، 504 .

4 - القشيري : أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن ولد عام 376هـ/ 986م في خراسان، تلقى العلم على يد علي بن الحسن بن علي النيسابوري وبكر بن أبي بكر الطوسي، من أشهر مؤلفاته التيسير في علم التفسير والرسالة في الفقه، توفي عام 465هـ/ 1072م . انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ3، ص 205 : 208 .

5 - السهروردي : أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن عمويه، ولد في مدينة سهرورد عام 539هـ/ 1144م، تلقى علم التصوف عنه عمه أبو النجيب، من أشهر مؤلفاته عوارف المعارف، توفي عام 632هـ/ 1234م، ببغداد . انظر ابن خلكان، المصدر السابق، جـ3، ص 446، 448 .

قد تخصص في الكتابة عن العلوم المختصة بالتصوف فيما نجد من الصوفية من اشتهر بالتأليف في الفرعين مثل الغزالي[1]. وقد وجد هذا العلم لنفسه مكاناً في جنبات الجامع الأزهر، وتولى تدريسه مشايخ مشهورون ومشهود لهم في علم التصوف من أمثال «قنبر ابن عبد الله العجمي الشيرازي»[2].

ومن العلوم التي ارتبطت بالعلوم الشرعية ارتباطاً وثيقاً علم النحو والصرف والبيان والعروض وعلم اللغة. وقد ألف في هذه العلوم الكثير من الكتب، وتولى تدريسها والتأليف فيها نخبة من العلماء مثل ابن هشام[3] وابن منظور[4].

أما العلوم العقلية التي درست في الجامع الأزهر فهي عديدة منها علم الرياضيات والمنطق والفلسفة والموسيقى، ففي علم الرياضيات وفرعها من الجبر وعلم المساحة نجد أن هناك علماء برزوا في تدريسها من أمثال أحمد السجيني المتوفي سنة 885هـ/ 1480م. كما ارتبط بعلم الرياضيات أيضاً علم الحساب ومن أشهر مدرسي علم الحساب ابن الهائم المتوفى سنة 815هـ/ 1412م.

ومن فروع العلوم العقلية التي وجدت عناية بالجامع الأزهر علم الموسيقى الذي وجد من يقوم بتدريسه والتأليف فيه. ومن أشهر العلماء الذين برعوا في الموسيقى

---

1 - ابن خلدون: المقدمة، ص 523.

2 - قنبر بن عبد الله: العجمي الشيرازي، كان شافعي المذهب، تتلمذ على يد أبيه، وكان أستاذاً في علم المعقولات، وتولى التدريس بالأزهر، واشتهر بميله للزهد، ومن أشهر تلاميذه البساطي والسخاوي، توفي في شهر شعبان سنة 801هـ/ 1398م، انظر السخاوي: الضوء اللامع، جـ6، ص 225.

3 - ابن هشام: جمال الدين عبد الله بن يوسف المصري، ولد في سنة 708هـ/ 1308م، وتوفي في سنة 761هـ/ 1359م، وكان له شهرة كبيرة في علم النحو واشتهر في مصر وبلاد المغرب العربي، وكان يقال عنه أنه أنحى من سيبويه. انظر السيوطي: حسن المحاضرة، جـ1، ص 536.

4 - ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي الأفريقي المصري، من بيت مشهور بالنباهة، برز في علم العربية والفقه والأصول والقراءات، ولد عام 630 هـ/ 1232م، تتلمذ على يد أبي عبد الله بن الفخار، من أشهر مؤلفاته اللمع الجدلية في كيفية تحدث العربية، وكتاب لسان العرب، أغنى قاموس عربى على الإطلاق، توفي عام 711هـ/ 1311م، انظر السيوطي: بغية الوعاة في الطبقات اللغوية والنحاة، دار الفكر، لبنان، 1979م، جـ2، ص 136، 137.

بالأزهر (أبو النجا بن خلف) المصري الشافعي[1].وبالنسبة لعلم الكيمياء فقد قام بتدريسه في الأزهر كوكبة من العلماء ، من أشهرهم «محمد بن عبد الرحمن بن عيسى[2]» 760 – 853هـ/ 1359 – 1449م . أما الهندسة فقد اشتهر بها أحمد السجيني المتوفى سنة 885هـ/ 1480 م[3].

أما عن الكتب التي اختص الأزهر بتدريسها في مجال هذه العلوم ، فقد تنوعت طبقاً لهذه العلوم التي كانت تدرس في الأزهر ، وكان لكل فرع من العلوم كتبه المشهورة. فبالنسبة لكتب الفقه كانت تدرس كتب عديدة حسب المذهب مثل موطأ الإمام مالك[4] بالنسبة للفقه المالكي والمنهاج في الفقه الشافعي ، وبالنسبة لأصول الفقه فكان يدرس كتاب الورقات في الأصول . وبالنسبة لعلم الحديث فكانت تدرس كتب الصحاح الستة ، وهي صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي ، وبالنسبة لعلم تخريج الأحاديث فكانت تدرس كتب مثل البدر المنير ، وبالنسبة لعلوم اللغة العربية فقد كانت كتب التدريس هي كتاب اللمحة البدرية في النحو ، تأليف ابن حيان وشذور الذهب لابن هشام وألفية ابن مالك[5].

امتيازات العلماء الأزهريين في العصر المملوكي:

كان العلماء الأزهريون في العصر المملوكي يتمتعون بامتيازات كثيرة من حيث ألقابهم

---

1 – أبو النجا بن خلف : خلف بن محمد بن محمد بن علي المصري الشافعي ، ولد في سنة 849هـ/ 1445م بمصر العتيقة ، حفظ القرآن الكريم ودرس الفقه والموسيقى والتفسير بالأزهر . انظر السخاوي : الضوء اللامع ، جـ11 ، ص 143 – 145 .

2 – محمد بن عبد الرحمن بن عيسى : بن سلطان أبو الفيض ، ولد في سنة 760هـ/ 1358م بمدينة غزة ، وقدم للقاهرة في سنة 805هـ/ 1402م ، برع في علم الكيمياء ، وتتلمذ على يد السخاوي ، توفي في سنة 853هـ/ 1449م . انظر السخاوي : المصدر السابق ، جـ7 ، ص 298 ، 299 .

3 – التمبكتي مصدر سبق ذكره ، جـ1 ، ص 376 ، 377 .

4 – أحمد بابا التمبكتي : نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ليبيا ، 1989م ، ص91.

5 – أحمد بابا التمبكتي : مصدر سبق ذكره ، ص 334.

ووظائفهم ، وتعيينهم ، والترتيب الطبقي لهم . من الألقاب التي كانت تطلق على العلماء سيد العلماء والحكام وأوحد العلماء وكانت هذه الألقاب للعلماء من أصحاب المرتبة العالية ، أما العلماء الذين يلونهم في الطبقة فكان يُطلق عليهم تاج العلماء والحكام وأيضاً كان يطلق عليهم شرف العلماء والحكام[1]. وهذه الألقاب ألقاب رسمية . كما وجد أيضاً بجوارها ألقاب كان يطلقها العلماء على بعضهم مثل الرحلة والعلامة والصدر .

ومن حيث الوظائف التي كان يتولاها العلماء فقد انقسمت أيضاً إلى عدة أقسام ، فمنها ما كان له صلة بالسلطان أي وظائف رسمية مثل وظيفة قاضي القضاة ، وقاضي العسكر[2] ، ووكالة بيت المال ، والحسبة والفتوى في دار العدل . أما الوظائف الغير رسمية فقد انقسمت بدورها إلى قسمين هما وظائف يتولاها شخص واحد فقط مثل نقابة الأشراف ومرتبة مشيخة الشيوخ وناظر الأحباس وناظر البيمارستان ، ومن يتولاها شخص أو أكثر مثل الخطابة وكانت تعتبر أصل الوظائف لدى العلماء ، وأيضاً مهنة التدريس[3].

أما عن تعيين العلماء فكان يتم من طريقين هما تعيين عن طريق السلاطين ويكون في المساجد الخاصة بالدولة مثل جامع القلعة[4]. أو في المدارس ذات الأهمية الخاصة مثل المدرسة الصلاحية[5] والزاوية الصاحبية[6] بجامع عمرو بن العاص ، ووظائف التدريس بالجامع الطولوني. والطريقة الأخرى التي كان يتم بها تعيين العلماء فكانت

---

1 - القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ6 ، ص 111.

2 - القلقشندي: المصدر السابق ، جـ4 ، ص 34 - 39.

3 - نفسه ، جـ4 ، ص 39.

4 - جامع القلعة : قام بإنشائه الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة 718هـ/ 1318م وعمره أحسن عمارة ، وأنشأ به قبة ، وبعد إتمام بنائه جلس فيه السلطان واستدعى له جميع المؤذنين ، ورتب به قراء ودرساً وخصص له أوقاتاً كثيرة ، وكان مخصصاً ليؤدي السلطان فيه صلاة الجمعة . انظر المقريزي : الخطط ، جـ3 ، ص 247 ، 248.

5 - المدرسة الصلاحية : لمزيد من التفصيل . انظر ص 24 من الفصل التمهيدي.

6 - الزاوية الصاحبية : أنشأها الصاحب تاج الدين محمد بن فخر الدين ، وخصص بها أوقافاً للإنفاق عليها ، انظر المقريزي : المصدر السابق جـ3 ، ص124 .

عن طريق ناظر الوقف وطبقاً لوصية الواقف[1].

وقد ساعدت الأوقاف التي كانت مخصصة للمدارس والمساجد [2] على تمتع العلماء نتيجة لتعدد مواردهم المالية بالاستغلال المالي ، مما سيكون له أثره بعد ذلك في استقلالهم بالرأى وتوجيههم للسلاطين والحكام.

أما عن الملابس التي كان العلماء يرتدونها ، فقد كانت تتميز بالبساطة ، وإن كانت مميزة عن غيرها من الملابس الخاصة لعامة الشعب . وكان زي العلماء يتكون من عباءة مفتوحة[3] ، وشاش كبير يتدلى بذؤابة بين الكتفين طويلة ، وقد تطول الذؤابة أو تقصر طبقاً لمرتبة العالم . وعلى العموم فقد كانت تلك الملابس تُنسج من الصوف أو خلافه عدا الحرير ، وقد كان للعلماء وسيلة انتقال خاصة بهم وهي امتطاء البغال المسرجة سروجاً غير مفضضة[4]. وكانت طبقة العلماء تأتي في المرتبة الخامسة من حيث الترتيب الطبقى[5]. وكان هذا الترتيب يخضع لاعتبارات اقتصادية فحسب وليس له علاقة بمكانة العلماء ، والدليل على ذلك أنه على الرغم من وضعية طبقة العلماء بالنسبة للترتيب الطبقي ، فقد كانوا حلقة وصل بين الحكام والمحكومين.

وقد تميز العلماء في العصر المملوكي بصفات خلقية نبيلة حيث تربطهم بطلبتهم علاقات الأبوة ، كما تميزوا بالتواضع ، مثال ذلك العالم (أحمد بن يعقوب الأطفيحى)

---

1 - وثائق السلطان حسن ، ص 401 .

2 - وثائق السلطان حسن ، المصدر السابق ، ص 401 .

3 - ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ، ممالك مصر والشام والحجاز واليمن ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار ، القاهرة ، 1985م ، ص 50 ، 59 .

4 - المصدر السابق ، نفس الجزء ، ص 51 .

5 - كانت تنقسم طبقة العلماء أربع طبقات وهي على الترتيب ، الطبقة الأولى طبقة الحكام والأمراء ، ويليهم في الطبقة الثانية التجار ، ويليهم في الطبقة الثالثة الباعة ، والطبقة الرابعة هم الفلاحون ، ولكن يبدو أن هذا الترتيب كان له أسبابه في العصر المملوكي ولا يمنع ذلك أن العلماء قد تبوؤا مراكز طبقية متقدمة في العصور الإسلامية ، ومن الممكن أن يكون هذا الترتيب في عصر المقريزي وهو الذي ذكره في الكتاب الذي ألّفه في عصر المجاعة . انظر المقريزي : إغاثة الأمة ، ص 123 .

الذي كان يلقي دروسه وهو واقف [1]. ومن العلماء من تميَّز بالزهد مثل العلامة (مهنا ابن علي البذاري)[2]. وكما كان لعلماء الأزهر صفات خلقية نبيلة ، فقد تميزوا أيضاً بصفات علمية فذة ، حيث تميز كثير منهم بالعقلية العلمية الموسوعية التي تفننت في كل العلوم ومن أشهرهم في ذلك النويري[3] ، والقلقشندي ، وغيرهما الكثير.

ومن أشهر علماء الأزهر الذين قاموا بالتدريس فيه الحافظ ابن حجر العسقلاني – المتوفى سنة 852هـ/ 1448م. وقد اشتهر هذا العالم بتدريس علم الحديث ويعتبر من أشهر المحدثين في مصر وله العديد من المؤلفات مثل (فتح الباري في شرح صحيح البخاري) وكتاب الإصابة في تمييز الصحابة (وله في التراجم كتاب الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة)[4] وقد بلغت مؤلفاته حوالي مائة وخمسين مؤلفاً. ومن العلماء المشهورين بالأزهر أيضاً العالم (برهان الدين[5] والقلتاوي[6] والبحيري[7] . ومن علماء

---

1 – السخاوي : الضوء اللامع ، جـ2 ، ص 245 .

2 – المصدر السابق ، جـ10 ، 174 .

3 – النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن عبادة البكري النويري ، كان فقيهاً فاضلاً ، اشتغل بنسخ الكتب وخصوصاً كتب الأحاديث وقد نسخ صحيح البخاري حوالي ثماني مرات ومن أشهر مؤلفاته التي قام بتأليفها كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب في ثلاثين جزءاً ، توفي سنة 732هـ/ 1331م . انظر ابن تغري بردي: المنهل الصافي ، جـ1 ، ص 381 .

4 – السخاوي : الذيل على الإصر ، ص 75 ، 76 .

5 – برهان الدين : إبراهيم بن أحمد القاضي برهان الدين الأبوذري الأزهري ، ولد سنة 806هـ/ 1403م وتلقى العلم من الشهاب وأبي الفضل الشذالي والبساطي وتميز في علم الفقه وعلوم اللغة العربية ، وقام بالعديد من رحلات الحج ، توفي سنة 859هـ/ 1163م . انظر أحمد التنبكتي ، مصدر سبق ذكره ، ص 64.

6 – القلتاوي : داود بن علي بن محمد الأزهري ، تلقى العلم عن أبي القاسم النويري ، والزيني طاهر وأبي المجد ، كان ماهراً في علوم اللغة العربية والفقه ، وقام بالتدريس في الأزهر لمدة عشرين عاماً ، كما كان يدرِّس في خانقاه سعيد السعداء ، من أشهر مؤلفاته مختصرات لشرح خليل وابن الحاجب ، توفي عام 902هـ/ 1496م . انظر أحمد بابا التنبكتي : المصدر السابق ، ص 176 ، 177 .

7 – البحيري : سليمان بن شعيب بن خضر ، ولد سنة 836هـ/ 1432م وقدم للقاهرة ، وكان يقرأ القرآن الكريم، تتلمذ على يد السنهوري في الفقه ، وأخذ عن العلمي ، وأيضاً تلقى علم البلاغة عن عبد الله الكوراني ، اشتهر بالفقه وقام بالتدريس في الأزهر ، من أشهر مؤلفاته شرح إرشاد ابن عسكر وشرح الجمع . انظر المصدر السابق ، ص 186 ، 187 .

الأزهر الذين حازوا شهرة علمية بالأزهر الدماميني[1].

ولم يكن الأزهر وقفاً على العلماء المصريين فقط ، بل كان جهة ومقصداً للعلماء من كافة العالم الإسلامي ، ومن أشهر هؤلاء العلماء الذين وفدوا على الأزهر ، وكان لهم دور في التدريس به (عبد الرحمن بن خلدون)[2] الذي قام بالتدريس في الأزهر ، وأيضاً العلامة (محمد الفاسي)[3] الذي قام بالتدريس في الأزهر ، وأيضاً العالم الزواوي[4] والغماري[5].

وكما تميز الأزهر بكثرة علمائه ، واختلاف جنسياتهم وتخصصاتهم ، تميز أيضاً بطريقته التعليمية الخاصة به وبامتحاناته . كما اكتملت لدى الأزهر مقومات المعاهد العلمية من حيث إعطاء الشهادات المختلفة لطلابه ، وكذلك كانت له نظمه الخاصة في الامتحانات مما مكّنه من القيام بدور تعليمي كبير.

---

1 – الدماميني : محمد بن أبي بكر بن عمر ، ولد سنة 763هـ/ 1361م ، تتلمذ على يد المتنبى وابن عرفة وابن خلدون ، كان يقوم بتدريس النحو في الجامع الأزهر ، كان يحضر مجالس الملك المؤيد ، من أشهر مؤلفاته تحفة الغريب في حاشية نفى اللبيب ، توفي عام 828هـ/ 1424م . انظر التنبكتي: مصدر سبق ذكره ص 488، 489 .

2 – ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن الحسين بن جابر بن خلدون ، ولد في تونس سنة 732هـ/ 1331م، وتلقى العلم عن الزواوي وابن العربي والحياني ، قد قدم لمصر وتولى التدريس في الأزهر ، ومن أشهر مؤلفاته العبر ، المقدمة ، توفي عام 808هـ/ 1405م ، ودفن في مصر ، أحمد بابا التنبكتي ، المصدر السابق ، ص 250 ، 252 .

3 – محمد الفاسي : محمد بن أحمد بن علي ، من فاس ، تلقى العلم من القرافي وعبد الرحمن بن الخير ، تولى قضاء المالكية في عام 807هـ/ 1404م ، أشهر مؤلفاته شفاء الغرام بأخبار بلد الله الحرام ، مختصر حياة الحيوان ، توفي عام 842هـ/ 1438م ، نفسه ، ص 518 .

4 – الزواوى : أحمد بن صالح بن خلاسة الشهاب الزواوي ، من بلدة زواوة وهي بلدة صغيرة بالقرب من الحدود بين تونس والجزائر ، نزيل الأزهر ، تلقى العلم على يد الشريف بن الكويك ، توفي عام 855هـ/ 1451م عن عمر يناهز السبعين عاماً . انظر السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ1 ، ص 315 ، 316 .

5 – الغماري : أحمد بن عيسى بن عبد الرحمن الغماري ، عمل بالقضاء والإفتاء وتلقى العلم على يد عز الدين بن عبد السلام ، وكان مشهوراً بتفوقه في علم أصول الفقه ، توفي بتونس عام 682هـ/ 1283م . انظر أحمد بابا : نفسه ، ص 79 .

نظام الدراسة في الأزهر:

اتبع الأزهر منذ نشأته طرقاً وأساليب معينة في التدريس استمرت معه والتصقت به لفترة كبيرة من الزمن . وهذه الأساليب والطرق كانت تتبلور في نظام الحلقات التعليمية التي كانت تعقد في جنبات الجامع ولم ينفرد الأزهر بهذا الأسلوب حيث إن هذا الأسلوب أو هذا النظام مناسب تماماً لنظام الجامع .

وكان التصدير هو المتبع في الحلقات ، وتتلخص عملية التصدير في قيام شخص بقراءة شيء من كتب التفسير أمام الشيخ ثم يبدأ الشيخ وهو الذي يطلق عليه لقب المتصدر في تفسير الآية التي وقع عليها الاختيار ثم يقوم بعد ذلك بإلقاء الدرس المقصود[1].

ومن الطرق التي كانت متبعة أيضاً في التدريس بالأزهر طريقة الإملاء[2]. وتعتمد هذه الطريقة على إملاء الدروس على الطلاب للاستذكار منها . وكان من نتائج استخدام تلك الطريقة في التدريس هو وجود كثير من الكتب المخطوطة التي وصلتنا حتى وقتنا الحاضر .

الامتحانات:

أما عن نظام الامتحانات فقد تميزت الامتحانات التي كانت تعقد بالجامع الأزهر بأنها غير مؤقتة بمواعيد معينة ، وإنما كانت تعتمد على مدى قدرة الطالب على الاستعداد للامتحان ، فعندما يجد الطالب في نفسه القدرة على الحفظ والفهم والاستعداد للامتحان كان يتقدم بطلب لعقد هذا الامتحان ، ويعرض الكتاب الذي حفظه على شيوخه الذين يقومون بتدريس ذلك الكتاب[3] ، فيبدأ الشيخ في اختيار بعض الأبواب بطريقة عشوائية ، ويطلب من الطالب الممتحن أن يقوم باسترجاعها ، فإذا تمكن الطالب من

1 – القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ11 ، ص 251 .
2 – حاجي خليفة : مصدر سبق ذكره ، جـ1 ، ص 161 .
3 – القلقشندي : المصدر السابق ، جـ14 ، ص 325 .

الاسترجاع بدون تردد أو خوف ، شهد له الشيخ بمقدرته على الحفظ ، ثم يكتب له ورقة مربعة صغيرة ، ويعلن فيها أن الطالب قد عرض عليه ونجح . وكان يشترك في تحرير هذه الورقة جميع الشيوخ الذين يقومون بتدريس ذلك الكتاب[1] ، وتسمى تلك الورقة إجازة أي شهادة بالنجاح في هذا المقرر أو ذلك الكتاب .

وكانت الإجازات التي يعطيها المدرسون للطلاب في الأزهر ذات قيمة هامة في حياة الطلاب إذ أنها ستؤهلهم بعد ذلك للعمل في التدريس والإفتاء ، وقد انقسمت الإجازات إلى عدة أنواع وهي :

إجازة الفتيا والتدريس :

تُعطى هذه الإجازة للطالب ، إذا تأهل للفتيا أو التدريس ويعطيها له شيخه ، وكانت هذه الإجازة تكتب على ورق عريض ، ونوع الخط فيها يكون رقعة في أسطر متوالية[2].

إجازة عراضة الكتب :

تعطى هذه الإجازة للطالب الذي يحفظ كتاباً في الفقه أو النحو وأي مادة من المواد المقررة ، بعد أن يستظهره على شيخه وتكتب له الإجازة في ورق مربع صغير[3].

إجازة تدريس مادة أو مادتين :

تعطى هذه الإجازة للطالب الذي يرغب في العمل بالتدريس في مادة واحدة أو مادتين ، طبقاً لقدراته وميوله[4].

وكانت الأساليب التي تكتب بها الإجازات مختلفة وخصوصاً في عصر سلاطين المماليك ، حيث اهتمت الإجازات بأسلوب زخرفة العبارات ، مع استخدام أسلوب

---

1 - القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ14 ، نفس الصفحة .

2 - القلقشندي : المصدر السابق ، جـ14 ، ص325 .

3 - المصدر السابق ، جـ14 ، نفس الصفحة .

4 - القلقشندي: نفسه ، جـ14 ، ص 327 .

السجع . وكانت بيانات الإجازة تحتوي على اسم المجاز له ، وذكر نسبة مع عبارات المديح والثناء على الطالب الحاصل على تلك الإجازة ، كما كان يذكر في الإجازة اسم المجيز وذكر أساتذته الذين تلقى العلم عليهم وأسماء مؤلفاته التي قام بتأليفها[1].

كما كانت الألقاب تمنح حسب قيمة الطالب المجاز ، وكانت أشهر الألفاظ المستخدمة هي «الفقير إلى الله تعالى ، الشيخ ، العالم ، العامل ، الأوحد ، الفاضل ، رحلة القاصدين ، فلان بن فلان[2]».

وقد كانت الإجازات تصدر عن المشايخ بصفة شخصية وليس من الجامع ، أي تعود في نسبتها للشيخ المجيز فقط ، كما أنها يمكن أن تُعطَى من أكثر من عالم ، وليس لها مدة موقوتة[3].

إقامة الطلاب في الأزهر:

تميز الجامع الأزهر الشريف ، بتجهيز أماكن لإقامة طلابه ، فكانت تخصص للطلاب أروقة يقيمون فيها ، وكانت هذه الأروقة تعتبر بمثابة مدن جامعية بالمفهوم الحديث ومن أشهر هذه الأروقة رواق المغاربة[4] والبرنو[5]والجبرتية[6] والبرابرة[7] والدكارنة[8]

---

1 - القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ14 ، ص 325 .

2 - المصدر السابق ، جـ14 ، ص 327 .

3 - المصدر السابق ، جـ14 ، ص 327 .

4 - رواق المغاربة : يقع هذا الرواق غرب صحن الجامع الأزهر ، وتم تجديد هذا الرواق في عهد السلطان قايتباي المحمودي ، وقد نزل فيه المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون ، أثناء وجوده في مصر . انظر عبد العزيز الشناوي : مرجع سبق ذكره ، جـ1 ، ص 243 .

5 - رواق البرنو : كان مخصصاً للطلبة الوافدين من السنغال والنيجر وغانا ، ويقع هذا الرواق في زاوية الرحبة ، خارج باب الأتراك . انظر علي مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ4 ، ص 54 .

6 - رواق الجبرتية : كان هذا الرواق مخصصاً للطلبة الوافدين من بلاد الحبشة ويقع داخل رواق البرنية ، وله مكتبة كبيرة . انظر علي مبارك : المصدر السابق ، جـ4 ، ص 54 .

7 - البرابرة : خصص هذا الرواق للطلبة الوافدين من موريتانيا ويقع شمال باب المقصورة . انظرعلي مبارك: نفسه ، جـ4 ، ص 57 .

8 - الدكارنة : كان هذا الرواق مخصصاً لطلبة التكرور وسنار ، ودارفور وشيوخه من التكرور ، المصدر السابق نفسه ، جـ4 ، ص 52 .

ودكارنة صليح[1]. وكان توزيع هذه الأروقة طبقاً للبلدان النازحين منها ، واتسمت العلاقة بين الطلبة بروح الأخوة الإسلامية ، لدرجة أنهم كانوا يرثون بعضهم البعض ، كما يتضح ذلك من خلال منشور المساواة الذي طبَّقه السلطان برقوق على طلبة العلم في الجامع الأزهر .

1 – دكارنة صليح : للطلبة الوافدين من تشاد ويقع بجوار رواق الشرقاوية ، المصدر السابق ، جـ4 ، ص 57 .

4 - الحياة العلمية بعد عصر المماليك

أولاً : مناهج الدراسة:

كانت العلوم التي تدرس في الأزهر بعد عصر المماليك تنقسم إلى أنواع وهي :

أ - العلوم القديمة:

كانت تنقسم هذه العلوم إلى قسمين وهما مقاصد ووسائل . فأما المقاصد فهي علم الكلام ، والأخلاق ، والفقه وأصوله ، وتفسير القرآن الكريم ، وعلم الحديث . أما الوسائل فهي النحو ، والصرف ، والمعاني ، والبديع ، والمنطق ، ومصطلح الحديث ، والحساب ، والجبر ، والعروض والقوافي .

ب - العلوم الحديثة:

هي العلوم التي تقرر تدريسها نتيجة جهود مجلس إدارة الأزهر وشملت علوم التاريخ الإسلامي ، والإنشاء تحريري وشفوي ، وعلم اللغة متناً وأدباً ، وعلم الهندسة ، وتقويم البلدان ، والعلوم العقلية مثل الفلسفة ، وعلم الخطوط .

ج - الكتب الدراسية :

كانت الكتب التي تدرس في الأزهر متنوعة وتغطي كافة مجالات الدراسة به وأشهر هذه الكتب :

كتب العلوم الشرعية:

كانت تدرس في التوحيد كتب مثل أم البراهين للشيخ محمد السنوسي ، وكتاب شرح البيجوري ، كتاب العقائد النسفية بشرح السعد للتفتازاني ، وكتاب الخريدة للشيخ الدردير ، وكتاب طوالع الأنوار للبيضاوي . أما كتب التفسير فكان يدرس في الأزهر كتاب الكشاف ، وتفسير الجلالين ، والنسفي ، والرازي . وفي علم الحديث

كانت تدرس كتب مثل صحيح البخاري بشرح القسطلاني ، والشفاء للقاضي عياض ، صحيح مسلم بشرح النووي ، وموطأ مالك بشرح الزرقاني . وبالنسبة لكتب التجويد كانت تدرس التحفة للجمزوري ، وكتاب الشاطبية للشاطبي . أما كتب الفقه الحنفي فكان يدرس كتاب نور الإيضاح للشرنبلالي ، وفي الفقه المالكي كانت تدرس كتب مثل شرح العشماوية للعشماوي ، وكتاب مختصر خليل ، وبالنسبة للفقه الشافعي كانت تدرس كتب مثل التقريب لأبي شجاع ، الأشباه والنظائر للسيوطي ، وكتب الفقه الحنبلي هي متن الدليل للشيخ مرعي . أما كتب أصول الفقه فهي جمع الجوامع للسبكي ، وكتاب الورقات .

وبالنسبة للعلوم العربية فأشهر الكتب في النحو هي ألفية ابن مالك بشرح ابن عقيل ، وكتاب الأجرومية و التوضيح مع شرح الشيخ خالد . أما كتب البديع فهي المفتاح بشرح السعد ، وعقود الجمان للسيوطي .

ثانياً : مواقيت الدراسة:

كانت الدراسة تتم في الأزهر طبقاً للآتي ، بعد الفجر كان يتم تدريس التفسير والحديث . وبعد الشروق الفقه . وبعد الظهرالنحو والصرف ، والمعاني والبديع ، وأصول الفقه العصر الحساب والتاريخ والجغرافيا . أما بعد الغروب فكان يتم تدريس المنطق ، وآداب البحث . وكانت مدة الدرس من ساعة إلى ساعتين ، ومعظم الطلبة كان يتلقى درسين أو أكثر طبقاً لقدراتهم ، واستعداداتهم .

ثالثاً : الأجازات الدراسية والعطلات:

كانت الدراسة تُعطل في الأزهر سنوياً في شهر شعبان ورمضان والنصف الأول من شوال ، ولمدة خمسة وأربعين يوماً أثناء الحرارة العالية في الصيف . وهناك عطلات أخرى في العيدين ، ويوم المحمل ، ويوم عاشوراء ، وكسر الخليج .

رابعاً : نظام الامتحانات والشهادات:

أ – الامتحانات:

أما عن نظام الامتحانات فقد تميزت الامتحانات التي كانت تُعقد بالجامع الأزهر بأنها غير مؤقتة بمواعيد معينة ، وإنما كانت تعتمد على مدى قدرة الطالب على الاستعداد للامتحان ، فعندما يجد الطالب في نفسه القدرة على الحفظ والفهم والاستعداد للامتحان كان يتقدم بطلب لعقد هذا الامتحان ، ويعرض الكتاب الذي حفظه على شيوخه الذين يقومون بتدريس ذلك الكتاب ، فيبدأ الشيخ في اختيار بعض الأبواب بطريقة عشوائية ، ويطلب من الطالب الممتحن أن يقوم باسترجاعها ، فإذا تمكن الطالب من الاسترجاع بدون تردد أو خوف ، شهد له الشيخ بمقدرته على الحفظ ، ثم يكتب له ورقة مربعة صغيرة ، ويعلن فيها أن الطالب قد عرض عليه ونجح . وكان يشترك في تحرير هذه الورقة جميع الشيوخ الذين يقومون بتدريس ذلك الكتاب . وتسمى تلك الورقة إجازة أي شهادة بالنجاح في هذا المقرر أو ذلك الكتاب .

ب – الشهادات الدراسية :

بدأت الشهادات الرسمية تظهر في الأزهر منذ عام 1288هـ ، وبلغ عددها ثلاث شهادات وهي شهادة الإعفاء من القرعة العسكرية وكانت تعادل الشهادة الابتدائية وتُعطى للطالب الذي أمضى ثلاث سنوات دراسية ، وكان الطالب يمتحن فيها صورياً.

والنوع الثاني من الشهادات كانت الشهادة الأهلية وتعطى لمن أمضى ثماني سنوات في الأزهر ، وكانت ممهورة بختم شيخ الأزهر وتجيز لصاحبها العمل بالإمامة والخطابة ، والتدريس في المرحلة الابتدائية ، وكانت تمنح للطالب بعد اجتيازه امتحاناً أمام لجنة مكونة من ثلاثة مشايخ تحت إشراف شيخ الأزهر .

أما ثالث الأنواع فكانت الشهادة العالمية وقد ظهرت هذه الشهادة في عام 1288هـ

وكان الغرض منها إعداد مدرسين للتصدر بالتدريس في الأزهر . وكانت تُمهر بخاتم الخديوي ويُعطى صاحبها كسوة شريفة إن كانت من الدرجة الأولى . وكانت شروط الحصول على العالمية هي أن يكون الطالب قد درس التفسير والحديث ، والتوحيد ، والمنطق ، والمعاني ، والبديع ، والفقه من كبار الكتب المقررة فيها ، وكانت تعقد لجنة برئاسة شيخ الأزهر واثنين من كبار العلماء في المذاهب الثلاثة ويزاد عليهم عالم في الفقه الحنبلي إذا كان الطالب حنبلي المذهب . وكانت تنقسم إلى ثلاثة أنواع وهي الدرجة الأولى لمن أجاب على كل الأسئلة ، والدرجة الثانية لمن أجاب على بعض الأسئلة ، والدرجة الثالثة لمن أجاب عن جزء من الأسئلة . كما كان يشترط فيها ألا تقل المدة التي قضاها الطالب عن اثنتى عشرة سنة .

وبعد التطوير عام 1961م ، تغيرت مسمى الشهادات والمراحل فوجد التعليم الابتدائى ، وأصبح مسمى شهادته الشهادة الابتدائية . وتم تخفيض سنوات الشهادة الإعدادية ، فأصبحت ثلاث سنوات بدلاً من أربع ، وأصبحت شهادة هذه المرحلة تسمى الشهادة الإعدادية . أما بخصوص التعليم الثانوي فأصبحت سنوات دراسته أربعاً بدلاً من خمس ، ثم عدلت إلى ثلاث سنوات قريباً ، وأصبحت تسمى الشهادة الثانوية .

الطلبة ومدرسو الأزهر:

أولاً : الطلبة :

أ - جنسيات الطلبة:

تميَّز الأزهر بطابعه العالمي حيث كان طلابه من كافة أصقاع العالم الإسلامي . وقد توافرت عوامل عديدة جعلت الأزهر مقصداً لهؤلاء الطلاب منها أن الأزهر كان يقوم بتدريس كافة المذاهب الإسلامية . ومنها مدى العناية التي كان يجدها الطالب سواء كانت عناية تعليمية أو مادية . ضف إلى جانب ذلك شهرة العلماء الأزهريين وبراعتهم في العلوم الإسلامية . إلى جانب ذلك كان هؤلاء الطلبة يجدون كل التقدير حين العودة إلى بلادهم .

ب - نوعيات الطلاب:

كان معظم الطلبة في الأزهر من الذكور ، وإن كان ذلك لايمنع من قيام النساء بالدراسة فيه . وحالياً كثر عدد النساء اللاتي يدرسن بالأزهر . كما كان الأزهر لايحجر على أصحاب الديانات الأخرى من الدراسة فيه وقد قام بعض المستشرقين بالدراسة في الأزهر مثل المجري جولد زيهير ، ولكن كان معظمهم يأتي متخفياً ، وقد كان يتلقى العلم على يد الشيخ الأشمونى .

ج - طرق التحاق الطلبة:

كان الطلبة ينقسمون حسب جنسياتهم إلى نوعين وهما طلبة مصريون ، وطلبة أجانب وكان لكل نوع طريقة للتقدم والالتحاق بالأزهر فالبنسبة للطلبة المصريين كان يُشترط ألَّا يقل سن الطالب عن خمس عشرة سنة على الأقل ، وأن يجيد القراءة والكتابة ، وأن يكون حافظاً لنصف القرآن الكريم على الأقل إذا كان مبصراً أو كله إذا كان كفيفاً . وكان يعرض الطالب على لجنة لاختباره . فإذا نجح يتم إرساله لطبيب الأزهر لتوقيع الكشف عليه ولتطعيمه ، ثم يرسل إلى المشايخ الذين اختارهم للتدريس ، ثم يُقيَّد في سجلات الرواق ، وفي سجلات الأزهر .

أما بالنسبة للأجانب فقد اختلفت طريقة التقديم من جنسية لأخرى فعلى سبيل المثال في رواق المغاربة كان شيخ الرواق ، ونقيبه وبعض الطلبة النابغين يقومون بعقد امتحان للطالب المتقدم من المغاربة في القراءة فقط .

د - المصاريف الدراسية وإعاشة الطلاب:

كانت الدراسة في الأزهر ومازالت مجانية حتى الآن . وقد كان يُصرف للطالب جراية مقررة من الخبز يومياً تبلغ رغيفاً ونصفاً ، وأكثرها ستة أرغفة . كما كان يدفع للطلبة أموال من ريع الأوقاف وتبلغ قيمتها قرشين ، وأكثرها مائة قرش شهرياً .

هـ - الإقامة:

كان الطلبة في الأزهر يقيمون في الأروقة وهي أماكن ملحقة بالمسجد ومتصلة به ، وقد ألحقت بها مطابخ ، وأماكن لغسيل الملابس . كما وجد بجوار الأروقة الحارات وهي تشبه الرواق ولكن لا توجد فيها أماكن مخصصة للمبيت .

وقد بلغ عدد الأروقة في الأزهر في القرن العشرين حوالي تسعة وعشرين رواقاً . منها اثنا عشر رواقاً للمصريين مثل رواق الصعايدة ، ورواق الشراقوة ، والبحيرة ، والفيمة (أهل الفيوم) ورواق الفشنية (أهالي بنى سويف) ورواق الغربية .

أما أروقة الأجانب فمن أشهرها رواق المغاربة لأهل شمال أفريقيا ، ورواق الأتراك ، ورواق التكارنة لأهل غرب أفريقيا ، ورواق الزيالعة لأهالي الصومال . ورواق البرابرة لأهالي السودان ، ورواق السليمانية لأهالي أفغانستان ، ورواق صليح لأهالي تشاد . كما وُجدت أروقة مفتوحة لعامة الطلبة دون التقيد بجنسية أو مذهب مثل رواق يعمر .

أما عن الموارد المالية للأروقة التي كان يُنفق منها عليها فكانت عبارة عن الأموال التي كانت موقوفة على الجامع الأزهر بصفة عامة أو التي كانت تخصص للأروقة من التبرعات التي كان يقدمها أهل الخير للإنفاق منها على الطلبة ، وأيضاً وجود مورد ثابت وهو هبات السلاطين و الأفراد التي كانوا يهبونها للأروقة وكانت مصارف هذه الأموال تُستخدم في شراء الكتب و الإنفاق على الطلبة الفقراء و أيضاً شراء الخبز لهم . و كانت هذه الأموال لا تخضع لرقابة الدولة وتتمتع بالاستقلال المالي ، والشرط الوحيد الذي كانت تخضع له هو وصية الواقف وما جاء بها من شروط وضوابط للصرف والتخصيص .

أما عن التنظيم الإداري الذي كان يُطبَّق في الأروقة ، فكان موزعاً بين مستويات

وظيفية مختلفة ، يأتي على رأسها منصب شيخ الرواق ، وكان من مهام منصبه قيامه بالإشراف على الرواق وقيامه بالإشراف على توزيع الأطعمة والعطايا على الطلاب ، وقيامه بالدفاع عن الطلاب وحمايتهم ، والإشراف أيضاً على موظفي الرواق . وكان يتولى هذا المنصب من توافرت فيه شروط معينة مثل أن يكون من علماء الجامع الأزهر ، وأيضاً قيامه بالتدريس في الجامع ، مع انتمائه لنفس البلد الذي ينتمى إليه الرواق ، وأيضاً يتبع نفس المذهب . وكان يتم اختيار شيخ الرواق عن طريق الطلبة أي بالانتخاب .

ويأتي في المرتبة الثانية بعد شيخ الرواق منصب نقيب الرواق ، وكان من مهام منصبه استقبال الطلبة الجدد الملتحقين بالأزهر ، وتسجيل أسمائهم في سجلات تحفظ بصفة دائمة عنده ، وأيضاً كان يتولى الإشراف على أعمال الكتبة في الرواق ، ويحضر توزيع الجراية والأعطيات على الطلبة ، وأيضاً كان يشرف على مطبخ الرواق وخدامه وعلى المسئول عن مكتبة الرواق .

أما عن حياة الطلبة بداخل الأروقة فتميزت بروح الود والتعاون ، حيث كانوا يتعاونون في الأعمال اليومية الخاصة بالرواق مثل نظافته والاعتناء بفرشه وحصره ، وكانت الاحتفالات التي تُقام بالأروقة تشهد بمدى قوة هذه العلاقات بين الطلبة ، ومن أشهرها الاحتفال الذي كان يقام عند تخريج الطالب.

و - عادات الطلبة :

كانت لطلاب الأزهر عادات احتفظوا بها مثل قيامهم بمراجعة أساتذتهم قبل إلقاء الدروس حتى إذا جاءوا للدرس كانوا على بينة منهم . ومن عاداتهم اشتراكهم جميعاً في شراء الكتب الغالية الثمن ويطالعونها سوياً . ومن العادات أنهم كانوا لايخرجون فرادى وإنما في جماعات للتنزه وغيره . وأيضاً احترامهم الشديد لأساتذتهم وكانوا يُقبّلون أيديهم

قبل الدرس وبعده ، وإذا مات أحد الشيوخ حزنوا عليه ثلاثة أيام ، وأحيوا ذكراه ثلاث ليال بجوار العمود الذي كان يلقي دروسه عنده . كما كان من عادة الطلاب ألا يهتموا إلا بدراسة مذهبهم فقط .

ثانياً: الأساتذة:

أ - أقسام الأساتذة:

كان المدرسون في الأزهر طبقاً لمؤهلاتهم ، ينقسمون إلى قسمين ، وهما القسم الأول الذين عُينوا قبل عام 1288م قبل إنشاء شهادة العالمية . أما القسم الثاني وهم الحاصلون على شهادة العالمية ، فقد انقسموا بدورهم لثلاثة أقسام وهم علماء الدرجة الأولى وكان لهم الحق في تدريس ما شاءوا من العلوم والكتب . وعلماء الدرجة الثانية لم يكن لهم الحق إلا في تدريس الكتب المتوسطة مثل كتاب الأشمونى في النحو . وعلماء الدرجة الثالثة وكانوا يدرسون الكتب الصغيرة .

ب - امتيازات الأساتذة:

كان لأساتذة الأزهر العديد من الامتيازات مثل عدم دفعهم أجرة عند ركوب القطارات هم وأتباعهم ، ثم عُدِّلت بعد ذلك لدفع نصف أجرة فقط ، وكان الذي أعطاهم هذا الحق سعيد باشا .

كما كانوا يتمتعون بالكسوة الشريفة يرتدونها في الأعياد والاحتفالات ، وكانت الكسوة عبارة عن شريط مقصَّب يوضع حول العمامة وفرجية وهي العباءة .

وقد كان في حالة وفاة أحد الأساتذة عطلت الدراسة لمدة ثلاث ليالي ، وقام المؤذنون من فوق المآذن بقراءة الآية الكريمة ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ [الإنسان: 5] فيحضر الناس من جميع أنحاء القاهرة للصلاة عليه .

ج - المرتبات :

تنوعت مرتبات الأساتذة في الأزهر طبقاً لتوقيت صرفها وقيمتها . فكانت هناك مرتبات يومية ، وشهرية ، وسنوية . وكانت المرتبات اليومية عبارة عن صرف جراية من الخبز لا تقل عن عشرة أرغفة .

أما المرتبات الشهرية فقد كانت تتفاوت طبقاً لدرجة العالم ، فعالم الدرجة الأولى كان يحصل على مائة وخمسين قرشاً ، والدرجة الثانية مائة قرش ، والدرجة الثالثة خمسة وسبعين قرشاً هذا بالنسبة للمرتبات الشهرية .

أما المرتبات السنوية فكان يصرف للعلماء بدل كسوة بما يعادل اثنى عشر جنيهاً سنوياً كحد أدنى ، والحد الأقصى ثلاثون جنيهاً في السنة . ومنها ما كان يسمى مثمن الغلال وهو بدل مالي كان يقسم بينهم حسب الحاجة .

وعلى الرغم من ضآلة هذه المرتبات فإنها كانت تكفيهم نظراً لأنهم كانوا يميلون لحياة الزهد والتقشف ، وبُعْدهم عن زخارف الحياة .

ولم يتوقف دور الأزهر على العطاء العلمي للقادمين إليه فقط ، بل امتد عطاؤه إلى بلدان القارة الأفريقية وامتدت نواحى هذا العطاء لتغطي كافة جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية ، كما في كافة بلدان القارة الجغرافية في شمالها وغربها ووسطها وشرقها ، وذلك عن طريق إرسال علمائه أو استقبال الدارسين من هذه البلدان أو تطبيق النظم العلمية في تلك البلدان أو نشر الدين الإسلامي وترشيد الحياة الاجتماعية فيها.

الفصل الثاني

(الدور الديني للأزهر في أفريقيا)

1 – أهم الممالك الأفريقية التي ظهر فيها دور الأزهر الديني.

2 – دور الأزهر الديني في الممالك الإسلامية .

3 – تصحيح المفاهيم الدينية وإرساء قواعد الدين السليمة.

4 – إرسال الكتب الدينية والمصاحف الشريفة لبلدان القارة.

5 – تأهيل القضاة وعلماء الدين الأفارقة .

6 – المساهمة في إنشاء العمائر الدينية .

7 – الدور الديني للأزهر بعد عصر المماليك .

1 - أهم الممالك الأفريقية التي ظهر فيها دور الأزهر الديني

نظراً لامتداد طول فترة حكم دولة المماليك ، فقد عاصرتها دول أفريقية عديدة ، وكان للأزهر في بعض هذه الدول دور كبير غطى مجالات الحياة المختلفة ، والظاهرة اللافتة للنظر أن هذه الدول انتشرت في أنحاء القارة ففي الشمال الأفريقي ظهرت دول مثل بني مرين في المغرب الأقصى (مراكش) والدولة الحفصية في تونس ، والدولة الزيانية في الجزائر ، وبالنسبة لغرب القارة ظهرت سلطنات مثل مالي ، وصنغاي ، والكانم ، والبرنو. وبالنسبة للشرق فقد ظهرت ممالك الزيلع الإسلامية في منطقة القرن الأفريقي ، وسلطنة مقدشو في الصومال الجنوبي وسلطنة بات فيما يعرف اليوم بكينيا وسلطنة كلوة فيما يُعرف اليوم بتنزانيا.

والحديث عن هذه الدول يطول نظراً لتعدد واختلاف أسباب نشأتها واختلاف مظاهر الحياة فيها ولذلك سيقتصر الحديث على الدول التي كان للأزهر دور بارز فيها والتي كانت لها علاقة مع دولة المماليك وفيما يلي حديث مختصر عن أشهر هذه الدول.

أولاً : دول شمال أفريقيا :

أ - الدولة المرينية (610 - 869هـ/ 1213 - 1465م) :

أقامت هذه الدولة قبائل زناتة البربرية على يد عبد الحق بن محيو[1]. وقد سكنت هذه القبائل منطقة الريف المغربي ، وقاموا بشن غارات على بلاد المغرب ، ودخلوا في حروب عديدة مع خلفاء الدولة الموحدية ، ونتج عن هذه الحروب مقتل عبد الحق بن محيو في عام 614هـ/ 1217م ثم واصل خلفاؤه شن الهجمات على دولة الموحدين ، وخصوصاً في عهد خليفتهم أبي العلاء إدريس الملقب بالواثق[2] ، والذي انتهت في عهده دولة

1 - مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، دار الرشاد الحديث ، المغرب ، 1979م ، ص 185.

2 - عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، 1963 ، ص419.

الموحدين وبدأت دولة بني مرين في سنة 668هـ/ 1269م.

ولقد تعاقب على حكم الدولة المرينية كثير من الحكام من أشهرهم عثمان بن عبد الحق الذي تولى بعد وفاة أبيه ، واستطاع السيطرة على معظم بلاد المغرب ، وأجبر القبائل على مبايعته ، ولكنه قتل في سنة (637هـ/ 1239م) وتولى من بعده أخوه محمد بن عبد الحق الذي واصل الفتوح ولكنه قُتِل في معركة مع الموحدين في سنة (642هـ/ 1244م) ثم تولى أبو يحيي زكريا بن عبد الحق واستطاع إنزال الهزيمة بالموحدين[1]. ومن السلاطين المشهورين في دولة بني مرين أبو بكر بن عبد الحق[2] (643 - 656هـ/ 1245 - 1258م) وقد قام بتجهيز جيوش وافتتح كثيراً من أملاك الموحدين ، كما استطاع فتح مكناسة في سنة (643هـ/ 1245م) وأيضاً اشتهر من ملوك بني مرين أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق (656 - 685هـ/ 1258 - 1286م) الذي دخل مدينة فاس في سنة (657هـ/ 1258م) واتخذها عاصمة له ومن أشهر أعماله بناء المدينة البيضاء سنة (870 هـ/ 1465م)[3]. وقد قامت دولة بني مرين بمجهودات كبيرة في سبيل الدفاع عن الإسلام ، فقد حاربت الأسبان عندما هاجموا دولة بني الأحمر ، واستطاع يعقوب بن عبد الحق في سنة (674هـ/ 1275م) العبور للأندلس وهزم الأسبان في معركة استجة جنوب غرب مدينة قرطبة كما اجتاز الأندلس مرة ثانية في عام (677هـ/ 1278م) وحاصر إشبيلية وغزا شريش[4].

وقد ضعفت دولة بني مرين في أخريات عهدها بعد تولِّى حكام ضعاف الحكم وبدأت تفقد أملاكها في المغرب الأدنى والأوسط بالإضافة لقيام البرتغاليين بالاستيلاء على مدينة سبتة في عام (818هـ/ 1415م) مما كان سبباً في انهيار الدولة[5].

---

1 - القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ5 ، ص 196.

2 - المصدر السابق ، جـ5 ، ص 195 . وأيضاً محمود عبد العزيز سالم : المغرب الإسلامي ، دار الشعب ، القاهرة ، بدون ، جـ2 ، ص 162.

3 - القلقشندي : نفسه ، جـ5 ، ص 196 .

4 - عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 2001م ، جـ7 ، ص 100 - 103

5 - القلقشندي : نفسه ، جـ5 ، ص 197 .

أما عن علاقة بني مرين بالدولة المملوكية في مصر فقد ازدهرت العلاقة بين الدولتين لأسباب منها أن مصر تقع في طريق الحج وكان سلاطين المماليك يقدمون كل التيسيرات لحجاج بيت الله الحرام[1] ، كما كانت هناك علاقات سياسية ، وكان للسلطان المملوكي كلمة مسموعة مثال تدخُّله لدى سلطان بني مرين في الشفاعة لأحد شيوخ القبائل العربية[2]. وكان لحكام بني مرين رسم خاص بالمكاتبة إليهم أورده ابن فضل الله العمري[3] وهذا الرسم هو (بسم الله الرحمن الرحيم ، حضرة المقام العالى ، السلطان ، السيد ، الجليل ، العالم ، العادل ، المجاهد ، المرابط ، المثاغر ، المؤيد ، المظفر) ويطول رسم المكاتبة في سرده ولكنه يدل على مكانة ملوك هذه الدولة عند بلاط سلاطين المماليك في مصر ، كما يدل على علاقات قامت بين الفريقين ، مما هيأ للأزهر دوراً هناك.

ب - الدولة الزيانية (633 - 962هـ/ 1236 - 1555م) :

تعود أصول هذه الدولة إلى قبائل زناتة التي استوطنت المغرب وكانت تسمى دولة بني عبد الواد . وقد قامت هذه الدولة على أملاك الدولة الموحدية شرقى المغرب الأوسط[4] .

أما عن حدود هذه الدولة فقد تميزت بعدم الثبات بل كانت حدوداً متغيرة تتسع وتضيق طبقاً لصراع الدولة مع جيرانها ، وكان يحدها من الشرق الدولة الحفصية ومن الغرب الدولة المرينية . وقد قام بتأسيس هذه الدولة أبو يحي بن يغمر أسن بن زيان (633 - 681هـ/ 1236 - 1282م) [5].

ومن أشهر ملوك بني زيان أبو عثمان (681 - 703هـ/ 1182 - 1303م) وكان من

---

1 - إبراهيم طرخان : مصر في عهد المماليك الجراكسة ، النهضة المصرية ، القاهرة ، 1960 ، ص 143 .

2 - المرجع السابق ، ص 146 .

3 - ابن فضل الله العمري : التعريف بالمصطلح الشريف ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1985 ، ص40.

4 - ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، دار الكتاب اللبناني ، لبنان ، 1968م ، المجلد السابع ، القسم الأول ، ص 203: 219 .

5 - المصدر السابق نفس الصفحة .

أشهر أعماله الدفاع عن حدود الدولة فحارب مغراوة وبني توجين ، ومن أشهر الملوك أيضاً أبو زيان محمد الأول (703 - 707هـ/ 1303 - 1307م) وأيضاً أبو حمو موسى الأول بن عثمان[1] (707 - 718هـ/ 1307 - 1318م) الذي استطاع القضاء على الدولة الحفصية في تلمسان وواصل الصراع مع بني مرين.

وكان من أسباب انهيار الدولة الزيانية الصراع على السلطة بين أفراد الأسرة الحاكمة وظهور الخطر الأسباني واستيلائهم على وهران وبجاية في عام 911هـ/ 1510م بالإضافة لظهور النفوذ العثماني ، وقيام الأخوين عروج[2] وخير الدين[3] بمقاومة الخطر الأسباني وضم المغرب الأوسط لسيطرة العثمانيين.

أما عن علاقة الزيانيين بمصر ، فقد قامت بينهما علاقات ثقافية مثل قدوم الطلاب للدراسة في مصر بالإضافة لوجود علاقات دينية مثل السماح لمواطنى هذه الدولة بالحج وتقديم مصر تسهيلات لهم[4].

ج - الدولة الحفصية (626 - 981هـ/ 1229 - 1574م):

أقامت هذه الدولة قبائل هنتانة البربرية[5] وينسبون إلى الشيخ أبي حفص يحي ابن عمرو الهنتاني ، وكان هذا الشيخ من أصحاب المهدي بن تومرت ثم ورث ملكه وسلطاته في تونس ، وقد بدأت الدولة الحفصية عندما تولى عبد الواحد الحفصي أمر

---

1 - ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، جـ7 ، ص 219.

2 - عروج : يعرف عند الأوربيين ببربروسا أي صاحب اللحية الحمراء ، تولى الكفاح ضد النفوذ الأوربي ، وصل للمغرب في عام 918هـ/ 1512م واستطاع الاستيلاء على بجاية من الإسبان ، استشهد في معركة قرب شهر سلف عام 924هـ/ 1518م. انظر السيد محمود عبد العزيز سالم ، مرجع سبق ذكره ، جـ2 ، ص 210 .

3 - خير الدين : أخو عروج شاركه الجهاد ، وحصل على لقب باشا ؛ انتصر على الإسبان قرب وادي الحراث توفي عام 953هـ/ 1546م. المرجع السابق ، ص 212 ، 263 ، محمود عبد العزيز : نفس المرجع ، ص 212 ، 263.

4 - إبراهيم طرخان : مصر في عصر دولة المماليك ، الجراكسة ، ص 143.

5 - اختلف في نسب الحفصية فقد زعموا أنهم ينسبون لعمر بن الخطاب ، ولكن النسَّابة أرجعوا نسبهم لهنتانه. انظر العمري : التعريف بالمصطلح الشريف ، ص 174.

تونس فى580هـ/ 1184م واستمر والياً على تونس حتى توفي سنة 603هـ/ 1206م ثم تولى من بعده أبو محمد عبد الله الحفصي[1] ، وقد حكمت دولة الحفصية تونس حوالي ثلاثة قرون.

وقد ازدهرت الدولة الحفصية في تونس وخصوصاً في عهد أبي العباس الفضل الحفصي (772 – 797هـ/ 1370 – 1394م) وقد استطاع هذا الحكم التصدى للمسيحيين وهزمهم عند المهدية (793هـ/ 1390م) كما قام ابنه بضم الإمارات التي استقلت[2] عن الدولة مثل تلمسان.

أما عن العلاقات مع مصر فقد ازدهرت وكانت مصرتستورد منها الخيول ويرسل السلطان المملوكي لهم الهدايا . وكان لسلطانها رسم في المكاتبات التي يصدرها ديوان الإنشاء وكان لقب السلطان[3] أمير المؤمنين وقد انتهت الدولة الحفصية نتيجة لقيام القبائل العربية بالهجوم عليها ، ومهاجمة الإسبان للسواحل التونسية انتقاماً من الأتراك نتيجة لاتخاذهم هذه السواحل موانيء لهم ، وكانت نهاية الدولة في سنة981هـ/ 1574م[4].

ثانياً : دول غرب أفريقيا :

أ – سلطنة مالي الإسلامية (596 – 874هـ/ 1200 – 1469م)

مؤسس هذه السلطنة شعب زنجي يُعرف باسم الماندنجو ، ويطلق عليهم الفولاني اسم مالي ، وقبائل البربر كانت تطلق عليهم اسم مل أو مليت وأطلق عليهم المؤرخون

---

1 – القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ5 ، ص 127 .

2 – المصدر السابق ، جـ5 ، ص 132 .

3 – العمري : مصدر سبق ذكره ، ص 42 .

4 – حسين سيد مراد: الدولة الحفصية ، الموسوعة الأفريقية ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة 1997م ، جـ2 ، ص155 .

العرب لقب مليل[1].

وكان موقع هذه السلطنة بين بلاد البرنو شرقاً والمحيط الأطلنطي غرباً وجبال البرنو شمالاً[2] ، وفي الجنوب جبال فوتا جالون . وكانت هذه المملكة تشتمل على خمسة أقاليم وهي إقليم مالي في الوسط وعاصمتها بنبي ، وإقليم صوصو جنوب شرق مالي ، وإقليم غانا شمال مالي ويمتد للمحيط الأطلنطي ، وإقليم كوكو شرق مالي ، وإقليم تكرور في غرب مالي حول نهر السنغال[3].

ومن أشهر ملوك هذه الدولة (سندياتا) وكان يلقب بماري جاطة وامتدت فترة حكمه (628 - 653هـ/ 1230 - 1255م) وقد استطاع توسيع حدود المملكة إذ استولى على غانا وبلغت مدة حكمه خمساً وعشرين[4] سنة وبعد وفاته في عام (653هـ/ 1255م) وتولى ابنه (منسا ولى) 653 - 669هـ/ 1255 - 1270م وقد قام هذا السلطان برحلة إلى الحج[5] في عهد السلطان الظاهر بيبرس ، ومن أشهر الحكام الملك منسا موسى (707 - 733هـ/ 1307 - 1332م) صاحب رحلة الحج المشهورة . وقد اتسعت البلاد في عهده إذ استطاع ضم جاو وتمبكت ووصلت الدولة في عهده من التكرور غرباً حتى وندي شرقاً ومن ولاتة شمالاً إلى مرتفعات فوتا جالون جنوباً[6] . وظلت هذه المملكة موجودة حتى توسعت على حسابها مملكة صنغي[7].

وكان من أسباب انهيار هذه الدولة ، انصراف الحكام لحياة اللهو والترف وفقدان

---

1 - البكري : المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، بدون ، ص 178 .

2 - القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ5 ، ص 282 .

3 - المصدر السابق ، جـ5 ، ص 283 - 286 .

4 - ماري جاطة: ماري في لغة مالي معناها الأمير وجاطة لقب معناه قلب الأسد. انظر القلقشندي: المصدر السابق، جـ5 ، ص 293 .

5 - المقريزي : الذهب المسبوك فيمن حج من الخلفاء والملوك ، مكتبة الخانجي ، 1899م ، ص 133 .

6 - رجب محمد عبد الحليم : الموسوعة الأفريقية ، جـ2 ، ص177 .

7 - محمود كعت : الفتاش ، ص 43 .

الروح العسكرية ، بالإضافة لتعرضها لغارات الولوف والكانم ، وقد استطاع سُن على إسقاط مملكة مالي في عام (873هـ/ 1469م) [1] بعد سقوط تنبكت .

أما عن العلاقات مع مصر ، فقد كانت مصر معروفة لبلاد مالي يأتي إليها التجار من هذه البلاد ، ويذهب المصريون إلى هناك وقد شاهد ابن بطوطة[2] مصريين هناك ، بالإضافة لقيام علاقات سياسية مثل استقبال الملك منسا موسى ، أثناء قيامه برحلة الحج ، بالإضافة لقدوم طلاب من هذه البلاد للدراسة بالأزهر الشريف ، وتخصيص رواق لهم هو رواق التكارنة[3].

ب - مملكة صنغي (777 - 1000هـ/ 1375 - 1591م) :

تأسست هذه المملكة في إقليم جاو ، وأول ملك أعلن إسلامه هو الملك زاكسي والذي أطلق عليه لقب (مسلم دام) ومعناه المسلم عن اقتناع[4].

ومـن أشهر ملوك هذه الدولة (سن علي) الذي حكم في الفترة (869 - 898هـ/ 1464 - 1492م) وبدأ الزحف غرباً واستولى على مدينة تمبكت[5] في سنة (891هـ/ 1486م) ثم جنى في عام 878هـ/ 1473م وفتح مملكة الموسى ومن الملوك المشهورين أيضاً أسكيا محمد الأول (899 - 936هـ/ 1493 - 1529م) الذي أطاح بابن سن علي وتولى الحكم ، ومن أشهر أعماله قيامه بتنظيم شئون البلاد الإدارية وقام برحلة حج في عام 901هـ/ 1495م وقام بنشر الإسلام بين القبائل الوثنية مثل المادنجو والفولاني[6] .وأيضاً من الملوك المشهورين أسكيا إسحاق (946 - 956هـ/ 1539 - 1549م) وأشهر أعماله هي إعادة الأمن لربوع الدولة والقضاء على التنافس الأسرى وإعادة الانضباط لربوع الدولة

---

1 - محمود كعت : الفتاش ، ص43.

2 - ابن بطوطة ، الرحلة ، ص 17 .

3 - عن الأروقة : انظر ص 47 من الفصل الثالث .

4 - السعدي : تاريخ السودان ، باريس ، 1898م ، ص 3.

5 - المصدر السابق ، ص 64 ، 65.

6 - من جهود الأسكيا محمد في نشر الإسلام . انظر السعدي: تاريخ السودان ، ص 60 : 78 .

وخاض حرباً ضد سلطنة مالي ووقف أمام الغزو المراكشي[1] .

وقد انتهت الدولة نتيجة لطمع سلاطين المغرب في السيطرة على مملكة صنغي ورغبتهم في السيطرة على مناجم الملح في تفازة ، وقد استطاع قائد الملك أحمد منصور الذهبي الاستيلاء على العاصمة منهم 999هـ/ 1590م وأسقط الدولة[2].

أما عن علاقة مملكة صنغي بمصر ، فكانت علاقة ثقافية حيث وُجِد طلاب من صنغي يدرسون بالأزهر الشريف كما وُجِدت مراسلات بين علماء الأزهر مثل السيوطي وحاكم صنغي أسكيا محمد[3] .

ثالثاً : دول السودان الأوسط :

مملكة الكانم والبرنو (479 – 1262هـ/ 1089 – 1846م)

قامت دولة الكانم في بلاد السودان الأوسط شرق بحيرة تشاد ، وضمت العديد من القبائل مثل قبائل الصو وقبائل الكانوري بالإضافة لبعض القبائل العربية الذين كانوا يُعرفون باسم الشوا ، وهم من قبائل جذام وجهينة[4] .

وقد أسس هذه الدولة أسرة من البربر البيض تدعي النسب إلى سيف بن ذي يزن[5] ولذلك عرف باسم الأسرة السيفية ، وقد استطاعت هذه الأسرة أن تسيطر على حوض بحيرة تشاد واتخذت من مدينة جيمي عاصمة لها .

أما عن انتشار الإسلام في هذه البلاد فيرى أحد المؤرخين أن دخول الإسلام فيها كان عن طريق هجرة أُموية ، أتت للبلاد عن طريق مصر ، وآخرون يعودون بانتشار

1 – السعدي : تاريخ السودان ، ص 95.

2 – المصدر السابق ، ص 139.

3 – رسالة السيوطي لملك التكرور : ملحق برسالة ماجستير ، علاقة مصر بالدول الإسلامية في حوض نهر النيجر، الباحثة زينب أحمد علي ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ، 1982م .

4 – القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ5 ، ص 28 .

5 – المصدر السابق ، جـ5 ، ص 281 .

الإسلام إلى اعتناق الأسرة الحاكمة الدين الإسلامي ونشره بين السكان قرب نهاية القرن الحادي عشر للميلاد ، وكان من نتائج انتشار الإسلام بروز هذه الدولة وظهورها في مجال العلاقات الدولية ، فأصبحت معروفة لكثير من دول العالم الإسلامي وخاصة دولة المماليك في مصر ، إذ كان لها رسم في المكاتبات التي كان يصدرها ديوان الإنشاء في مصر ، ورسمها كالآتي :

أدام الله تعالى نصر الجناب الكريم ، العلى ، الملك ، الجليل ، الكبير ، العالم ، العادل ، الغازي ، المجاهد ، الهمام ، الأوحد ، المظفر ، المنصور ، عز الإسلام»[1].

ومن أشهر ملوك هذه الدولة الماى بولو الذي حكم سنة 411هـ/ 1020م وأوم بن عبد الجليل (479 - 491هـ/ 1086 - 1097م) [2] الذي نشر الإسلام في بلاده واتجه للشرق ودُفن في مصر أثناء عودته من رحلة الحج ، وأيضاً من الملوك المشهورين الماى دونمة بن أوم الذي حكم في الفترة من (492 - 546هـ/ 1098 - 1151م) [3]. وقد شهد الكانم في عهده ازدهاراً كبيراً كما بُنيت في عهده مدرسة ابن رشيق في مصر[4] ، ومن الملوك المشهورين الماى دونمة ابن سالما بن بكر (618 - 658هـ/ 1221 - 1259م) الذي اشتهر بخوضه حروباً ضد قبائل البولاله وأخضعها ، كما أقام علاقات مع دولة الحفصيين، واستطاع أن يصل بحدود الدولة شرقاً إلى مشارف وادي النيل ، وغرباً قرب نهر النيجر ، ووصل شمالاً إلى فزان في ليبيا[5] .

وقد أصاب الضعف دولة الكانم نتيجة الانقسامات داخل البيت الحاكم ، وظهور

---

1 - ابن فضل الله العمري : التعريف بالمصطلح الشريف ، ص 47.

2- رجب محمد عبد الحليم ، مملكة الكانم والبرنو ، الموسوعة الأفريقية ، جـ2 ، ص 194.

3 - المرجع السابق ، جـ2 ، ص 194.

4 - مدرسة ابن رشيق : تقع بخط حمام الريش ، بناها تجار الكانم ، وأعطوا مالاً للقاضي علم الدين ابن رشيق . ولذلك عُرفت باسمه ، انظر المقريزي : الخطط ، جـ3 ، ص 318 .

5 - المصدر السابق ، جـ2 ، ص 195.

قبائل الصو التي كانت تسكن في إقليم البرنو واشتداد خطر قبائل البولاله الذين استطاعوا إقامة سلطنة في حوض بحيرة (فترى) ، وقد استطاع السلطان عبد الجليل سلطان بولاله شن حرب ضد مملكة الكانم وطرد الأسرة الحاكمة من هذا الإقليم إلى إقليم برنو مما أدى لقيام مملكة البرنو[1] .

تقع مملكة البرنو في غرب بحيرة تشاد ، وكان يجاورها من الشمال تونس ، وعاصمتها مدينة نجزر جامو . وقد عَظُم شأن هذه الدولة وأصبحت شهرتها ملء الآفاق ، واعتبر المؤرخون مالكها أحد ملوك الدنيا الأربعة[2] .

وكان من أشهر الملوك الذين حكموا البرنو الماي عمر بن إدريس (788 - 794هـ/ 1386 - 1391م) الذي أسس حكومة قوية حكمت البلاد ، وأيضاً الماى إدريس ابن عائشة (909 - 933هـ/ 1503 - 1526م) الذي استطاع الانتصار على سلاطين البولاله ، واشتهر أيضاً من السلاطين الماي علي بن إدريس (952 - 953هـ/ 1545 - 1546م) الذي واصل الحرب ضد البولاله[3].

وقد تعرضت دولة البرنو لأخطار عديدة أسهمت في انهيارها ، منها تولي حكام ضعاف أمور السلطنة لدرجة أنهم بلغوا حوالي خمسة عشر سلطاناً في مدة قرنين ونصف . كما تعرضت البلاد لعدد من المجاعات استمرت إحداها حوالي أربع سنوات ، بالإضافة لتعرض الدولة لخطر الهجوم من قبائل وثنية كانت تعيش في منطقة جومبي ، وقد استطاعت هذه القبائل قتل أحد المايات في عام 1027هـ/ 1618م . كل هذه العوامل أسهمت في انهيار الدولة[4].

---

1 - المرجع نفسه ، جـ2 ، ص 194.

2 - ملوك الدنيا الأربعة هم ملوك مصر وبغداد والبرنو ومالي . انظر محمود كعت : الفتاش في أخبار البلدان ، بردين، 1913 ، ص1.

3 - رجب محمد عبد الحليم : امبراطورية البرنو ، الموسوعة الأفريقية ، جـ2 ، ص 195.

4 - المرجع السابق ، جـ2 ، ص 196 ، 197.

أما عن العلاقة مع مصر ، فكان أهالي برنو ينظرون لمصر على أنها أم الدنيا[1] ، وكانت توجد علاقات ثقافية مع مصر ممثلة في إرسال الطلاب للأزهر وتخصيص رواق لهم به يسمى رواق البرنوية سبق الحديث عنه ، بالإضافة للمكاتبات التي كانت تُوجَّه من ديوان الإنشاء لسلاطين هذه الدولة[2].

رابعاً : دول السودان الشرقي :

أ – دولة الكنوز الإسلامية (723 – 926هـ/ 1323 – 1520م) :

قامت هذه الدولة في بلاد النوبة الشمالية ، وأسسها عرب الكنوز من قبيلة ربيعة التي سكنت في جنوب مصر[3]. وقامت بمصاهرة حكام البجة ، ونتيجة للمصاهرة بينهما وبين البجة[4] ، بدأ الحكم ينتقل تدريجيًا إلى أمراء بني ربيعة . وقد استطاعت هذه القبيلة مد سلطانها ونفوذها من عيذاب إلى أسوان في منتصف القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي .

وقد اتسعت هذه الإمارة في عهد أبي المكارم هبة الله الذي استطاع تأسيس إمارة امتدت من قوص إلى أسوان ، كما ضمت أجزاء من النوبة الشمالية تُعرف باسم مريس. وقد استطاع أبو المكارم هبة الله القضاء على ثورة أبي ركوة التي قام بها ضد الدولة الفاطمية في 397هـ/ 1006م . ونتيجة لهذا العمل أطلق الحاكم لأمر الله لقب كنز الدولة على أبي المكارم هبة الله ، وهو الاسم الذي ستُعرف به الدولة بعد ذلك[5] .

ورغم العلاقات الجيدة بين الفاطميين وبني كنز ، لم يتوان بنو كنز في القيام بمحاولة تمرد ضد الدولة الفاطمية ، مستغلين بذلك الأزمة الاقتصادية التي حدثت في مصر في

---

1 – إبراهيم علي طرخان : امبراطورية البرنو ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1975م ، ص 172.

2 – ابن فضل الله : التعريف بالمصطلح الشريف ، ص 46.

3 – ابن حوقل : صورة الأرض ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، بدون ، ص 51.

4 – المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 369 ، 370 .

5 – المقريزي : البيان والإعراب ، مطبعة المعارف ، القاهرة ، 1976م ، ص 44 ، 46.

عهد الخليفة المستنصر بالله في الفترة (457 – 464هـ/ 1064 – 1073م) وقاموا بإعلان استقلالهم عن مصر في عام 466هـ/ 1075م ، ولكن الدولة الفاطمية استطاعت القضاء على الثورة ، وأصدرت عفواً عن بني كنز بعد توسط ملك النوبة الذي كان يهمه بقاء إمارة بني كنز كحاجز بينه وبين الفاطميين[1].

أما عن أحوال بني كنز في عهد الأيوبيين . فقد بدأ بنو كنز في مد يد المساعدة وإظهار روح التعاون للأيوبيين . وكان من مظاهر هذا التعاون تقديم المساعدة لصلاح الدين الأيوبي في حروبه ضد بقايا ملوك الفاطميين الذين قاموا بمهاجمة أسوان في سنة 568هـ/ 1172م . كما تعاون أمراء دولة بني كنز مع الحملات التي أرسلها صلاح الدين الأيوبي لغزو بلاد النوبة[2].

ولكن العلاقات بدأت تسوء بعد قيام صلاح الدين بتعيين أحد أمراء البيت الأيوبي في حكم أسوان بدلاً من بني كنز ، فقاموا بثورة ضده . وقد استطاع صلاح الدين توجيه ضربة عسكرية له كان من آثارها قيامهم بالنزوح لمنطقة الجنوب والتوغل في مملكة مقرة المسيحية وبعد قيام بني كنز بالهجرة للجنوب استطاعوا تأسيس دولة جديدة في بلاد النوبة ، وقد جوبهت هذه الدولة بالرفض من دولة المماليك الذين كانوا لا يرغبون في قيام أي حكم ذي صفة عربية[3] ، ولذلك قاموا بتوجيه جيوش لمحاربة بني كنز وأيضاً لمحاربة مملكة مقرة المسيحية يتمثل ذلك في إرسال الظاهر بيبرس ثلاث حملات عسكرية كان من نتائجها إخضاع مملكة مقرة المسيحية . ولكن بني كنز تعاونوا مع المماليك وكان من نتائج هذا التعاون إقرار بني كنز على ما بيدهم من أراضي مملكة مقرة[4] .

وكان من مظاهر هذا التعاون أيضاً تقديم بني كنز المساعدات للحملة التي أرسلها المنصور قلاوون في عام 688هـ/ 1289م والتي أُرسِلت لتأديب النوبيين في مملكة مقرة[5].

---

1 – المقريزي : البيان والإعراب ، ص 44 – 46.

2 – لمزيد من التفصيل عن هذه الحروب انظر أبو شامة : الروضتين ، ص 600 – 601.

3 – رجب محمد عبد الحليم : بنو كنز ، الموسوعة الأفريقية ، جـ2 ، ص 231.

4 – القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ5 ، ص 277.

5 – القلقشندي : المصدر السابق ، جـ5 ، ص 277.

ولكن في عهد الناصر محمد بن قلاوون بدأت بشائر الصدام بين المماليك والأمراء الكنوز ، وخصوصاً بعد تعيين ملك نوبي يدعى عبد الله برشمبو في عام 716هـ/ 1316م، واعترض كرنبس ملك النوبة ورشح للحكم ابن أخته كنز الدولة ابن شجاع الدين نصر بحجة أنه الأحق بالوراثة طبقاً للنظام الوراثي المعمول به في بلاد النوبة[1] ، ولكن الملك الناصر رفض تعيين كنز الدولة الشجاع ، فقام كنز الدولة بقتل عبد الله برشمبو ، ولذلك أرسل الملك الناصر عدة حملات أسفرت عن تعيين كرنبس لعرش النوبة مقابل القبض على كنز الدولة . ولكن كنز الدولة تصدى لكرنبس فاضطر السلطان الناصر للاعتراف به ملكاً على النوبة[2] في عام 723هـ/ 1323م ، وبذلك قامت دولة الكنوز في النوبة والسودان .

أما عن العلاقة التي كانت تربط المماليك وبني كنز فكانت مجرد رباط روحي ، وكان ملوك بني كنز يرسلون الهدايا لسلاطين المماليك . وكان لحاكم دولة الكنوز رسم في المكاتبات التي كانت تصدر عن دار الإنشاء في مصر . ونصها كالتالي «صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس الجليل ، الكبير ، الغازي ، المجاهد ، المؤيد ... الخ[3]» .

وقد حاول بنو كنز إعلان استقلالهم عن دولة المماليك مستغلين قيام مجاعات في مصر ، وقاموا بمهاجمة أسوان في عام 767هـ/ 1365م وسيطروا على عيذاب[4].

ولكن تضافرت عوامل كثيرة أدت في النهاية لإضعاف دولة الكنوز ، من هذه العوامل الانقسام بين أفراد الأسرة الكنزية ، بالإضافة لمزاحمة القبائل العربية مثل هوارة لبني كنز ، وكان السقوط الحقيقي لدولة الكنوز على يد الأتراك العثمانيين حيث أرسلوا حملة في عام 926هـ/ 1520م استطاعت بعد مناوشات القضاء على هذه الدولة[5].

1 - رجب محمد عبد الحليم : دولة بني كنز ، الموسوعة الأفريقية ، جـ2 ، ص 223.
2 - القلقشندي : المصدر السابق ، جـ5 ، ص 277.
3 - ابن فضل الله العمري : التعريف بالمصطلح الشريف ، ص 48.
4 - المرجع السابق ، جـ2 ، ص 235.
5 - رجب محمد عبدالحليم: مرجع سبق ذكره ، جـ2 ، ص 238.

ب – سلطنة دارفور الإسلامية (849 – 1292هـ/ 1445 – 1875م) :

لبلاد دارفور طبيعة خاصة ، فهي عبارة عن هضبة تنتشر فيها مَراعٍ طبيعية ، وتتخللها بعض المرتفعات ومن أشهرها جبل مُرة . كما أن السكان في هذه السلطنة كانوا عبارة عن خليط من الزنوج والحاميين بالإضافة لشعب هاجر إليها من الشرق يسمى الداجو[1] ، بالإضافة لقدوم شعب التنجور في تونس للعيش في هذه البلاد فراراً من غارات قبائل بني هلال[2]. وتذكر بعض الروايات في دارفور أنسابهم إلى بني العباس ، ومؤسس دولتهم يسمى أحمد شعبان المعقور[3] الذي أتى لبلاد الفور ، وصاهر الملك وأنجب ولداً سماه سليمان . وقد عمل أحمد المعقور كمستشار للملك ونظم شئون السلطنة ، وبعد وفاة ملك الفور تولى أحمد الحكم .

ويأتي على رأس قائمة الملوك المشهورين الذين حكموا سلطنة دارفور ، الملك سليمان سولون[4] (848 – 880هـ/ 1445 – 1476م) وهو ينتمي لإحدى السلالات العربية المهاجرة لدارفور ، وقد استقدم هذا السلطان قبائل عربية وفتح باب الهجرة لهم فقدمت لهم قبائل الحبانية ، والرزيقات والمسيرية ، والتعايشية للإقامة في دارفور. وقد بلغت مدة حكم هذا السلطان ما يقرب من اثنتين وثلاثين سنة[5].

أما عن نظام الحكم في دارفور فكان حكماً ملكياً أو سلطانياً ويعين الملك على الأقاليم نواباً له من أهالي الإقليم ، ثم عدل هذا النظام وأصبح حكام الأقاليم من حاشية الملك ويسمى الواحد منهم مقدوم[6]. وكان يعاون الملك الوزير وهو الذي يتولى إدارة

1 – التونسي : تشحيذ الأذهان ، ص 136 : 147.

2 – المصدر السابق ، هامش رقم 3 .

3 – السبب في تسمية أحمد شعبان المعقور ، نتيجة لإصابته بجرح بعد أن ضربه أخوه في مقدمه ، نتيجة لاتهام امرأة أخيه بأنه يغازلها بعد أن فشلت في غوايته . انظر نعوم شقير ، تاريخ السودان القديم ، ملحق بكتاب تشحيذ الأذهان ، ص 368.

4 – المصدر السابق ، ص 139.

5 – المصدر السابق ، ص 371.

6 – نعوم شقير : نفسه ، ص 399.

شئون السلطنة من الناحية السياسية والإدارية ، بالإضافة لمنصب (أبو شيخ) وهو كبير الخصيان ومسئول عن قانون دالى[1] ، ويأتي أيضاً من طبقة الحكام ملك النحاس[2] ، وملك دادات السلطان[3] .

أما عن العلاقات مع مصر فكانت معبراً للقبائل التي هاجرت إلى بلاد دارفور ، كما كان هناك علاقات تجارية نظراً لوجود درب الأربعين في مصر والذي كان يعتبر معبراً لطرق القوافل إلى دارفور . كما وجدت علاقات ثقافية تمثلت في قدوم طلاب من هذه البلاد للدراسة بالأزهر الذي قام بتخصيص رواق لهم يسمى رواق الفور.

ج - سلطنة الفونج (910 - 1236هـ/ 1505 - 1820م) :

تعددت الروايات التي تحدثت عن أصل الفونج ، فقيل إن أصل الفونج تعود لسلالة أُموية هاجرت لبلاد السودان فراراً من العباسيين[4] ، وبعض الروايات تعود بأصولهم إلى قبائل عربية هاجرت إلى منطقة القرن الأفريقي ثم إلى بلاد السودان[5].

وقد قامت هذه القبائل بالمصاهرة مع ملوك السودان وتحالفوا معهم ، وعملوا على مد نفوذهم على حساب مملكة كلوة المسيحية. وقد قام تحالف بين عمارة دونقس (910 - 941هـ/ 1505 - 1543م) زعيم الفونج وبين عرب القواسمة الذين ينتمون لقبيلة الكواهلة بزعامة الشيخ عبد الله جماع[6] . وكان من نتائج هذا التحالف هو تمكنها

---

1 - قانون دالي : هو القانون العرفي لبلاد دارفور ، ومعنى دالي لسان السلطان وأوامره ، وكان يقوم على تنفيذه المقدوم . انظر نعوم شقير تاريخ سلطنة دارفور ملحق تشحيذ الأذهان ، ص 401 .

2 - ملك النحاس : هو الشخص المسئول عن الطبول السلطانية ، كما أنه يعتبر من رجال الإدارة المركزية ، ويتولى توزيع الطعام على الجيش . انظر : المرجع السابق ، ص 387 ، 400 ، 411 .

3 - ملك دادات السلطان : أي المسئول عن نوع من العبيد ، الذين ينشأون مع أبناء السلطان ، ويعتبرهم إخوة . انظر التونسي : المصدر السابق ، هامش ص 104.

4 - رجب محمد عبد الحليم : سلطنة الفونج ، الموسوعة الأفريقية ، جـ2 ، ص 239.

5 - المرجع السابق ، جـ2 ، ص 239.

6 - رجب محمد عبدالحليم: مرجع سبق ذكره ، ص 240 . وانظر أيضاً ، Trimingham : Islam in the Sudan ، Oxford ، 1949 ، p.58 .

من القضاء على مملكة كلوة المسيحية عام 910هـ/ 1505م وبالتالي قيام مملكة الفونج الإسلامية التي عُرفت أيضاً باسم المملكة الزرقاء[1] . واتخذت مدينة سنار عاصمة لها[2].

وقد امتدت حدود دولة الفونج إلى أقصى اتساع لها في عهد بادى أبو دقن (1642 - 1677م) وامتدت من الشلال إلى النيل الأزرق ومن البحر الأحمر إلى كردفان[3] .

وقد كان لهذه المملكة دور كبير في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية في السودان ، وكان الأسلوب السلمي هو المستخدم لنشر الإسلام بالإضافة لاستقبالهم الدعاة القادمين من مصر وبلاد الحجاز والمغرب والعراق[4] ، بالإضافة لقيام سلاطين هذه الدولة بتشجيع إنشاء الخلاوي ومدارس العلم التي خرَّجت كثيراً من علماء بلاد السودان .

وقد انهارت دولة الفونج نتيجة انفكاك عرى الاتحاد مع عرب القواسمة وازدياد رغبات الانفصال التي اعترت بعض المشيخات وضعف الحكام . وظلت تلك الأحوال سائدة في مملكة الفونج حتى انتهت على يد الفتح المصرى[5] عام 1820م .

أما عن العلاقات مع مصر فنظراً لقرب مصر من بلاد السودان فقد شهدت سلطنة الفونج قدوم علماء مصريين أزهريين لنشر الإسلام مثل الشيخ محمود قصير العركي وشهدت فترة حكم عمارة دونقس قدوم هؤلاء العلماء بالإضافة لسفر طلاب العلم السودانيين لتلقى العلم في مصر ، وخاصة في الجامع الأزهر الذي خُصِّص لهم رواق يسمى رواق السنارية[6] .

---

1 - حسن سليمان محمود : تاريخ السودان منذ أقدم العصور ، مكتبة مصر ، القاهرة ، 1957 ، ص 47 .

2 - ود ضيف الله : الطبقات في خصوص الأولياء ، المكتبة الأهلية ، الخرطوم ، السودان ، 1930 ، ص 5.

3 - رجب محمد عبدالحليم : سلطنة الفونج ، ص 241.

4 - ود ضيف الله : الطبقات ، ص 5.

5 - حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، دار الفكر العربي ، ص 320.

6 - القلقشندي : صبح الأعشى ، ج5 ، ص 324.

خامساً : دول منطقة القرن الأفريقي :

وبالنسبة لهذه المنطقة فقد ظهرت فيها عدة ممالك ، كان يُطلق عليها اسم ممالك الطراز الإسلامي[1] وتمتد مساحة هذه البلاد من ميناء مصوع شمالاً حتى إقليم الأوجادين جنوباً ومن رأس غور دافوي شرقاً حتى هضبة الحبشة غرباً [2] .

وكانت ممالك الطراز الإسلامي لا تجمعها وحدة سياسية ، بل كانت عبارة عن عدة ممالك مستقلة ، تخضع أحياناً لملك الحبشة الذي كان يأخذ منها الجزية سنوياً[3] وأحياناً تتوحد لتكون سلطنة واحدة ، ومن أشهر هذه الممالك أو السلطنات :

أ - سلطنة أوفات (648 - 705هـ/ 1250 - 1402م) :

أسس هذه السلطنة نفر من قبيلة قريش من بني عبد الدار . وكان يطلق على عاصمتها اسم جبرت وتقع غرب بلاد زيلع بالداخل . وكانت تتحكم في الطريق التجاري الذي يربط بلاد الزيلع بالداخل[4].

ومن أشهر الحكام عمر ولشمع الذي أنشأ السلطنة على حساب سلطنة شوا الإسلامية التي هاجمها انتقاماً لمقتل زوج ابنته ، وبلغ اتساع هذه الدولة مدى كبيراً حتى أنها أصبحت تفوق مملكة الحبشة في المساحة ، مما ترتب عليه عزل الحبشة عن العالم الخارجي ولذلك عندما تولت الأسرة السليمانية حكم الحبشة في عام 699هـ/ 1270م دخلت في حروب مع سلطنة أوفات وخصوصاً في عهد الملك الحبشي ياجيبا صيون (684 - 694هـ/ 1285 - 1294م) الذي استطاع الانتصار على سلطنة أوفات بسبب

---

1 - رجب محمد عبد الحليم : العلاقات السياسية بين مسلمي الزيلع ونصارى الحبشة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1980 ، ص15.

2 - المقريزي : الإلمام بأخبار عما بأرض الحبشة من ملوك الإسلام ، مطبعة لجنة التأليف ، القاهرة ، 1985 ، ص8.

3 - المقريزي : الإلمام بأخبار عما بأرض الحبشة من ملوك الإسلام ، مطبعة لجنة التأليف ، القاهرة ، 1985 ، ص8.

4 - رجب محمد عبد الحليم : سلطنة أوفات الإسلامية ، الموسوعة الأفريقية ، حـ2 ، ص 264.

عدم اتحاد أوفات مع بقية ممالك الزيلع[1].

وقد استمرت الحروب بين الفريقين وخصوصاً بعد تدعيم المسلمين لقوتهم وتقديم دولة المماليك الدعم السياسي لسلطنة أوفات . وبعد وفاة ملك الحبشة في سنة 698هـ/ 1299م قام الشيخ محمد أبو عبد الله بتجميع قبائل الجلا والصومال وغزا الحبشة[2] ، وقد نتج عن هذا الغزو انسحاب ملك الحبشة من بضع ولايات إسلامية كان قد استولى عليها من قبل ، كما تجددت الغزوات في عهد سلطان أوفات حق الدين الذي غزا الحبشة وقام بإحراق الكنائس وأجبر السكان على اعتناق الإسلام رداً على ما فعله الأحباش بالمسلمين ومساجدهم ، فقام ملك الحبشة بغزو أوفات وعزل حق الدين وعيَّن بدلاً منه صبر الدين ، وقد حاول صبر الدين التنصل من التبعية للأحباش ودخل في حلف مع إمارة هدية ودوارو ، ونجح بعض الشيء ، ولكن ملك الحبشة استطاع التخلص من هذا الحلف والقضاء عليه[3] .

وقد تميزت هذه الدولة بقوة جيشها الذي بلغ عدد قواته حوالي خمسة عشر ألف فارس وعدد المشاة أكثر من عشرين ألفاً ، كما تميزت بوفرة أراضيها الخصبة نظراً لوفرة المياه ، كما تميزت أيضاً برخص أسعارها ، ونتيجة لذلك تزعمت بلاد الزيلع[4] .

وقد ضعفت دولة أوفات بسبب النزاع الذي قام بين أفراد الأسرة الحاكمة ، هذا النزاع الذي أدى لانفراد حق الدين الثاني بالحكم ، وقام بالاستقلال عن الأحباش ، بالإضافة لقيام الأحباش بمحاربة سلطنة أوفات ونجحوا في النهاية في إضعافها والسيطرة على كثير من نواحيها [5] .

---

1 – ابن حجر : إنباء الغمر بأبناء العمر ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، 1994م ، جـ2 ، ص237.

2 – المقريزي : السلوك ، جـ1 ، قسم 3 ، ص 116.

3 – رجب عبد الحليم : العلاقة السياسية بين مسلمي الزيلع ونصارى الحبشة ، ص 144.

4 – رجب محمد عبد الحليم : سلطنة عدل ، الموسوعة الأفريقية ، جـ2 ، ص 269.

5 – رجب محمد عبدالحليم: المرجع السابق ، ص 144.

ب- سلطنة عدل (817 - 985هـ/ 1414 - 1577م) :

افتتح هذه المدينة بنو ولشمع بعد أن تم له القضاء على سلطنة شوا ، وكانت تضم المناطق التي تقع بين ميناء زيلع وهرر[1] .

من أشهر حكام هذه الدولة صبر الدين الثاني الذي واصل الحروب ضد الحبشة وقاد ضدها حرب العصابات حتى وفاته في عام (226هـ/ 1422م) واشتهر أيضاً المنصور الذي استطاع حشد المسلمين ضد ملك الأحباش وانتصر عليهم ، مما حدا بالملك إسحاق بن داود ملك الحبشة إلى محاربة جيش المنصور الذي تم أسره في عام[2] (829هـ/ 1452م) فقام أخوه جمال الدين لمحاربة الأحباش ولكنه قتل على يد بنى عمومته في سنة (839هـ/ 1432م) وتولى من بعده شهاب الدين أحمد الذي تمكن من الانتقام لمقتل أخيه وحارب الأحباش واسترد إمارة بالي ولكنه قُتِل في عام (848هـ/ 1444م)[3] .

وقد تضافرت عدة عوامل ساعدت على ضعف سلطنة عدل منها ظهور البرتغاليين كقوة عسكرية جديدة في المنطقة تحالفت مع الأحباش هذا التحالف الذي أسفر عن مقتل أحمد القرين[4] . وعلى الرغم من قيام خلفائه من بعده بالقتال إلا أن الأمر أدى في النهاية إلى سيطرة الأحباش على كثير من تلك المناطق[5].

ولم يقتصر الأمر في منطقة القرن الأفريقي على سلطنة أوفات وعدل فقط ، بل

---

1 - رجب محمد عبد الحليم : نفسه ، الموسوعة الأفريقية ، جـ2 ، ص 269.

2 - المقريزي : السلوك ، جـ4 ، قسم 2 ، ص 649.

3 - المرجع السابق ، جـ2 ، ص 271.

4 - أحمد القرين : أحمد بن إبراهيم القرين ، كان من فرسان الجراد آبون ، وبعد مقتل الجراد آبون ، استقل أحمد القرين بعسكره في بلدة هوبث ، وقد استطاع هزيمة الأحباش في عدة معارك ، واستشهد في عام 858هـ/ 1435م ، وقد أصلح أحوال الرعية وأكرم طبقة العلماء والفقهاء . انظر عرب فقيه : فتوح الحبشة ، نشر دينه بياسيه ، بدون ، ص 6 ، 7.

5 - رجب محمد عبد الحليم : الصراع بين مسلمي الزيلع ، ص 21.

ظهرت عدة إمارات أخرى مثل سلطنة فطجار التي كانت تقع في مكان متوسط بالنسبة للسلطنات الإسلامية ، وكانت تتميز بقوة عسكرية كبيرة إذ بلغ عدد أفراد جيشها عشرة آلاف فارس ، كما ازدهرت اقتصادياً نتيجة لخصوبة التربة ووفرة المياه اللازمة للزراعة[1]. يضاف إلى ذلك وجود ممالك إسلامية أخرى صغيرة مثل سلطنة دوارو ومملكة بالي ومملكة أرايني وغيرها .

أما عن أحوال السكان في بلاد زيلع ، فقد كانوا يتميزون بالمحافظة على شئون الدين ، وانتشرت بينهم طائفة كبيرة من الزهاد والنساك وكان يسود فيهم المذهب الحنفي والشافعي[2] وكان التعامل يتم بواسطة ثلاث طرق وهي نظام المقايضة ونظام التعامل المالي بالدنانير وطريقة الحنكات وهي عبارة عن قطع من الحديد بطول الإبرة وإن كانت أعرض منها ويتم التعامل بها[3].

ولا يمكن اختتام الحديث عن ذكر بلاد الزيلع دون ذكر علاقة مصر بهذه البلاد ، حيث تنوعت العلاقات ما بين علاقات سياسية وثقافية . فمن حيث العلاقات السياسية ، كانت مصر كثيراً ما تتدخل لصالح هذه البلاد عند حكام الحبشة ، كما كان السكان يستنجدون بمصر ضد ممارسات الحبشة العدائية[4] بالإضافة لوجود صيغ مكاتبة خاصة بهذه الممالك[5] .

كما شهدت مصر وبلاد الزيلع علاقة ثقافية حيث كان يأتي إليها طلاب العلم الزيالعة للدراسة في الأزهر الشريف وكان لهم رواق مخصص داخل الجامع يُعرف برواق الجبرت[6] .

---

1 - المقريزي : الإلمام ، ص 26.
2 - القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ5 ، ص 324.
3 - المصدر السابق ، جـ5 ، ص 331.
4 - نفسه ، جـ5 ، ص 333.
5 - العمري : التعريف بالمصطلح الشريف ، ص 48.
6 - سيأتي في الحديث عن الأروقة بالتفصيل في الفصل القادم.

سادساً : دول منطقة الساحل الشرقي الأفريقي :

أ - سلطنة مقدشو الإسلامية (292 - 1067هـ/ 905 - 1656م)

قامت هذه السلطنة في الصومال الجنوبي ، وتنتمي العناصر السكانية فيها إلى الكوش الحاميين مثل قبائل الجلا والدناكل بالإضافة لمهاجرين عرب استطاعوا إقامة مراكز تجارية في مقدشو وبراوة وكسمايو . ومن أشهر الهجرات التي تعرضت لها المنطقة هي هجرة الزيديين وهجرة الإخوة السبعة من بني الحارث للصومال في عام 292هـ/ 903م والذين أسسوا مدينة مقدشو عام 295هـ/ 906م ، كما أسسوا أسرة حكمت البلاد[1] .

وقد اتسع نفوذ دولة مقدشو على الساحل ، وازدهرت اقتصادياً بسبب النشاط التجاري والزراعي المزدهر فيها ، كما انتشرت بها المباني الزاهرة ، وقد أصبحت مقدشو مركزاً للمسلمين وأقيمت صلاة الجمعة في مساجدها[2].

وكان لوجود هذه السلطنة أثر كبير في حركة التعريب التي قامت في هذه المنطقة فتم تعريب القبائل الصومالية ، كما انتشر الإسلام في تلك الأصقاع . وقد زار ابن بطوطة هذه السلطنة تاركاً لنا وصفاً عن طعام وملابس وأسلوب معيشة سكانها[3]. كما زار سكانها وكتب عنهم في رحلته المشهورة[4] . كما اشتهرت تلك السلطنة بصناعة المنسوجات وكانت تصدِّرها لمعظم أنحاء العالم الإسلامي بالإضافة لشهرتها في تجارة العاج والذهب وجوز الهند والدقيق[5].

---

1 - رجب محمد عبد الحليم : العثمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام ، مكتبة العلوم ، مسقط ، عمان ، 1989م ، ص217.

2 - رجب محمد عبد الحليم : سلطنة مقدشو ، الموسوعة الأفريقية ، جـ2 ، ص 282 ، 283.

3 - ابن بطوطة : الرحلة ، تحفة النظار في غرائب الأمصار ، دار التحرير ، القاهرة ، 1916م ، ص 107.

4 - المصدر السابق ، ص 168 - 173.

5 - حسن أحمد محمود : مرجع سبق ذكره ، ص 249.

وقد ضعفت هذه السلطنة لعوامل عديدة منها ، تعرُّضها لغزو برتغالي في عام 904هـ/ 1498م استولى فيه البرتغاليون على مدينة براوة في عام 913هـ/ 1507م كما حاصروا بربرة في عام 922هـ/ 1156م فاضطر سلطان مقديشو للتحالف مع العثمانيين الذين أرسلوا أسطولاً بحرياً في عام 1076هـ/ 1656م واستطاع إبعاد خطر البرتغاليين[1].

أما عن العلاقة مع مصر فقد وُجدت علاقات تجارية وثقافية تمثلت في وجود مصنوعات مصرية في هذه السلطنة ، وفي قدوم طلبة للتعلُّم في الأزهر الشريف .

ب- سلطنة كلوة (365 - 911هـ/ 975 - 1505م) :

تأسست هذه السلطنة على يد أسرة من شيراز بزعامة علي بن حسن بن علي قد نزلوا جزيرة كلوة واستقر فيها عام 365هـ/ 975م وقد استطاع علي بن حسن بن علي مد نفوذه إلى سفاله جنوباً وممبسة شمالاً . وبعد وفاته تمكن ابنه من السيطرة على كلوة بعد قمع حركة تمرد ضده من القبائل الأفريقية كما حرم سلطنة مقدشو من التجارة بينها وبين سفاله[2].

ونظراً لقيام الفرس بإنشاء السلطنة تركوا الأثر الفارسي على نمط الحياة خاصة في المباني التي كانت تقام من الأحجار بالإضافة لبناء المساجد التي بهرت أنظار الرحالة المسلمين. وقد انتقل الحكم بعد ذلك لأسرة عربية عام 767هـ/ 1277م في عهد السلطان ابن المظفر حسن واستمر الحكم عربياً حتى عام 911هـ/ 1505م[3].

وقد انتشر المذهب الشافعي في هذه السلطنة واهتم الحكام باستقدام العلماء كما كان هؤلاء الحكام يغيرون على القبائل الأفريقية الزنجية للقضاء على تهديدها وهجومها

---

1 - رجب محمد عبد الحليم : سلطنة مقدشو ، الموسوعة الأفريقية ، جـ2 ، ص284.

2 - رجب محمد عبد الحليم : المرجع السابق ، جـ2 ، ص 286.

3 - مجهول : السلوة في أخبار كلوة ، ص 33.

على السلطنة[1] .

وقد كان السبب في ازدهار اقتصاد هذه السلطنة جمعها الضرائب على التجارة وسيطرتها على مناجم الذهب في منطقة سفاله وفي الداخل ، كما انتشرت حرفة الزراعة بين السكان مما جعل اقتصاد البلاد قوياً[2].

ولكن كالعادة ونتيجة للاضطرابات الداخلية ، وظهور قوة بات وازدهارها الاقتصادي قام حكامها من أسرة بني نبهان العربية بالتحكم في شئون كلوة فضعفت هذه السلطنة ، مما جعل البرتغاليين ينجحون في السيطرة على كلوة ويحتلونها[3] عام (911هـ/ 1505م) .

ج - سلطنة بات (600 - 1287هـ/ 1203 - 1861م) :

أسست هذه السلطنة هجرة عربية من عمان هاجرت لساحل شرق أفريقيا في بداية القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي . وهذه الأسرة كانت في عمان بزعامة سلمان بن سلمان بن مظفر النبهاني[4] الذي كان أحد ملوك النبهاونية[5] في عمان. وقد استقر في مدينة بات وحكم جزءاً كبيراً من الساحل وتزوج من أميرة سواحلية وورث الحكم من أبيها .

ومن أشهر ملوك الدولة النبهانية محمد الثاني بن أحمد (691 - 722هـ/ 1291 - 1331م) الذي استطاع التوسع شمالاً وأخضع المدن الساحلية . وأيضاً السلطان عمر الأول (722 - 760هـ/ 1331 - 1358م) الذي حارب كثيراً من المدن الساحلية

1 - رجب عبد الحليم : سلطنة كلوة ، الموسوعة الأفريقية ، جـ2 ، ص287.

2 - حسن أحمد محمود : مرجع سبق ذكره ، ص 429.

3 - رجب محمد عبد الحليم : سلطنة كلوة ، ص 289.

4 - رجب محمد عبد الحليم : سلطنة بات ، المرجع السابق جـ2 ، ص 289.

5 - المرجع السابق ، ص 289.

ووصل لجزيرة كيرمبا حتى رأس دلجارو في الصومال ومد نفوذه لمدينة ممبسة[1] .وقد ازدهرت دولة النبهانيين في بات ونشطت التجارة ، وازداد ثراء الأهالي وأقاموا منازل مبنية بالأحجار وتم تخطيط المباني ونقشها وزخرفة الأبواب والنوافذ[2].وقد ظهرت في فترة سلطنة بات اللغة السواحيلية التي ظهرت نتيجة لتزاوج العرب والزنوج وقد أصبحت هذه اللغة لغة التجار والسكان وانتشرت في منطقة شرق ووسط أفريقيا[3].

وقد تعرضت دولة بني نبهان للخطر البرتغالي مع فشل مثيلاتها في دول الساحل الشرقي الأفريقي الإسلامية ، بالإضافة لعدم قيام تعاون ووحدة بين هذه الدول مما ساعد على سهولة سقوطها في يد البرتغاليين[4] .

1 - رجب محمد عبدالحليم: سلطنة بات ، حـ2 ، ص 29 .

2 - حسن أحمد محمود : مرجع سبق ذكره ، ص 434.

3 - المرجع السابق ، ص 293.

4 - حسن أحمد محمود : نفس المرجع ، ص 434.

2 - دور الأزهر الديني في الممالك الإسلامية

تميز دور الأزهر في الدول الأفريقية التي سبق الحديث عنها بالتنوع والتعدد ، فقد ساهم في نشر الإسلام في العديد من هذه الدول ، وكانت له أدوار أخرى يأتي الحديث عنها في حينه من هذا البحث . ونبدأ الحديث بدوره في نشر الإسلام في بعض مناطق القارة الأفريقية .

جهود الأزهر في نشر الإسلام في بعض مناطق القارة :

عند ذكر دور الأزهر في نشر الإسلام في بعض بلدان القارة يكون مفيداً أن نتحدث أولاً عن انتشار الإسلام قبل قيام الأزهر بدوره في هذا المضمار ، ثم نتبعه بالحديث عن دور الأزهر في هذا المجال . والحديث عن انتشار الإسلام قبل الأزهر يوضح لنا السمات التي تميز بها هذا الانتشار ، فقد تنوعت وسائل انتشار الإسلام وتعددت ، فمنها ما تم نتيجة لحركة الفتوح الإسلامية ، ومنها ما غلب عليه الطابع السلمي ، يتضح ذلك من خلال استعراض تاريخ انتشار الإسلام في القارة .

أولاً : منطقة الشمال الأفريقي :

تميز انتشار الإسلام في هذه المنطقة عقب الفتوح الإسلامية التي بدأت تأخذ طريقها لبلاد المغرب بعد إتمام العرب فتح مصر في عام 20هـ/ 640م عندما قام عمرو بن العاص على رأس جيش إلى برقة ، واستطاع أن يلزم أهلها بصلح على جزية سنوية يدفعونها[1] . وقد توقفت الفتوح في عهد عمرو بن العاص عند حدود برقة ولم يتجاوزها نظراً لوجود تعليمات مشددة من الخليفة عمر بن الخطاب بألَّا يتجاوزها إلى ولاية أفريقية البيزنطية[2]. وفي عهد خلافة عثمان بن عفان أمر واليه على مصر عبد الله

1 – البلاذري : فتوح البلدان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1983م ، ص 225 ، 226.
2 – ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، دار التعاون ، القاهرة ، 1974م ، ص 117.

ابن سعد بن أبي السرح بغزو ولاية أفريقية ، عن طريق إرسال جيش تمكن من غزوها وقتل عامل الروم عليها جريجير يوس[1] .

وبعد قيام الدولة الأموية ، واصلت هذه الدولة عملية الفتوح في بلاد المغرب ، حيث تبارى الخلفاء في إرسال الجيوش ، مرة بقيادة معاوية بن حديج[2] ، ومرتين بقيادة عقبة بن نافع الفهري الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للوجود الإسلامي في منطقة الشمال الأفريقي[3] ، حيث قام بإنشاء مدينة القيروان عام 55هـ/ 670م ، لكي تكون قاعدة عسكرية للمسلمين في منطقة الشمال الأفريقي ، ولكن عقبة استشهد على يد القبائل البربرية في أثناء عودته من إحدى الغزوات[4] وفي عهد ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر قام بإرسال عدة حملات مرة بقيادة «زهير بن قيس البلوي» ومرة بقيادة حسان ابن النعمان الذي انتقم لمقتل عقبة وهزم البربر بزعامة الكاهنة ، وبدأ حسان بن النعمان باستمالة القبائل البربرية إليه عن طريق إلحاقهم بالجيش[5] فانتشر الإسلام بينهم .

ولم يستقر المسلمون في بلاد المغرب إلا في عهد ولاية موسى بن نصير (85 - 95هـ/ 704 - 714م) والذي وصل في فتوحاته إلى بلاد طنجة وهبط جنوباً حتى بلغ منطقة السوس الأدنى ، وقام موسى بن نصير بنشر الإسلام هناك ، حيث ترك سبعة عشر رجلاً يعلّمون البربر القرآن الكريم وقواعد الإسلام[6] .

وكان من نتائج الفتوح الإسلامية في بلاد الشمال الأفريقي ، انتشار الإسلام بين القبائل البربرية ، على الرغم من طول المقاومة التي أبدوها ضد الفاتحين العرب ، وكثرة ارتدادهم عن الدين الإسلامي والتي بلغت كما يذكر ابن خلدون حوالي اثنتى عشرة

---

1 - محمد أحمد بن تميم : طبقات علماء أفريقيا وتونس ، الدار التونسية للنشر ، 1968م ، ص 71 ، 72.

2 - المالكي : رياض النفوس في طبقات علماء أفريقيا ، النهضة المصرية ، 1951م ، جـ1 ، ص 17 ، 18.

3 - ابن عبد الحكم : مصدر سبق ذكره ، ص 132 ، 133.

4 - ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ1 ، ص 28.

5 - المصدر السابق ، جـ1 ، ص 37.

6 - نفسه ، جـ1 ، ص 42.

مرة[1] وإن ظلت بعض القبائل على وثنيتها لفترة كبيرة من الزمن[2].

وقد نتج عن انتشار الإسلام انتشار اللغة العربية ، ومن العوامل التي ساعدت على نشرها في بلاد الشمال الأفريقي استقرار العرب هناك منذ عصر الفتوحات الإسلامية ، وسياسة الدولة الإسلامية في تشجيع البربر على الدخول في الإسلام وفي التعريب كما ساعد على ذلك أيضاً هجرة قبائل بني هلال الذين استوطنوا منطقة الشمال الأفريقي قرب منتصف القرن الخامس للهجرة ، وعلى الرغم من التدمير الذي ألحقوه ببعض نواحي بلاد المغرب[3] إلا أنهم أسهموا في نشر اللغة العربية والإسلام في هذه البلاد .

ثانياً : منطقة غرب أفريقيا :

كانت هذه المنطقة تعرف باسم بلاد السودان الغربي ، وكان امتدادها الجغرافي يبدأ في المحيط الأطلنطي غرباً حتى منطقة سودان وادي النيل شرقاً وحدّها جبال أطلس والصحراء شمالاً وتمتد حتى نصاعة الغابات الاستوائية جنوباً.

وقد بدأت هذه المنطقة تعرف طريقها إلى الإسلام على يد قبائل الطوارق[4] ، وهي قبائل تنسب إلى صنهاجه ويرجعون نسبهم إلى قبائل حمير اليمنية ، وكانت مضارب هذه القبائل في المناطق المتاخمة لحدود بلاد الشمال الأفريقي وبلاد السودان[5] ، وكانوا يفرضون عليها المكوس ، وقد استطاع هؤلاء الطوارق في عهد دولة المرابطين وبقيادتها الاستيلاء على مدينة أودغشت وتحطيم مملكة غانة الوثنية في عام 469هـ/ 1076م مما كان له أكبر الأثر في نشر الإسلام في هذه المملكة وما يحيط بها من بلدان[6].

---

1 - ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، جـ6 ، قسم 1 ، ص 220.

2 - البكري : المسالك والممالك ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، بدون ، ص 12.

3 - السيد عبد العزيز سالم : مرجع سبق ذكره ، ص 123.

4 - الطوارق : ويُعرفون بالملثمين لأنهم يتخذون اللثام على وجوههم والسبب في ذلك كما يقولون ، أنهم يعتبرون الفم بمثابة عورة يجب تغطيته . انظر ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 99.

5 - المصدر السابق ، ص 99.

6 - البكري : مصدر سبق ذكره ، ص 168.

كما قام التجار أيضاً بنشر الإسلام في منطقة الغرب الأفريقي حيث كانوا دعاة ولو عن طريق غير مباشر ، حيث كانوا يحتكون بالسكان بصفة يومية ، ونتيجة لهذا الاحتكاك بدأ الإسلام يعرف طريقه إلى قلوب الأفارقة ، وكان التجار يمثلون طبقة نشيطة في نشر الإسلام . كما كانت لهم مراكزهم التجارية المشهورة مثل مدينة جنى[1] ومدينة تمبكت[2] وغيرها.

كما لعبت الطرق الصوفية أيضاً دوراً مهماً في نشر الإسلام في تلك الأصقاع ، وأشهر الطرق التي تشرفت بحمل هذه الأمانة هي الطريقة القادرية التي انتشرت مراكزها في مدينة كنكا وتمبو[3] ، وكانت هذه الطريقة قد عرفت طريقها إلى بلاد السودان الغربي على يد صوفية قدموا من بلاد المغرب.

والملاحظ على انتشار الإسلام في منطقة الغرب الأفريقي هو إسلام الملوك أولاً ، ثم يتبعهم الرعية ، أو وجود مسلمين مع احتفاظ الملوك بوثنيتهم حتى يتم إسلامهم ، كما كانت الألقاب التي حملها الملوك المسلمون تحمل معنى كبيراً ، وهو اعتناقهم الإسلام الذي كان عن اقتناع تام دون قهر وإجبار ، ومن أمثلة هذه الألقاب اللقب الذي أطلق على (زاكسي) أول ملك مسلم في صنغي وهو لقب مسلم دام[4].

ثالثاً : بلاد النوبة والسودان :

بدأ احتكاك المسلمين ببلاد النوبة ، بعد فتحهم لمصر عندما أرسل عمرو بن العاص

---

1 – جنى : تأسست عام 435هـ(1043 – 1044م). وقد تسرب لها الإسلام منذ البداية واشتهرت هذه المدينة بكونها سوقاً لتجارة السلع والذهب . وقد خضعت المدينة لدولة صنغي . كما اشتهرت بكثرة العلماء. انظر السعدي: تاريخ السودان ، ص 11 ، 12 وأيضاً انظر توماس أرنولد : الدعوة للإسلام . ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرون ، النهضة المصرية ، القاهرة ، 1957م ، ص 355.

2 – مدينة تمبكت : تأسست حوالي 494هـ/ 1100م وكانت مركزاً للثقافة الإسلامية في غرب أفريقيا ، وهي مدينة إسلامية الطابع ، بها جامع سنكرى المشهور ، وكانت لها علاقة بالأزهر . انظر السعدي : المصدر السابق ، ص 20 – 22 وأيضاً أرنولد : المرجع السابق ، ص 355.

3 – أرنولد : مرجع سبق ذكره ، ص 365.

4 – السعدي : تاريخ السودان ، ص3.

جيشاً بقيادة عقبة بن نافع لفتح بلاد النوبة ، ولكن لم يتم الفتح نظراً للمقاومة التي أبدتها بلاد النوبة للفاتحين المسلمين . وفي ولاية عبد الله بن سعد ، أرسلت فرقة عسكرية لبلاد النوبة[1] عام 31هـ/ 651م ولكنها جوبهت بمقاومة عنيفة من السكان ، فاضطر عبد الله ابن سعد لتوقيع صلح مع ملك النوبة عرف باسم البقط ، اتفق الطرفان فيه على أن تقدم بلاد النوبة عدداً معيناً من الرقيق نظير أن تقدم مصر لها بعض الغلات الزراعية وأن تكف يدها عنها[2] .

واستمرت ممالك النوبة المسيحية ، وهي مملكة مقرة وكلوة قائمتين ، حتى عصر سلاطين المماليك ، الذين أرسلوا عدة حملات لبلاد النوبة ، أدت لسقوط تلك الممالك ، مما فتح البلاد أمام التقدم الإسلامي خاصة بعد اشتداد تيار هجرة كثير من القبائل العربية إلى بلاد النوبة ، والتي قامت بمصاهرة قبائل النوبة بل استطاعت تلك القبائل إقامة كيانات[3] سياسية في بلاد النوبة كما سبق القول مما أدى لانتشار الإسلام فيها إلى حد كبير.

رابعاً : انتشار الإسلام في شرق أفريقيا :

تميز انتشار الإسلام في تلك البلاد باتباع أسلوب الهجرات سواء في بلاد الحجاز أو في ساحل عمان والبحرين . وقد استطاع هؤلاء المهاجرون تكوين ممالك وسلطنات إسلامية انتشرت في منطقة الساحل الشرقي لأفريقيا مثل سلطنة مقديشو[4] وسلطنة بات وسلطنة كلوة[5] . ومن خلالها تم للمسلمين السيطرة على الساحل الشرقي لأفريقيا.

---

1 - ابن حوقل : مصدر سبق ذكره ، ص 56.

2 - ابن عبد الحكم : مصدر سبق ذكره ، ص 128.

3 - مثل قيام قبائل ربيعة بتكوين إمارة ربيعة ، انظر الموسوعة الأفريقية ، جـ2 ، ص226.

4 - ابن بطوطة : الرحلة ، 169.

5 - مجهول : السلوة في أخبار كلوة ، ص 28 - 30.

أما بالنسبة لهضبة الحبشة ، فنظراً لصعوبة اجتيازها فقد وقفت حاجزاً أمام الفتوح الإسلامية ، ولكنها شهدت قدوم موجات من المهاجرين من قبائل البجة ، التي كانت قد اعتنقت الإسلام وقد تحدث عن إسلامهم ابن حوقل بالتفصيل[1] وأخذت تنشره عبر الهضبة الحبشية ، كما أن الانقسامات والمشاكل الداخلية في الحبشة مهدت تسرب القبائل العربية للاستقرار على السواحل مما مهد للإسلام الدخول في بلاد الحبشة[2].

وهكذا انتشر الإسلام في العديد من مناطق القارة الأفريقية منذ ظهور الإسلام وطوال العصور التاريخية حتى عصر سلاطين المماليك ، وهو العصر الذي ظهر فيه دور الأزهر بشكل واضح سواء في ميدان الدعوة إلى الإسلام أم في غيره من الميادين. ومن ثم وجب علينا بعد أن استعرضنا المرحلة الأولى لانتشار الإسلام في القارة الأفريقية وهي المرحلة السابقة على ظهور الأزهر يأتي ذكر المرحلة الثانية ، وهي المرحلة التي قام الأزهر فيها بدور كبير في سبيل نشر الإسلام في الأماكن التي لم ينتشر فيها أثناء المرحلة الأولى . ويمكن تحديد الأماكن التي كان للأزهر دور فيها بأنها كانت في منطقة غرب أفريقيا وسط الأقاليم الوثنية وداخل الممالك الإسلامية ، وأيضاً قيامه بنشر الإسلام في بلاد الكانم وبرنو[3] في بلاد السودان الأوسط كذلك قام الأزهر بدور في مناطق السودان الشرقي الذي يشمل الآن ما يسمى بجمهورية السودان ، كما كان له نفس الدور في منطقة القرن – الأفريقي ومنطقة الساحل الشرقي لأفريقيا.

وقد اتبع علماء الأزهر الذين قاموا بنشر الإسلام في هذه المناطق عدة وسائل ، منها سفر هؤلاء العلماء عبر الطرق التجارية المشهورة في القارة ، مع الإقامة بصفة دائمة أو مؤقتة في تلك البلاد ، وكان بعض هؤلاء العلماء يجمعون بين صفة العلم

---

1 – ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 58 ، 59.

2 – حسن إبراهيم حسن : نفس المرجع ، ص 12 .

3 – Palmer : Borni ، Sohara and the Sudan ، London ، 1936 ، p.14.

والاشتغال بالتجارة ، فقد ذكر الذهبي في تاريخه[1] ترجمة لعالم توفي وهو في طريقه لبلاد السودان ، وكان ذاهباً لغرض التجارة . ومن الوسائل أيضاً التي اتبعها العلماء إقامة كتاتيب لتعليم اللغة العربية ومبادئ الدين الإسلامي للأفارقة ، وإقامة حلقات وعظ بين المسلمين الأفارقة لكن يُعدوهم للقيام بمهمة نشر الإسلام بين إخوانهم الأفارقة ، والظاهرة اللافتة للنظر في هذه الحلقات أنها كانت تشهد حضور المسلمين والوثنيين معاً[2] .

وقد توافرت عدة عوامل يسَّرت عمل هؤلاء الدعاة ، من هذه العوامل سهولة ويُسْر الدين الإسلامي ، وبعده عن التعقيدات الفلسفية الموجودة في بعض الديانات الأخرى ، كما أن الإسلام كان لا يتعارض في بعض الأحيان ، مع بعض العادات اليومية للأفارقة[3] ، مع تميز الإسلام بسهولة الدخول فيه ، فيكفي للإنسان أن ينطق الشهادتين ، وبذلك يصبح فرداً مسلماً.

أما عن جنسيات العلماء الذين تولوا حمل أمانة نشر الإسلام في القارة الأفريقية ، فلم تكن جنسيات تلك العلماء وقفاً على العلماء المصريين الأزهريين فقط ، بل شاركهم في هذا المجهود وتحمل هذه الأمانة إخوانهم العلماء المغاربة[4] ، وأيضاً العلماء الأفارقة الذين تلقوا علومهم في الأزهر . وقد جمع بين تلك الجنسيات المختلفة رباط الدين ووحدة الثقافة التي تلقوها في الأزهر .

أما بالنسبة للمواطنين الأفارقة فكانوا ينظرون إلى هؤلاء العلماء والمعلمين نظرة تبجيل واحترام بصفتهم طبقة متعلمة تتميز بالقدرة على كتابة الأحجبة والتمائم ،

---

1 - الذهبي : دول الإسلام ، الهيئة العامة للكتاب ، 1974م ، جـ2 ، ص 241.

2 - حسن إبراهيم حسن : نفس المرجع ، ص 27.

3 - المرجع السابق ، ص 15.

4 - أحمد بابا التنبكتي : تطريز الديباج ، ص 264.

وبمعنى أدق كانوا يتبركون بوجود هؤلاء العلماء[1] .

ومن النماذج التي يمكن ذكرها للتدليل على جهود هؤلاء العلماء في نشر الدين الإسلامي في القارة ، قصة دخول الإسلام لمملكة الكانم وبرنو ، حيث قام عالم إسلامى بنشر الإسلام فيهم واسمه محمد بن ماني[2]. وقد أثرت جهود هذا العالم في إسلام الملك الماي بولو الذي كان يحكم حوالي 411هـ/ 1020م وحاشيته وأهل بيته[3] .

ومن العلماء أيضاً الذين نشروا الإسلام في منطقة غرب أفريقيا الباقوري[4]. وفي منطقة السودان (وادي النيل) محمود العركي[5] ، وولد عشيب[6] .

1 – توماس أرنولد : الدعوة للإسلام ، ص 392.

2 – محمد بن ماني : هو الجد الأعلى للإمام أحمد بن فرنو مؤرخ دولة الكانم وبرنو ، وقد عاش عمراً كبيراً حتى بلغ 120 عاماً ، وعاصر كثيراً من ملوك دولة كانم ، وتوفي في عهد الملك آدم بن عبد الجليل ، الذي تولى الحكم في سنة 479هـ/ 1086م. انظر إبراهيم طرخان : امبراطورية البرنو ، ، ص 67.

3 – Palmer : op. cit ، p.14.

4 – الباقوري : صالح بن محمد بن أحمد ، وسمى الباقوري نسبة لقرية باقورة وهي بلدة مصرية ، واشتهر بمهارته في علوم الفقه والأصول ، توفي عام 843هـ/ 1439م . انظر السخاوي : الضوء اللامع ، جـ3 ، ص 315.

5 – محمود العركى : رجل قصير ، ولد بالنيل الأبيض ، حضر لمصر وتلقى العلم بالأزهر ، سكن في جزيرة الهدى بالسودان وبنى قصراً يعرف بقصر محمود . انظر ود ضيف الله : الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء ، ص 163.

6 – ولد عشيب : علي ولد عشيب ، ولد في مدينة دنقلة ، وتلقى العلم بالأزهر ، عمل بالقضاء ، دفن في العيدى وهي مدينة على شاطئ النيل الأزرق ، انظر ود ضيف الله : المصدر السابق ، ص 114 ، 115.

3- تصحيح المفاهيم الدينية وإرساء قواعد الدين السليمة

شهدت المناطق الإسلامية في القارة الأفريقية العديد من الأفكار التي كانت تخالف صحيح الدين الإسلامي . وقد تباينت تلك الأفكار ما بين أفكار تتعلق بالعادات الأفريقية التي كانت منتشرة قبل الإسلام وتتعارض مع صحيح الدين ، وما بين أفكار تدل على عدم فهم الدين فهماً صحيحاً ، وكان لعلماء الأزهر مواقف من هذه الأفكار حيث عملوا على إزالتها أو تهذيبها لتتماشى مع صحيح الدين ، وفيما يلي استعراض لتلك الأفكار.

في مناطق الغرب الأفريقي وُجدت أفكار تتعارض مع بعض التقاليد الإسلامية ، مثل توريث الملك والحكم لابن الأخت دون الابن الصلب . وكانت حجة الأفارقة في ذلك أن ابن الأخت يدل على صحة نسبه دون الابن الصلب حيث إن أمه على أية حال تكون معروفة[1] ، كما أن الرجل قد يشك في ابنه ، بينما لا تستطيع المرأة الشك في ابنها .

كما عرفت القارة عادات تدل على مدى الجهل بأمور الفقه وخصوصاً في مملكة الفونج ، حيث كانت المرأة تتزوج دون إتمام فترة العدة ، ويكفي للرجل أن يطلق امرأته حتى تصبح في اليوم التالي وقد تزوجت من غيره[2] .

كما كان للأفارقة عادات يخلطون فيها تقاليدهم بالمفاهيم الإسلامية ومن أمثلة ذلك العادة التي كانوا يتبعونها وهي عادة الخروج للصحراء وإيقاد النيران ، ويذبحون لها البقر ، ويأمرون صبيانهم بالتجمع عند النار ، مع ضربهم في حالة الامتناع بالعصي ثم يطوفون بالنار هم وأولادهم ، ويقولون نحن وداعة الله ، ثم وداعتك أيتها النار ، وأنت أبونا وأمنا ، ثم يقومون بالرقص حول النار وقد انتشرت تلك العادة عند قبائل

---

1 - ابن بطوطة : الرحلة ، ص 443.

2 - ود ضيف الله : الطبقات ، ص 5.

الفلاتا[1] . وواضح تماماً مدى اختلاط المفاهيم الوثنية بالمفاهيم الدينية ، وأيضاً يتضح مدى الحرص الشديد على تلك العادة المزرية .

ومن العادات التي اشتهرت أيضاً وكان لها مفهوم وثني عادة التبرك بالدماء ، وكانت تلك العادة مشتهرة في بلاد البرنو بل كان السلاطين يشاركون في هذه العادة وكانوا يقومون بالخروج لأماكن معينة ، وهناك يقومون بذبح الحيوانات ، ثم تسكب دماؤها وترش أمام الأبواب والبيوت حيث إنهم كانوا يعتقدون أنها تجلب لهم البركة ، كما كانوا يعتقدون أنها تساعدهم على قضاء حوائجهم[2] .

ولم تقتصر تلك الأفكار الغريبة عن الإسلام على هذه العادات والتقاليد فقط بل تعدَّتها إلى سوء فهم لقواعد الدين ، مع الميل للتمسك بحرفية النصوص ، مثل قيام جماعة من الأفارقة لم يكن يشغلهم شاغل سوى تكفير الناس ، وعمدتهم في ذلك بعض النصوص الدينية التي لم يستوعبوها وكانوا يلقون بأسئلتهم على جمهور القاعة من المسلمين ، وغالباً ما كان يعجز الناس عن الرد عليها[3] ، وقد وصل بهم الأمر إلى تحريم أكل ذبائح العوام ، مع تحريم مصاهرتهم[4] . ويبدو من استعراض تلك الأفكار أنها كانت البذور الأولى لما عُرِف بالتطرف في أمور الدين.

ولم يتوقف الأمر عند التطرف في الدين ، بل وجدت جماعات تتكسب من الدين وتتخذه وسيلة لكسب العيش ، وهم جماعات من الصوفية لاتتعدى معرفتهم بالتصوف قراءة بعض الكتب الصوفية ثم ادعاء الزهد والكشف ، واتخاذ ذلك وسيلة للارتزاق مع أنهم كانوا لا يؤدون الفروض الدينية[5].

---

1 – محمد بن بلو : إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور ، إدارة الوثائق والمكتبات بوزارة الأوقاف ، القاهرة ، مصر ، 1964م ، ص50.

2 – محمد بل : إنفاق الميسور ، ص 34.

3 – المصدر السابق ، ص 68.

4 – نفسه ، ص 68.

5 – المصدر ذاته ، ص 69.

وكان إجلال الأفارقة للعلماء ، يستغل أحياناً من بعض أبناء العلماء ، هؤلاء الأبناء الذين كانوا يجبرون الأفارقة على احترامهم ، بل وصل بهم الأمر إلى الطلب من الأفارقة الاقتداء بهم وما يتبع ذلك من وضعهم في مكانة غير جديرين بها[1] ، لأنهم في أغلب الأحيان لم ينالوا أي نصيب من التعليم .

كما كان من عادة بعض الأفارقة التكاسل عن أداء الفروض الدينية مثل فريضة الصلاة والصوم ، ولا تتجاوز الحقيقة إذا قلنا إن تلك العادات المذمومة كانت منتشرة بين كثير من مسلمي غرب أفريقيا[2] .

أما في الشمال الأفريقي فكانت تلك البلاد في السابق مسرحاً لظهور العديد من الأفكار التي انتشرت في العالم الإسلامي مثل أفكار الشيعة والخوارج[3] وإن كانت تلك الأفكار لا يصح القول بأنها في مجملها خارجة على الدين ، لكن يمكن القول أن في بعضها مفاهيم مختلفة عما تعارف عليه المسلمون في العصور الأولى للإسلام ، وقد كانت تلك الأفكار قد اندثر معظمها قبل ظهور دور الأزهر ، لكن تبقَّى منها بعض الأفكار وإن كان أبرزها فكرة التعصب المذهبي للمذهب المالكي الذي وصل التعصب المذهبي له إلى حد اعتباره المذهب الأوحد وما عداه لا يجوز الأخذ منه . وكان من نتائج هذا التعصب لمذهب الإمام قيام الحروب والصراعات بين أتباع المذاهب الأخرى إن وُجِدت[4] .

أما منطقة شرق أفريقيا فنظراً لطبيعة المنطقة من حيث كونها منطقة ساحلية في أغلبها ، مما كان له الأثر في الاحتكاك بخبراتها ، مع حداثة دخول الإسلام في معظمها ، فلم تجد هذه الأفكار الخارجة عن صحيح الدين مرتعاً لها في هذه المنطقة ، باستثناء مشكلات

---

1 - محمد بل : إنفاق الميسور ، ص 68.
2 - المصدر السابق ، ص 58 : 59.
3 - ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 90.
4 - المصدر السابق ، ص 90.

كانت تتعلق بعدم وجود مدارس لتعليم الدين[1] إلا بعد فترة المد الأزهري ، حيث استطاع علماء الأزهر الشريف نشر الدين والتعليم الديني في تلك البلاد .

أما عن موقف علماء الأزهر تجاه تلك الأفكار فإنهم لم يقفوا مكتوفي الأيدى. بل قاوموا هذه الأفكار بشدة متبعين في ذلك العديد من الوسائل وقد تنوعت تلك الأساليب واختلفت طرائقها.

ومن الأساليب والوسائل التي اتبعها علماء الأزهر إنشاء المدارس والخلوات والربط التي كانوا يقيمونها ويعقدون فيها حلقاتهم العلمية لتعليم الأفارقة أصول الدين الصحيحة ، وللتدليل على ذلك قيام العالم الأزهري «محمد راجل القصير العركي»[2] بإنشاء مدرسة وقصر عرف باسم قصر محمود في منطقة النيل الأبيض ، لتعليم أبناء السودان أمور الدين الصحيح ، وقد بلغ هذا العالم في جهوده مبلغاً كبيراً في تصحيح كثير من المفاهيم الخطأ ، ويكفي أنه استطاع القضاء على عادة زواج المرأة دون انتظار شهور العدة التي كانت مشهورة في مملكة الفونج في ذلك الوقت ، كما نشر الفقيه إبراهيم[3] من دار الشايقية الإسلام ، وصحح مفاهيم كانت سائدة في تلك البلاد عن طريق إنشاء مدرسة للفقه من كتب الفقه المشهورة مثل مختصر خليل[4] والرسالة.

أما بالنسبة لمنطقة الغرب الأفريقي ، فقد قوَّم العلماء ذوو الأصول العربية تلك الأفكار الضالة[5] التي سبق أن سردناها ، مستخدمين أسلوب الوعظ ، بل دخلوا في

---

1 – القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ5 ، ص 324.

2 – ود ضيف الله : مصدر سبق ذكره ، ص 5.

3 – الفقيه إبراهيم : ابن حاجي بن عوف ، ولد في جزيرة رباط بالشافعية ، تعلم على يد محمد النبوفري ، واشتهر في علم الفقه والأصول. ويعتبر من عائلة معظمها من العلماء . انظر: المصدر السابق ، ص 6.

4 – مختصر خليل : في فروع المالكية للشيخ خليل بن إسحاق الجندي المالكي ، توفي في عام 767هـ/ 1365م وله عدة شروح أشهرها شرح كمال الدين المعروف بابن الناشح ، انظر حاجي خليفة : نفس المصدر ، جـ2 ، ص 518.

5 – محمد بن بلو : إنفاق الميسور ، ص34.

مجادلات مع العلماء الأفارقة الذين كانوا بها يدينون بتلك العادات ، بل وصل الأمر بالعلماء العرب إلى حد تكفير هؤلاء الأفارقة[1] .وقد كان العلماء أيضاً يساعدون الحكام الأفارقة المتمسكين بالدين مثل أسكيا محمد الأول الذي قام بجهود كبيرة بمساعدة العلماء في تغيير العادات الخارجة عن الإسلام ، كما كان تشجيع من العلماء قد قام بتغيير وتنظيم عملية المواريث طبقاً للشريعة الإسلامية[2] .كما كان هذا السلطان يقوم بمراسلة علماء مصر مثل السيوطي[3] .

ولتقييم جهود العلماء في سبيل مقاومة هذه الأفكار ، يجدر بالذكر أن العلماء قد جانبهم التوفيق أحياناً في القضاء على تلك العادات ، وأبرز مثال لذلك جهود العلماء في مملكة الفونج ، كما نجح العلماء في تخليص الأفارقة من بعض العادات الوثنية وإرجاعهم لأصول الدين الصحيحة ، وقد كان العلماء أحياناً يصيبهم الإخفاق في مقاومة هذه الأفكار والعادات المرتبطة بالتقاليد الأفريقية حيث كانت تجد سنداً من بعض الحكام[4] ولكن على العموم نجح العلماء في إقناع بعض الحكام الصالحين بتصحيح[5] المفاهيم الدينية مثلما نجحوا في إقناع حكام الفونج في منع زواج المرأة قبل أن تنقضي عدتها[6] .

1 - محمد بن بلو : مصدر سبق ذكره ، ص34.
2 - محمود كعت : الفتاش ، ص12.
3 - المصدر السابق : ص12.
4 - السعدي : نفس المصدر ، ص64.
5 - محمود كعت : المصدر السابق ، ص12.
6 - ود ضيف الله : الطبقات ، ص 6.

4 - إرسال الكتب الدينية والمصاحف الشريفة لبلدان القارة

لم يتوقف دور الأزهر على مجرد نشر الإسلام في ربوع القارة وعلى تصحيح المفاهيم الدينية والقضاء على العادات الوثنية ، بل تزامن هذا العمل مع عمل لا يقل أهمية وهو إرسال المصاحف والكتب الدينية إلى المسلمين في أنحاء القارة المختلفة ، وكانت المصاحف الشريفة والكتب الدينية التي يرسلها الأزهر تجد قبولاً كبيراً لدى طلاب العلم والعلماء الأفارقة . وقد تنوعت وسائل إرسال هذه الكتب ، فمنها ما كان يتم إرساله بالشراء في أثناء رحلات الحج ، حيث كانت مصر محطة تتوقف فيها قوافل الحج في الذهاب والعودة . مثال ذلك قيام الملك منسا موسى[1] ، بشراء العديد من الكتب أثناء رحلته إلى الحج وعند مروره بمصر في عام 725هـ/ 1324م. كما كان العلماء يقومون باصطحاب كتبهم أثناء ذهابهم لبلاد القارة المختلفة[2] .

وكانت المصاحف الشريفة والكتب بعد وصولها لبلدان القارة ، يتم نسخ العديد منها ، ثم يتم شراؤها أو تعطى على سبيل الإهداء للمكتبات الملحقة بالمساجد ، أو الإهداء الشخصي بين الأصدقاء ، أو قيام مجموعة من الأثرياء بشرائها وتخصيصها كوقف لطلاب العلم[3] .

وقد تأثر الأفارقة بهذه الكتب تأثراً كبيراً ، يتضح ذلك التأثير من خلال الكتابات التي كتبوها ، ويتضح من خلال الأسلوب المستخدم في الكتابة ، حيث نرى أن تقسيم الكتاب في بلدان القارة ، هو نفس التقسيم المتبع في الكتب المرسلة ، بل وصل الأمر إلى استخدام السجع في العناوين كما كان شائعاً في تلك الفترة[4] .

أما بالنسبة للمصاحف فقد كانت تخصص كمنح أو هبات لخزانات المساجد الكبرى ،

---

1 - المقريزي : الذهب المسبوك ، ص113.

2 - أحمد بابا التنبكتي : نيل الابتهاج ، ص115.

3 - السعدي : تاريخ السودان ، ص58.

4 - انظر مثلاً عنوان كتاب أحمد بابا (نيل الابتهاج بتطريز الديباج) وغيره من الكتب.

وذلك ليتم القراءة منها أو تعليم الصبية حفظ القرآن الكريم . وقد تنوعت المصاحف بين مصاحف كاملة أو أرباع وأجزاء لكي تسهل عملية الحفظ . وكانت عملية إهداء المصاحف تتم إما من الحكام أو من الموسرين[1] .

وقد ترتب على إرسال الكتب إلى أنحاء القارة ، قيام سوق رائجة لعملية نسخ الكتب وعملية بيعها . وقد اشتهرت مدينة تمبكت بهذا العمل واعتبرته حرفة رئيسية لكثير من السكان ، ولذلك أصبحت بمثابة معرض دائم للكتاب ، يجد رواجاً من قِبَل طلاب العلم والعلماء الأفارقة[2] .

كما ترتب على عملية إرسال الكتب الأزهرية أيضاً ظهور المكتبات في جميع الممالك والبلدان الإسلامية في القاهرة . وقد انقسمت تلك المكتبات إلى مكتبات عامة كانت تُلحق بالمساجد أو المدارس[3] ، ومكتبات خاصة كان يتملكها الأفراد . وقد تميزت تلك المكتبات بوفرة الكتب واختلاف نوعياتها ، وكانت تقوم بعملية التيسير على الطلبة في الاطلاع والاستعارة ، ويكفي للتدليل على ذلك ما ذكره السعدي في كتابه من قيام أحد العلماء الأفارقة وهو العالم «محمد الونكري» وكان يمتلك مكتبة ضخمة بإعارة الطلاب الكتب دون استردادها[4] .

أما عن أشهر الكتب التي كانت مشهورة في القارة وتجد قبولاً لدى الأفارقة ، فيمكن تقسيمها حسب موضوعاتها إلى كتب تتناول الموضوعات الفقهية ، وكتب الحديث النبوي وعلوم اللغة ، وعلم الأصول والمنطق ومن أشهر تلك الكتب :

كتب الفقه : في البلاد التي ساد فيها المذهب المالكي وُجِد كتاب الموطأ[5] للإمام مالك ابن أنس، ويعتبر هذا الكتاب من كتب الحديث لكنه اشتمل على كثير من فقه المذهب

1 - السعدي : تاريخ السودان ، ص58.
2 - الحسن بن الوزان : وصف أفريقيا ، الرياض ، السعودية ، 1979 ، ص 541.
3 - السعدي : المصدر السابق ، ص58.
4 - السعدي: نفسه ، ص43 - 44.
5 - حاجي خليفة : كشف الظنون ، جـ2 ، ص724.

المالكي، ولذلك يُصنَّف ضمن كتب الفقه المشهورة ، ويعتبر أول كتاب صُنِّف في الفقه على مستوى المذاهب الفقهية . كما اشتهر أيضاً بالنسبة للمالكية كتاب (مختصر خليل)[1] وهو كتاب يتناول فروع الفقه المالكي .

وبالنسبة للممالك التي ساد فيها المذهب الحنفي فقد انتشر كتاب «كنز الرقائق»[2] في فروع الفقه الحنفي ، ويتميز هذا الكتاب بكثرة شراحه ، ومن أشهر شارحي هذا الكتاب العالم الأزهري الإمام «فخر الدين أبو محمد عثمان[3] بن علي الزيلعي» في كتاب : تبيان الحقائق لما في الكنز من الرقائق .

أما بالنسبة لعلوم **أصول الفقه** فقد اشتهر في القارة كتاب المختصر الكبير[4]. وهو كتاب مختصر من أصل له يسمى كتاب الأحكام[5] للآمدي ، وقد انتشر هذا الكتاب في بلاد المغرب ومنها إلى بلاد غرب أفريقيا .

أما بالنسبة للكتب التي تناولت **الأحاديث النبوية** ، فأشهرها في القارة كتاب صحيح البخاري للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، وتميَّز بأنه يحتوي على ما يقرب من 9200 حديث مختلفة في السند ومنها ما هو متكرر وقد بلغت الأحاديث المتكررة حوالي ثلاثة آلاف حديث . كما اشتهر أيضاً من كتب الأحاديث صحيح مسلم للإمام مسلم بن

---

1 - انظر حاشية رقم (3) ص 89 .

2 - كنز الرقائق : من فروع الحنفية ، للشيخ الإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد المعروف بحافظ الدين المتوفى عام 710هـ/ 1310م - وأشهر شراح الكتاب فخر الدين أبو محمد عثمان الزيلعي وسماه تبيان الحقائق وقد توفي الزيلعي عام 743هـ/ 1342م. ومن شراح الكتاب أيضاً العيني المتوفى عام 684هـ/ 1285م . انظر حاجي خليفة: كشف الظنون ، جـ2 ، ص434.

3 - فخر الدين الزيلعي : عثمان بن علي بن يحيى ، كان من علماء المذهب الحنفي ، قدم للقاهرة عام 705هـ/ 1305م ، تولى عدة مناصب واشتغل بالتدريس والإفتاء ، توفي عام 743هـ/ 1439م . انظر ابن حجر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة ، 1961م ، جـ3 ، ص61 .

4 - ابن خلدون : المقدمة ، ص508.

5 - الأحكام : سمي إحكام الأحكام في أصول الأحكام للشيخ أبي الحسن علي بن أبي على الآمدي ، توفي عام 631هـ/ 1233م مرتب على أربع قواعد وهي مفهوم أصول الفقه وأحكام المجتهدين في الترجيح . انظر حاجي خليفة : المصدر السابق ، جـ1 ، ص 78 ، 79 .

الحجاج القشيري ويتميز كتاب صحيح مسلم بحذف الأحاديث المتكررة[1] .

ومن **كتب اللغة** التي أرسلت للقارة ووجدت لها شهرة كتاب (ألفية ابن مالك) في النحو[2] ، وتتكون الألفية من ألف بيت في النحو .

كما اشتهر أيضاً كتاب (تلخيص المفتاح) [3] في **البلاغة** للإمام جلال الدين القزوينى، وعلى الرغم من أن هذا العالم غير أزهري ، لكن كتابه كان يُدرس في الأزهر ، وانتشر في أفريقيا والسبب هو صغر حجمه وملاءمته للعقلية الإسلامية في بلاد أفريقيا[4] .

وبوصول هذه الكتب لمناطق القارة الأفريقية سواء شرقها وغربها ، يكون قد تم وضع الأسس العلمية ليقوم دور آخر للأزهر في القارة وهو تأهيل علماء الدين والقضاة.

1 - ابن خلدون : المقدمة ، ص493.

2 - ألفية ابن مالك : سميت بهذا الاسم لأنها تتكون من ألف بيت من الشعر ، واسمها الحقيقي الخلاصة وتبدأ بقول ابن مالك ، قال محمد هو ابن مالك أحمد ربى الله خير مالك ومؤلفها هو ابن مالك جمال الدين أبو عبدالله محمد ، عالم من علماء اللغة والنحو ، له كتاب الألفية ، توفي عام 672هـ/ 1273م . انظر حاجي خليفة: نفسه ، جـ1 ، ص172.

3 - تلخيص المفتاح : هو كتاب في المعاني والبيان تأليف جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزوينى الشافعي ، المتوفى عام 739هـ/ 1338م ويحتوى الكتاب على مقدمة وثلاثة فنون الأول علم المعاني ، والثاني علم البيان ، والثالث علم البديع . انظر حاجي خليفة : المصدر السابق ، جـ1 ، ص 384.

4 - ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ص646.

5 - تأهيل القضاة وعلماء الدين الأفارقة

كان تأهيل علماء الدين والقضاة الأفارقة ، يخضع لبرامج وخطط وفقاً للمرحلة العمرية للمتعلمين ، فوجدت برامج خاصة لتعليم الطلاب في المراحل الأولية للعمر ، كما وُجدت برامج لتأهيل الطلاب في المراحل العمرية المتقدمة ، فبالنسبة للطلاب في المرحلة الأولية ، كانوا يتلقون علومهم في الكتاتيب التي كانت ملحقة بالمساجد أو الملحقة ببيوت العلماء[1] .

أما عن تعليم الكبار فكان يتم في المساجد والمدارس المنشأة والمعدَّة لتعليم الكبار ، حيث كانوا يحضرون الحلقات العلمية التي كانت تتم في ذلك الوقت . كما كان هؤلاء الطلبة يتلقون علوماً تتطابق إلى حد كبير مع العلوم السائدة في الأزهر في ذلك الوقت[2].

وكانت برامج هذه الدراسة تؤهل صاحبها للعمل في مجال الخطابة والتدريس ، ومن يرغب في الاستزادة من العلم كان عليه التوجه إلى المراكز العلمية المنتشرة في بلدان العالم الإسلامي وعلى رأسها الأزهر[3] .

أما عن البرامج التي كانت مخصصة لتأهيل القضاة ، فكان يُراعى فيها إعداد الطلاب النابهين وتنمية ملكاتهم الفكرية ، مع تدريبهم على القدرة على استنباط الأحكام الفقهية. ولذا كان يقوم هؤلاء الطلاب بدراسة علم أصول الفقه وعلم الفرائض[4] ، مع دراسة مذهب مالك بالنسبة لبلدان الشمال الأفريقي والغرب الأفريقي ، ومذهب الإمام الشافعي والإمام أبي حنيفة بالنسبة لبلدان الشرق الأفريقي ، حيث انتشرت تلك المذاهب هناك[5] وبعد انتهاء تلك الدراسة كانت تُجرى للطلبة اختبارات ، وبعد النجاح

---

1 - توماس أرنولد : الدعوة للإسلام ، ص 298.

2 - السعدي : تاريخ السودان ، ص16.

3 - كان يأتي هؤلاء الطلاب مصاحبين للقوافل . انظر ابن بطوطة ، الرحلة ، ص 441.

4 - السعدي : المصدر السابق ، ص30 ، 34.

5 - القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ5 ، ص324.

فيها يتم تزكيتهم من مدرسيهم ، مع إعطائهم إجازة القضاء التي كانت تتيح لهم العمل في المجال القضائي في بلادهم[1] .

وكان من نتائج هذه السياسة التي اتبعها الأزهر لتعليم هؤلاء الأفارقة ، ظهور طائفة من العلماء والقضاة في تلك الممالك تميزوا بباع كبير في العلوم الدينية ، جعلهم يقفون في موقف لا يقل موقفاً عن العلماء العرب ، بل يقفون على قدم المساواة في الناحية العلمية مع هؤلاء العلماء . ويكفي للتدليل على ذلك ما رواه السعدي ، أن الملك منسا موسى بعد عودته من رحلة الحج ، اصطحب معه عالماً من بلاد الحجاز مكث فترة طويلة في غرب أفريقيا ، ولما جلس للمناظرة مع علماء هناك وجدهم يتفوقون عليه ، فلم يكن بوسعه سوى مغادرة تلك البلاد للاستزادة في العلم[2] .

تلك هي ثمرة الجهود التي بذلها الأزهر في بلدان القارة الأفريقية ولم تتوقف تلك الجهود على البناء العلمي فقط ، بل كان مقدمة إلى إسهام مادي تمثل في إقامة المنشآت الدينية في القارة .

1 - ذكر القلقشندي عن نماذج كثيرة من هذه الإجازات . انظر القلقشندي : المصدر السابق ، جـ14 ، ص322.
2 - السعدي : تاريخ السودان ، ص51.

6 - المساهمة في إنشاء العمائر الدينية

كان انتشار العمائر الدينية في بلدان القارة الأفريقية يسير في خط متواز مع انتشار الإسلام في القارة . وقد كان لعلماء الأزهر إسهامات كبيرة في إنشاء تلك العمائر ، وكان الإسهام الأزهري يتم بطريقين أولهما بناء المساجد أو الإشراف على بنائها ، والطريق الثاني هو تعمير تلك المنشآت بحلقات العلم التي كانوا ينشئونها . وقد تميزت هذه المنشآت بتنوعها وانتشارها في معظم أنحاء القارة .

أنواع المنشآت الدينية :

تنوعت المنشآت الدينية في القارة ما بين مساجد ورُبط وزوايا وخلاوي . وقد اختلفت تلك المنشآت في أنحاء القارة ، فيما انتشرت الربط والزوايا في الشمال والغرب الأفريقي ، انتشرت الخلاوي في سودان وادي النيل ، وفيما يلي استعراض لكل نوع من أنواع هذه المنشآت .

أولاً : المساجـد :

انتشرت المساجد في أنحاء القارة وشهدت تنوعاً سواء في بنائها أو في تبعيتها ، ولذلك من السهل تقسيمها إلى مساجد عامة ومساجد خاصة . فالمساجد العامة كان يتولى عملية إنشائها الحكام ، أو تخضع لإشرافهم المالي والإداري[1] ، وكان دور العلماء الأزهريين في إنشائها لايتعدى المشورة والنصح للحكام في تخطيطها وتعيين قبلتها وكانت تتميز بكبر مساحتها وفخامة بنائها وكان معظمها مبنياً من الحجر كما كان لها تصميم خاص يتبع في بنائها[2] .

أما بالنسبة للمساجد الخاصة ، فكانت تُبنى بواسطة العلماء وجهود أهل البلد ،

---

1 - الماوردي : الأحكام السلطانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، بدون ، ص 237.

2 - السعدي : تاريخ السودان ، ص31.

وكانت تتميز ببساطة البناء مع صغر المساحة ، ولكنها تميزت بانتشارها على مستوى القارة ، وكان هذا النمط في البناء منتشراً في أنحاء القارة ، حيث يتميز أيضاً بقلة تكاليفه حتى قيل أن كل أسرة أو مجموعة صغيرة من الدور كان لها مسجدها الخاص بها[1] .

ومن أشهر المساجد التي انتشرت في أفريقيا الشمالية ، المسجد الجامع بمدينة فاس ، وقد تم بناؤه في عهد السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ، في عام 677هـ/ 1278م[2] . وقد تميز هذا المسجد بسعة الإنفاق عليه لدرجة أنه علقت به ثريا يبلغ وزنها حوالي تسعة قناطير وخمسة عشر رطلاً[3].

أما عن أشهر المساجد التي اشتهرت في منطقة الغرب الأفريقي فيأتي جامع سنكرى على رأسها. وغير معروف على وجه التحديد تاريخ بناء هذا المسجد ، وقد قامت إحدى السيدات الثريات بإنشائه[4] . وقد تم إضافة عدة تعديلات على هذا المسجد بداية من عام 726هـ/ 1325م وتم بناؤه بالحجر . وتأتي أهمية هذا المسجد من وجود حلقات علمية كانت تعقد في جنباته ، بالإضافة لاحتوائه على مكتبة ، كما كانت له تقاليد خاصة ، حيث يتم فيه قراءة كتاب الشفاء للقاضي عياض[5] في شهر رمضان من كل عام[6] . وكانت جهود العلماء الأزهريين في هذه المساجد تتلخص في قيامهم بالإشراف على البناء وإعادة التجديد . واشترك في هذا العمل كل من العلماء الوافدين والمحليين على وجه سواء .

1ـ ود ضيف الله : الطبقات ، ص 6.

2 - محمد عادل عبد العزيز : التربية الإسلامية في المغرب ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1987م ، ص 49.

3 - المرجع السابق ، ص50.

4 - السعدي : تاريخ السودان ، ص62.

5 - الشفاء في حقوق المصطفى للإمام الحافظ أبي الفضل عياض بن موسى القاضي المتوفى عام 544هـ/ 1149م وبه أربعة أبواب الأول في ثناء الله سبحانه وتعالى والثاني في تكملة الله تعالى له المحاسن خلقاً والثالث فيما ورد من صحيح الأخبار ، وقد اختصره الشيخ محمد بن أحمد الأسنوي المتوفى عام 763هـ/ 1361م وشرحه الشيخ أبو عبد الله محمد بن الحسن . انظر حاجي خليفة : كشف الظنون ، جـ2 ، ص 81 ، 82.

6 - السعدي : المصدر السابق ، ص31.

وقد شهدت منطقة القرن الأفريقي العديد من المساجد وتميزت بضخامة بنائها ، ومنها مساجد جامعة كانت تقام فيها صلاة الجمعة والجماعات ولكن للأسف تهدَّم معظم هذه المساجد نتيجة للصراع الذي كان قائماً بين بلاد الزيلع والحبشة[1].

ونفس الشيء حدث أيضاً في بلاد السودان حيث قام العلماء بالإشراف على بناء المساجد بل كانوا يقومون بإنشائها بأنفسهم واتخذوها مقاراً لنشر الإسلام والدعوة الإسلامية في بلاد السودان .

ثانياً : الرُّبط :

الربط جمع ومفردها رباط ومعناها في اللغة مرابط الخيول[2] ثم تحولت الكلمة إلى المكان الذي يعد لملاقاة العدو ، ثم تطورت الربط وأصبحت أماكن للعبادة وإقامة للصوفية ، حيث يتولون فيها جهاد النفس وترويضها متخذين من ذلك قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾ [3] بمعنى جاهدوا النفس وروضوها على الأعمال الحسنة[4].

وأكثر الأماكن في القارة التي شهدت ظهور الرُّبط هي مناطق الشمال الأفريقي لحساسية موقعها وكثرة تعرُّضها للعدوان من قبل الغزاة الأسبان وغارات القراصنة . وأيضاً بسبب طبيعة المنطقة الساحلية وارتباط الرُّبط بالثغور الحربية[5]. بالإضافة أيضاً لقرب بلاد شمال أفريقيا مكانياً من أوربا . ولذا وجدت معظم الأربطة في مناطق ساحلية .

ومن أشهر الربط التي انتشرت في منطقة الشمال الأفريقي رباط سلا[6] ، وكان

---

1 - القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ5 ، ص 324.

2 - الرازي : مختار الصحاح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1986م ، ص 229.

3 - سورة آل عمران: آية رقم 200.

4 - المقريزي : الخطط ، جـ3 ، ص 422 ، 423.

5 - البكري : نفس المصدر ، ص 91.

6 - ابن حوقل : نفس المصدر ، ص 82.

الغرض من إنشائه تسهيل عملية غزو قبائل برغواطة التي قامت بإنشاء دولة لها في إقليم تامسنا . كما وجد أيضاً رباط في نكور ورباط سيدي شكير في المغرب الأقصى منذ أيام عقبة بن نافع الفهري نسبة إلى أحد رجاله ويدعى شاكر[1].

وأيضاً شهدت منطقة غرب القارة ظهور الأربطة ويعتبر أول رباط أقيم في المنطقة رباط عبد الله بن يس[2] الذي قام بإنشائه هذا العالم في جزيرة تقع عند مصب بنهر السنغال ، وبدأ يجذب الأتباع إليه حيث أعدهم لحياة الجهاد والتصوف . ثم انتشرت الرُّبط بعد ذلك نظراً لتأثر الغرب الأفريقي بالمؤثرات المغربية ، ونظراً لطبيعة المنطقة ، حيث وجدت فيها جماعات وثنية كان يتطلب الأمر مقاتلتهم[3] .

ونظراً لطبيعة الرُّبط العسكرية منذ البداية فقد كان لها تصميم خاص من حيث المباني ، وكان هذا التصميم يعتمد على إقامة سور كبير حول الرباط ، بالإضافة لحجرات كانت مخصصة لسكن الأفراد وحجرات لتخزين المؤن بالإضافة لوجود مخازن للأسلحة وبرج للإشارة[4] .

وكان من شروط الانضمام للربط ، أن يلتزم المقيم بقطع المعاملة مع الخلق ، بمعنى أن يتفرغ كلياً للعبادة ، مع ترك العمل الذي يتكسب منه بالإضافة لمنع النفس من مخالفة الأمور الشرعية وشغل النفس بالصلاة ، وقراءة الأوراد[5] . ويظهر من خلال هذه الشروط أنها دعوة للزهد وتلك الدنيا ، ولكن الحقيقة غير ذلك ، إذ أن هذه الشروط كانت ملزمة فقط أثناء الإقامة في الرباط ، وإلا بم نفسر قيام هؤلاء المرابطين بنشر الإسلام وحمل العلم في كل مكان حل فيه هؤلاء المرابطون ؟.

---

1 – حسين عبد الله مراد : المتصوفة في بلاد المغرب الأقصى ، المطبعة الإسلامية ، القاهرة ، 1994م ، ص 38.

2 – عبد الله بن يس من قبيلة جزولة ، فقيه وعالم ديني ، تتلمذ على يده الكثير من رؤساء القبائل ، ويعتبر الزعيم الروحي لدولة المرابطين . انظر عبد العزيز سالم : نفس المرجع ، ص 133 ، 134.

3 – عبد العزيز سالم: مرجع سبق ذكره ، ص 133 ، 134.

4 – حسين عبد الله مراد : مرجع سبق ذكره ، ص 35.

5 – المقريزي : الخطط ، جـ3 ، ص 423.

وكانت الإقامة في الرُّبط تختلف ما بين إقامة دائمة أو إقامة مؤقتة خلال فترة الاعتكاف في شهر رمضان[1] ، أو النزول فيها أثناء السفر ولذا تنوع نزلاء هذه الربط ما بين تجار ومعلمين وعلماء ، ورجال طرق صوفية وإن كانوا هم الأكثر حيث ارتبطت بهم الإقامة في هذه الربط .

أما عن دور الرُّبط في نشر العلم والدين الإسلامي ، فقد قامت بدور كبير في هذا المجال ، إذ شهدت هذه الأربطة قيام حلقات علمية ، وإقامة حلقات الذكر والإنشاد الدينى[2] ، وشهدت أيضاً حلقات وعظية في الدين ونظراً لقبولها لجميع المترددين عليها أصبحت أماكن لجذب الأفارقة وبالتالي انتشار الإسلام في القارة.

ثالثاً : الزوايا :

الزاوية في اللغة معناها ، الجمع والقبض[3] ، ثم تحول هذا الاسم إلى المنشآت التي كانت تُقام بجوار المساجد ، وكانت تخصص للتعبد والاعتكاف ، ثم انفصلت الزوايا وأصبحت عبارة عن مبانٍ مستقلة . وتعتبر الزاوية بمثابة الابنة الشرعية للرباط ، من حيث إنها تتشابه معه إلى حد كبير ، من حيث الغرض من قيامها ، وأيضاً نوعية النزلاء بها ، وإن اختلفت في الحجم والمساحة[4] ، وإن كان الرباط يتميز بطابع العسكرية الجهادى . بخلاف الزوايا .

وكانت الزوايا تنقسم لعدة أنواع ، فكانت هناك زوايا ملحقة بالمساجد ، وزوايا صوفية[5] ينزل بها أصحاب الطرق الصوفية وزوايا بسيطة وهي الزوايا المكوَّنة من أبنية مستقلة تشمل أماكن للمقيمين بها ، وأيضاً تحتوي على مكتبة وحجرات خاصة بالدراسة[6].

---

1 - حسين عبد الله مراد : مرجع سبق ذكره ، ص 40.
2 - حسين عبد الله مراد: المرجع السابق ، ص 40.
3 - الرازي : مختار الصحاح ، ص 279.
4 - محمد عادل عبد العزيز ، مرجع سبق ذكره ، ص 40.
5 - المرجع السابق ، ص 40.
6 - المرجع السابق ، نفس الصفحة .

وقد أسهمت الزوايا في نشر الدين الإسلامي في أنحاء القارة حيث كانت تشتهر بوجود علماء بها يقومون بالتدريس فيها[1] وكانت تجتذب الكثير من أبناء القارة لوفرة مواردها المائية ، حيث كانت تخصص لها الأوقاف والهبات للصرف عليها[2] .

المقارنة بين الرُّبط والزوايا :

جمعت الزوايا عدة خصائص جعلتها أشبه بالربط وهذه الخصائص تبلورت في كون الزوايا مكاناً يخصص للاعتكاف والإقامة بعيداً عن مشاكل الحياة ، وكذلك الرباط كان يخصص للجماعة التي تريد الابتعاد عن المغريات .. كما أن الزوايا اتُّخذت كمكان للتعليم ، كذلك الرباط استُخدم للهدف ذاته ، ولكن أوجه الاختلاف بينهما هو أن الزاوية تميزت بمحدودية الغرض وهو الغرض التعليمي بينما الرباط كان يعتبر متعدد الأغراض ، فبالإضافة لهذا الغرض اتخذ أيضاً مكاناً لمرابطة المجاهدين الذين كانوا ينطلقون منه لفتح البلدان الوثنية المجاورة أو الدفاع عن بلدان الإسلام التي تقع فيها هذه الأربطة من غزوات الممالك الوثنية . وهذا هو الأصل في إنشاء الرباط.

وعن انتشار الزوايا فقد انتشرت في معظم الممالك الإسلامية التي ظهرت في القارة سواء في شمالها أو غربها ، باستثناء شرق القارة حيث تميز هذا القسم بعدم وجود النوعين سواء ربط أو زوايا وإنما ظهرت فيه الخلاوي .

رابعاً : الخلاوي :

من الأشياء التي تميَّز بها السودان وجود الخلاوي التي انتشرت فيه . والخلاوي تشبه الزوايا إلى حد كبير من حيث كونها مكان الاعتكاف ، وكانت تستخدم للأغراض التعليمية . وكان إنشاء الخلاوي يقع على عاتق علماء الأزهر سواء الوافدين أو المقيمين

---

1 – المرجع السابق ، ص 41.

2 – ابن حجر العسقلاني : إنباء الغمر في أبناء العمر ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، 1994 ، جـ3 ، ص 527.

ببلاد السودان[1] . وكانت نظم الدراسة في الخلاوي تشبه إلى حد كبير نظام الكتاتيب الذي كان سائداً في البلاد الإسلامية ، حيث كان يتم فيها تحفيظ القرآن الكريم على يد الفقهاء الذين كان يطلق عليهم لقب (فقي) وهو تعبير شائع في بلاد السودان كان يدل على معلمي الكتاتيب ، كما كان يطلق على طلاب الخلاوي لفظ (حبور) [2] .

وكانت الحياة اليومية في الخلوة تبدأ من الساعة الرابعة صباحاً ، حيث كان يتم إيقاظ الطلاب ، ويبدأون في تلاوة القرآن الكريم حتى طلوع الشمس ، ثم يقومون بالأعمال اليومية مثل الزراعة وطحن الغلال وجلب المياه والحطب ، وكان يعطى للطلاب عطلة يوم الأربعاء[3] .

وقد انتشرت الخلاوي في بلاد السودان في عهد مملكة الفونج[4] . ومن أشهر الخلاوي التي تم إنشاؤها مجموعة تعد بسبع عشرة خلوة ، وهي مجموعة الخلاوي التي قام بإنشائها محمود قصير العركي على النيل الأبيض[5] .

ولقد قامت الخلاوي بدور كبير في نشر الإسلام والتعاليم الدينية في بلاد السودان ، حيث كان يتخرج منها العلماء الذين أسهموا في نشر الدين الإسلامي وتصحيح المفاهيم الدينية في بلاد السودان .

1 – Trimingham : Islam in Sudan ، p 117 . وانظر أيضاً ود ضيف الله : الطبقات ، ص 5.

2 – Ibid ، p 117 .

3 – ibid ، p 117.

4 – ود ضيف الله : الطبقات ، ص 5.

5 – المصدر السابق ، ص 163.

7 - الدور الديني للأزهر بعد عصر المماليك

أولاً : المدارس والعمائر الدينية :

استمر الدور الديني للأزهر في أفريقيا بعد عصر المماليك ، وكان من أبرز مظاهر هذا الاستمرار قيامه بدوره في بلاد سودان وادي النيل ، وبقية أنحاء القارة الأخرى . ففي سودان وادي النيل قام الشيخ الأزهري محمود قصير العركي (904 - 909هـ/ 1529 - 1534م) بإنشاء حوالي 15 مدرسة ، في مدينة الكوة على النيل الأبيض [1] .

وفي إطار إنشاء العمائر الدينية قام الشيخ عبدالرحمن بن ولاد البر[2] ، بإنشاء ثلاثة مساجد في دار الشايقية ، وكورتي ، ودفار[3] .

ثانياً : الكتب المقررة :

قام العلماء الأزهريون في بلاد السودان بتأليف مجموعة من الكتب الدينية ، التي استُخدمت في نشر صحيح الدين هناك ، ومن أشهر هذه الكتب :

ا - كتب التوحيد :

اشتهر في سودان وادي النيل كتاب (الجواهر في أركان الإيمان) تأليف الشيخ أرباب بن عودة (1102هـ/ 1691م) ومنها كتاب (شرح أم البراهين الصغرى والكبرى) لعلي بن بري ، ومنها أيضاً كتاب (الحاشية على أم البراهين الصغرى والكبرى) لمحمد بن المضوى[4] .

---

1 - الكوة : منطقة جنوب الخرطوم ، وتبعد عنها حوالي 120 كيلو متراً .

2 - عبدالرحمن بن ولاد البر: أخو الشيخ إبراهيم بن ولاد البر ، ذهب إلى مصر وتتلمذ على يد العالم الأزهري البنوفرى ، وقد تولى التدريس بعد وفاة أخيه إبراهيم .

3 - محمد سليمان : دور الأزهر في السودان ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1985م . ص 27 .

4 - المرجع السابق . ص 35 ، 34 .

ب - كتب الفقه :

اشتهرت في بلاد سودان وادي النيل مجموعة من الكتب الفقهية ، قام بتأليفها العلماء الأزهريون منها شرح مختصر خليل لضيف الله بن علي ، وكتاب حاشية على مختصر خليل لمحمد بن عبدالله بن حمد ، وكتاب رسالة في الفتاوى والأحكام لعبدالرحمن بن جابر ، وكتاب شرح الرسالة لمكي النحوي الرباطابي [1] .

ثالثاً: تأهيل القضاة :

قام الأزهر بتأهيل القضاة في أفريقيا ، وخصوصاً في بلاد سودان وادي النيل . وكان يتم تأهيل القضاة عبر عدة وسائل منها استقبال الطلبة ، وإعطائهم الإجازات [2] . وقد كانت هذه الإجازات تُعطَى بعد تحقيق من الشيخ المجيز ، وكانت غالباً لاتمنح إلا للطلبة النابغين[3] .

وقد وضعت شروط حاكمة لمن يتولى منصب القضاء ، من هذه الشروط أن يكون حافظاً للقرآن الكريم ، وأن يكون درس قدراً معقولاً من علم التوحيد ، وأن يكون متبحراً في الفقه على مذهب الإمام مالك ، ويجب أن يكون على قدر عال من معرفة اللغة العربية ، وأن يكون منتمياً لإحدى الطرق الصوفية[4] .

وقد قام الإمام محمد عبده باختيار الشيخ محمد شاكر في عام 1900م لتولى القضاء في السودان . وقد قام الشيخ محمد شاكر بوضع أسس القضاء الشرعي في السودان ، حيث قام بوضع لائحة ترتيب المحاكم الشرعية ، والتي تناولت شروط اختيار

---

1 - محمد سليمان : مرجع سبق ذكره ، ص 35 .

2 - الإجازات : معناها الشهادات الدراسية ، وكان يعطيها الشيخ لتلميذه ، وبعد حصوله عليها كان يحق له العمل بالفتيا ، والتدريس .

3 - محمد سليمان : نفسه . ص 30 .

4 - نفسه . ص 41 .

القضاة، والموظفين . كما وضحت اختصاصات هذه المحاكم . ووضحت لائحة طرق السير في الدعاوى القضائية وتحديد الرسوم القضائية[1] .

1 - محمد سليمان : مرجع سبق ذكره . ص 112 .

الفصل الثالث

(الدور العلمي والتعليمي للأزهر في أفريقيا)

1 - استقبال الدارسين من طلبة العلم والعلماء الأفارقة.

2 - إنشاء الأروقة اللازمة لإقامة الطلاب الأفارقة بالمجان.

3 - الأوقاف التي كانت تُخصَّص للإنفاق على الطلبة.

4 - العلوم التي كان الأفارقة يدرسونها في مصر.

5 - تأثير الطلبة الأفارقة وتأثرهم بالحياة المصرية.

6 - إرسال بعض علماء الأزهر إلى أنحاء القارة .

7 - المساهمة في إنشاء العمائر التعليمية.

8 - الحفاظ على الهوية العربية والثقافة الإسلامية .

9 - بروز دور الجامع الأزهر الشريف عن نظائره من الجوامع الأخرى في القارة .

10 - الدور العلمي والتعليمي للأزهر بعد عصر المماليك .

1 - استقبال الدارسين من طلبة العلم والعلماء الأفارقة

تميَّز دور الأزهر العلمي والتعليمي في أفريقيا بكثرة التنوع والاتساع ، فلم يترك أمراً من أمور العلم والتعليم إلا وكانت له مساهماته الجادة فيه ، وأول هذه الأمور هو استقبال الدارسين من طلبة العلم والعلماء الأفارقة لينهلوا من علومه ومعارفه التي ازدهرت فيه وخاصة في عصر سلاطين المماليك .

وكان الأزهر يعتبر بالنسبة لأبناء القارة الأفريقية كعبة علمية يتمنون الالتحاق بها للاستزادة من علومه ، والتلمذة على شيوخه ، فبعد أن يتم الطالب دراسته في بلده الأصلية ، ويجد لديه الرغبة في تحصيل المزيد من العلوم الإسلامية ، يبدأ في شد رحاله تجاه الجامع الأزهر على وجه الخصوص ، وذلك لأسباب تميز بها الأزهر ، منها وجود إمكانية لدراسة معظم المذاهب الإسلامية ، مع تحصيل قدر وافر وعظيم في علوم اللغة العربية ، بالإضافة لشهرة مصر في عصر سلاطين المماليك والإغداق الذي كانوا يغدقونه على طلبة العلم والعلماء على مختلف جنسياتهم وألوانهم [1] وكان الذي يتولى إرسال هؤلاء الطلاب هم العلماء والتجار ورجال الطرق الصوفية [2] ، بالإضافة لقيام بعض هؤلاء العلماء والطلاب بالسفر على نفقتهم الشخصية ، كما أن رحلات الحج كانت تجذب كثيراً من هؤلاء الطلاب للقيام بالفريضة وبعد أدائها كانوا يقيمون بمصر في أروقة الجامع الأزهر لتلقِّي العلم والمعرفة .

وبالنسبة للطرق التي استخدمها هؤلاء العلماء والتجار في القدوم لمصر فهي الطرق التجارية التي كانت تربط مصر بأنحاء القارة ، وأشهرها طريق درب الأربعين الذي كان يمر عبر واحات الصحراء الغربية إلى السودان ومنه إلى تشاد والنيجر ومنه إلى

---

1 - عبد العزيز محمد الشناوي : مرجع سبق ذكره ، ص 136 .

2 - حسن إبراهيم حسن : مرجع سبق ذكره ، ص 17 .

أقصى القارة [1] ، وكانت هناك طرق أخرى مثل الطريق الذي يبدأ من المغرب ويصل إلى حوض نهر السنغال ونهر النيجر ، وأيضاً هناك طريق يربط بين الجزائر والنيجر وطريق يربط بين ليبيا وتونس وتشاد ، وغني عن الذكر أن كل هذه الطرق كانت تصب في مصر [2] لأنها المعبر إلى بلاد الحجاز لأداء فريضة الحج التي كان يحرص عليها الأفارقة .

ولم يكن اختراق تلك الطرق بالأمر اليسير ، حيث كانت القوافل تتعرض لمخاطر العطش وأحياناً كانت تتعرض لغارات اللصوص وخطر التيه في الصحراء الشاسعة ، ولذا كانت تعتمد على أدلة يقومون بقيادة تلك القوافل عبر الفيافي ويطلق على الدليل لقب التكشيف[3].

وبعد وصول هؤلاء الطلاب إلى مصر يبدأون في تسجيل أسمائهم لدى مسئولي الجامع الأزهر وشيوخ الأروقة ، موضحين أسماء بلادهم القادمين منها وأسماء مذاهبهم ، ويبدأ بعد ذلك إما تقييدهم كطلبة مقيمين في الأروقة أو طلبة منتظرين[4]. وبذلك لم تكن هناك أي شروط متعسفة لإلحاق هؤلاء الطلاب بالأزهر ، بل كانت كلها شروطاً ميسرة ، مما كان له الأثر الأكبر في ازدياد الإقبال على الالتحاق بالجامع .

وقد تعددت جنسيات هؤلاء الطلاب الذين يستقبلهم الأزهر بين جنباته ، ما بين طلاب من بلاد المغرب العربي وبلاد غرب أفريقيا ، وبلاد شرق أفريقيا [5] كما تعددت المذاهب الفقهية التي كانوا يتبعونها فهناك طلبة الشمال والغرب الأفريقي أتباع المذهب المالكي وبلاد شرق أفريقيا أتباع المذهب الشافعي والحنفي . كما لم تتوقف نوعيات

---

1 - محمد بن عمر التونسي : تشحيذ الأذهان ، ص 47 ، 48 .

2 - المرجع السابق ، ص 47 ، 48 .

3 - ابن بطوطة : الرحلة ، ص 441 .

4 - عبد العزيز الشناوي : مرجع سبق ذكره ، ص 246 .

5 - يظهر ذلك في تعدد الأروقة فلكل جنسية رواقها الخاص انظر علي مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ 4 ، ص 49 - 58.

هؤلاء القادمين على الطلبة فقط بل كانت تضم أيضاً علماء أتوا للاستزادة من العلم ومقابلة العلماء المصريين ، وأيضاً للاستفسار عن مسائل فقهية معينة .

وقد بلغ عدد الطلبة الوافدين إلى الأزهر ، بعد أن عادت إليه حياته العلمية في عصر دولتي المماليك ، ما يقرب من حوالي سبعمائة وخمسين طالباً كما ذكرهم المقريزي في كتابه [1] وكان عدد الطلبة يزداد بصورة مستمرة مما أدى في النهاية إلى قيام الأزهر بإنشاء الأروقة اللازمة وتجديدها لكي تستطيع استيعاب تلك الأعداد المتزايدة .

1 - المقريزي : الخطط ، جـ 3 ، ص 163 .

2 - إنشاء الأروقة اللازمة لإقامة الطلاب الأفارقة بالمجان

كان من نتيجة ازدياد عدد الطلبة الراغبين في تلقى العلم بالأزهر ، أن أقيمت لهم الأروقة ، التي كانوا يقيمون فيها وهي أشبه ما تكون بالمدن الجامعية حالياً ، وقد أصبحت هذه الأروقة من أبرز الخصوصيات التي تميز بها الجامع الأزهر ، حيث لم يتم تخصيص الأروقة لإسكان الطلاب إلا في الجامع الأزهر ، على الرغم من أنها تدخل في تصميم أي مسجد ، والمقصود بالتميز هنا هو جعلها أماكن للإقامة[1].

وتعود بداية إنشاء الأروقة وتجهيزها للدراسة إلى عصر دولتي المماليك ، فقد بدئ في إنشاء هذه الأروقة أثناء عمارة الجامع التي تمت بعد زلزال سنة 702 هـ / 1302م حيث تم عمل عدة مقاصير ، وتم وضع صناديق وخزائن بها [2] كما تزامن تحويل الأروقة كمكان لإقامة الطلبة مع الفترة التي تمت فيها إعادة الأوقاف للجامع الأزهر بعد إعادة الخطبة فيه.

وكانت الأروقة تُقسَّم حسب البلاد التي يفد منها الطلاب أو حسب المذهب الفقهي ، فكان يتم تخصيص رواق لكل أبناء بلد واحد ، ورواق لكل أصحاب مذهب معين [3]وقد اختلفت الأروقة فيما بينها حسب العدد أو الموارد المالية التي كانت تخصص لها .

ومن أشهر الأروقة التي وجدت بالأزهر وتخص الأفارقة رواق المغاربة [4] ، ورواق البرنو[5]ورواق الدكارنة [6] ورواق الجبرت [7]ورواق دكارنة صليح [8]ورواق البرابرة.

---

1 - معنى كلمة رواق هو السقف في مقدم البيت ، انظر الرازي مختار الصحاح ، ص 264 .
2 - عبد العزيز الشناوي : مرجع سبق ذكره ، ص 251 .
3 - المقريزي : الخطط ، جـ 3 ، ص 161 .
4 - المرجع السابق ، ص 243 .
5 - عبدالعزيز الشناوي : نفس المرجع ، ص 261 .
6 - علي مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ 4 ، ص 54 .
7 - المصدر السابق ، جـ 4 ، ص 52 .
8 - نفسه ، جـ 4 ، ص 54 .

وكان رواق المغاربة يأتي على رأس هذه الأروقة من حيث عدد طلابه ومساحته وكان هذا الرواق يقع في غرب صحن المسجد ، وقد تمت عدة تجديدات فيه ، حيث قام السلطان الأشرف قايتباي بتجديده كما ألحقت به مكتبة كبيرة ، وقد شهد هذا الرواق نزول العالم ابن خلدون فيه أثناء فترة إقامته في مصر حيث قضى فترة قام فيها بالتدريس في الأزهر[1]

أما عن رواق الجبرت فخصص للطلبة الوافدين من شرق القارة ، وكان موقع هذا الرواق غرب رواق الأتراك [2] ، وكان يتولى مشيخته أحد أبناء تلك البلاد . وبالنسبة لرواق البرنو فخصص للطلبة القادمين من غرب أفريقيا ويقع داخل رواق الجبرت[3].

أما رواق البرابرة فخصص للطلبة القادمين من موريتانيا ويقع شمال الداخل من باب المقصورة الشرقي[4] ، ورواق الدكارنة كان مخصصاً للوافدين من بلاد التكرور وسنار ودارفور[5] ، ولكن مشيخة الرواق يتولاها أهالي التكرور . ورواق دكارنة صليح خُصِّص للطلبة من تشاد[6].

كما يجدر بالذكر وجود أروقة كانت لا تلتزم بشروط الجنسية ولا المذهب في استقبال الطلبة ، مثل رواق ابن يعمر [7] ورواق السليمانية [8] الذي فتح أبوابه للطلاب في كافة بقاع العالم الإسلامي. وكما وجدت أروقة للطلبة المغتربين من مشرق ومغرب العالم

---

1 – علي مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ4 ، ص 57 .

2 – عبدالعزيز الشناوي : مرجع سبق ذكره . ص 261.

3 – علي مبارك : المصدر السابق ، جـ 4 ، ص 54 .

4 – المصدر السابق ، جـ 4 ، ص 54 .

5 – نفسه ، جـ 4 ، ص 57 .

6 – نفسه ، جـ4 ، ص 52 .

7 – رواق بن يعمر : يقع على يمين الداخل للأزهر ، وعدد أعمدته ثمانية أعمدة . انظر علي مبارك: المصدر السابق ، ج4. ص 53 ، 54.

8 – رواق السليمانية: يقع على يمين باب الشوام ورواق الجاوة ، به خمسة مساكن . المصدر السابق ، جـ 4 ، ص52 ، 53.

الإسلامي ، وجدت أيضاً أروقة للطلبة المصريين الذين كانوا يأتون من شمال أو جنوب مصر وأشهرها رواق الشراقوة ورواق الصعايدة .

وكان الفرق بين أروقة المصريين والأجانب هو أن أروقة الأجانب كانت أكثر في الموارد المالية التي كانت تخصص لها ، والسبب في ذلك كون هؤلاء الأجانب أَوْلَى بالرعاية من المصريين نظراً لقدومهم من بلاد بعيدة ، مع طول الفترة التي كانوا يقضونها في تحصيل العلم [1]

أما عن الموارد المالية للأروقة التي كان ينفق منها عليها فكانت عبارة عن الأموال التي كانت موقوفة على الجامع الأزهر بصفة عامة أو التي كانت تُخصَّص للأروقة من التبرعات التي كان يقدمها أهل الخير للإنفاق منها على الطلبة ، وأيضاً وجود مورد ثابت وهو هبات السلاطين و الأفراد التي كانوا يهبونها للأروقة [2]وكانت مصارف هذه الأموال تُستخدم في شراء الكتب و الإنفاق على الطلبة الفقراء و أيضاً شراء الخبز لهم . [3]و كانت هذه الأموال لا تخضع لرقابة الدولة وتتمتع بالاستقلال المالي ، والشرط الوحيد الذي كانت تخضع له هو وصية الواقف وما جاء بها من شروط وضوابط للصرف والتخصيص . [4]

1 - الشناوي : مرجع سبق ذكره ، ص 244 .
2 - الشناوي : المرجع السابق ، ص 244 .
3 - المقريزي : الخطط ، جـ 3 ، ص 196 ، 197.
4 - وثائق السلطان حسن ، جـ 3 ، ص 395 ، 396.

3 - الأوقاف التي كانت تُخصَّص للإنفاق على الطلبة

كانت الأوقاف التي يطلق عليها الأحباس [1] من أجل الإنجازات التي ميزت الحضارة الإسلامية ، للدور الذي قامت به في دفع عجلة الحياة العلمية في المساجد والمدارس ، بتوفيرها الموارد المالية اللازمة لها ، وقد استطاعت هذه المؤسسات من خلالها التحرر والاستقلال المالي البعيد عن رقابة الدولة ، مما كان له الأثر في توفير مناخ علمي حر ، ساعد على تقدم العلوم وازدهارها في تلك العصور .

وقد تنوعت الأوقاف المخصصة للأعمال الخيرية إلى عدة أنواع من حيث طبيعتها ونوع واقفيها ، أما من حيث طبيعتها فقد كانت هناك أوقاف ذات أصول ثابتة مثل العقارات التي ينفق من ريعها على طلبة العلم [2] ، ثم عرف بعد ذلك وقف الأراضي الزراعية في مرحلة أخرى[3]. كما تنوعت طبقاً لشخصية الواقف . فقد كانت هناك أوقاف وأحباس مخصصة من قِبَل الحكام ، وأوقاف كانت مخصصة من رجال الخير وكبار الأثرياء والتجار[4].

أما عن طريقة إدارة الأوقاف ، فقد عُيِّن لها شخص يشرف على إدارتها ، يسمى ناظر الوقف وكان تعيينه يتم من قِبَل صاحب الوقفية [5] وكان يحصل على مرتبه من هذه الأوقاف . وكان يقوم ناظر الوقف بتحصيل الإيرادات وتوزيعها على مستحقيها طبقاً لوصية الواقف.[6]

وكانت غالبية المصارف التي تنفق فيها الأوقاف ، عبارة عن أجور للعاملين على الوقف ، وأيضاً تحديد نسبة للإنفاق على الطلبة ، بالإضافة لتخصيص جزء من الوقفية

1 - الرازي : مصدر سبق ذكره ، ص 120.
2 - المقريزي : الخطط ، ج 3 ، ص 194.
3 - المصدر السابق ، ج 3 ، ص 194.
4 - نفسه : ج 3 ، ص 163.
5 - نفسه : ج 3 ، ص 196 ، 197.
6 - وثائق السلطان حسن ، ج 3 ، ص 395 ، 396.

لصيانة المسجد وفَرْشه بالحُصْر في المواسم والأعياد ، وأيضاً كان يخصص جزء من هذه الأوقاف للصرف منها على علماء المسجد أو المدرسة ، وجزء كان يخصص لشراء الكتب وأدوات الكتابة اللازمة للعملية التعليمية . وكانت هذه المصارف تحدد طبقاً لوصية الواقف ، الذي كانت له مطلق الحرية في تحديد مصارف وقفه . وكانت شروطه تعتبر بمثابة قانون ملزم لناظر الوقف [1]

وبالنسبة للأزهر ، فتاريخ الأوقاف فيه يعود إلى بدايات إنشائه سنة 361هـ/ 972م عندما قام الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي في عام 386 هـ / 996 م بتخصيص وقف للأزهر ، أنفق منها على الجامع الأزهر وخُصِّص لفرش المسجد وإضاءته ودفع مرتبات العاملين فيه[2]. وقد تبارى بقية الخلفاء الفاطميين في الإنفاق على الجامع وتخصيص الأوقاف اللازمة له[3].

وبعد قيام الدولة الأيوبية ، ونظراً لمحاولتها إضعاف مكانة الأزهر فقد بدأت في مصادرة الأوقاف التي كانت مخصصة له ، ولم يُذكَر عن أي حاكم أيوبي أنه خصص أوقافاً للأزهر ، رغم سعة إنفاقهم على المنشآت التي أقاموها. كما انتهز الأفراد فرصة إهمال الدولة لشئون الجامع الأزهر واستولوا على البقية من الأوقاف الخاصة بهذا الجامع[4].

وعندما قامت الدولة المملوكية الأولى وفي عهد السلطان بيبرس بالذات تمت إعادة

---

1 – بلغ من اهتمام المسلمين بتنفيذ شروط الواقف ، أنه كان يقوم بكتابة تلك العقود ، علماء مشهود لهم بالتقوى أمثال ابن حجر . انظر السخاوي الجواهر والدرر ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، 1996م ، ج1، ص 2 – 3 .

2 – من أمثلة هذه الوقفيات وقفية الخليفة الحاكم بأمر الله (386 م / 996 م) ووقفية الأمير بيلبك الخازندار . انظر المقريزي : الخطط ، ج 3 ، ص 157 – 160.

3 – محمد بن عبدالله الزركشي : إعلام المساجد بأحكام المساجد ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، 1996م ، ص 35.

4 – كان من الأحداث التي ذكرها المقريزي هو قيام بعض القضاة بإصدار حكم بيع الأوقاف التي خربت : انظر المقريزي ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 197 .

أوقاف الأزهر إليه ، بل لم يتوقف الأمر على ذلك حيث تبارى الحكام والأمراء في تخصيص الأوقاف على الجامع .

ومن أشهر تلك الأوقاف وقفية الأمير (بيلبك الخازندار)[1] الذي خصص وقفية للإنفاق منها على دروس الفقه الشافعي[2] ودروس الحديث والقراءات واشتهر أيضاً من أصحاب الأوقاف على الأزهر الأمير (الطواشي سعدالدين) [3] الذي قام بتخصيص وقفية على العلماء الذين كانوا يقومون بتدريس الفقه الحنفي[4]. وبذلك شهد الأزهر تنافساً من جميع الأمراء بتخصيص الأوقاف اللازمة للإنفاق عليه من ريعها ومن كان له الأثر في قيام الأزهر بواجباته المالية تجاه مريديه[5].

وقد عرف الأزهر نوعين من الأوقاف ، هي الأوقاف العامة والأوقاف الخاصة . فالأوقاف العامة هي التي كانت تخصص للجامع ككل وينفق منها على الجامع. أما الأوقاف الخاصة وهي التي كانت تخصص لأروقة معينة أو لمدارس معينة كانت ملحقة بالأزهر مثل المدرسة الطيبرسية [6]والمدرسة الأقبغاوية[7].

وقد ترتب على وجود نظام الأوقاف نتائج كثيرة بالنسبة لطلبة العلم والعلماء ، حيث إن طلبة العلم كانوا يأتون غالباً من بلاد بعيدة وكانوا بصفة عامة فقراء ، فوفرت لهم الأوقاف الحد الأدنى من المعيشة ، حيث كانت تصرف جرايتهم من هذه الأوقاف. كما كانت تُصرف لهم الحلوى وغيرها في الأعياد[8].

---

1 – انظر ترجمته في الفصل الأول هامش رقم 5 ص 32.

2 – المقريزي : المصدر السابق ، ج 3 ، ص 260.

3 – الطواشي سعد الدين : بشير الجامدار الناصري ، كان من خاصة الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ، له عمائر في الأزهر مثل تجهيزه بالصناديق والخزائن ، وله أوقاف خصصها للأزهر . انظر المقريزي : نفسه ، ج 3 ، 161.

4 – نفسه ، ج 3 ، ص 162.

5 – المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 163.

6 – انظر عن المدرسة الطيبرسية انظر الفصل الأول .

7 – عن المدرسة الأقبغاوية انظر الفصل الأول ص 33.

8 – المقريزي : الخطط ج 3 ، ص 163.

وبالنسبة لأهمية الأوقاف بالنسبة للعلماء. فكانت تمثل لهم مصدراً رئيسياً للدخل ، حيث كانت أغلبية العلماء ممن يقومون بالتعليم لايحصلون على مرتباتهم من الدولة إلا في حالة التدريس في المدارس الحكومية ، وكان هؤلاء العلماء الذين يقومون بالتدريس في تلك المنشآت فئة قليلة ، ولكن الغالبية العظمى كانت تعتمد على الوقف كمصدر أو للحصول على مرتباتهم [1].

1 – انظر مجموعة وثائق السلطان حسن : تذكرة النبيه ، ج3 ، ص 395 ، 396.

4 - العلوم التي كان الأفارقة يدرسونها في مصر

كانت العلوم التي تدرس للطلبة الأفارقة في الأزهر تتماشى مع رغبات هؤلاء الطلاب ونوعيات ثقافتهم التي تلقوها في بلدانهم الأصلية ، ولذا انقسمت هذه العلوم التي كانوا يدرسونها إلى قسمين هي : علوم مطلوبة لذاتها ، وعلوم تمهد لغيرها هذا بالإضافة للعلوم العقلية .

أولاً: العلوم المطلوبة لذاتها :

وهي العلوم الدينية ، حيث كان يعتبرها المسلمون مطلباً لهم تنفعهم في الحياة الدنيا والآخرة ، وكانوا يحثون أبناءهم على طلبها ويتكلفون المشاق في السفر إلى البلدان التي اشتهرت بتدريسها . ومن أشهر هذه العلوم علم تفسير القرآن الكريم ، ودراسة الحديث ، ومصطلح الحديث ، وعلم القراءات ، ورسم المصحف ، وعلم الفقه وأصوله [1].

ثانياً : العلوم التي تمهد لغيرها :

وهى علوم اللغة العربية [2] ، حيث كانت تُستخدم كوسيلة لفهم الدين ودراسة إعجاز القرآن الكريم . وهذه العلوم هي علم النحو ، وعلم البيان والبديع ، وعلم الصرف ، وعلم العروض [3].

ثالثاً : العلوم العقلية :

كان الطلبة الأزهريون يفضلون غالباً دراسة المنطق لاستخدامه في الجدل مع أصحاب الديانات الأخرى وفي استنباط الأحكام كما كانوا يهتمون بدراسة علم الكلام . أما بالنسبة للفلسفة فكانت لا تجد قبولاً بين هؤلاء الطلاب ، كما وُجِد إقبال ضعيف على

---

1 - ابن خلدون : المقدمة ، ص 486.

2 - المصدر السابق ، ص 629.

3 - نفسه ، ص 486.

بقية العلوم العقلية الأخرى باستثناء الحساب الذي كان له أهمية في دراسة علم الفرائض والمواريث [1].

وكانت توقيتات الدراسة تمتد طوال ساعات النهار حتى صلاة العشاء ، وكانت تخصص عطلة أسبوعية تشمل يومي الخميس والجمعة للطلاب يترك لهم الحرية فيها في تنظيم شئونهم واستذكار ما فات من دروسهم [2] وكان لهذه العطلات دور كبير في عملية التعارف بين هؤلاء الطلاب والمجتمع المصري آنذاك.

وكان هؤلاء الطلاب يُعاملون في الأزهر معاملة قائمة على قدم المساواة مع نظرائهم المصريين ، حتى في طريقة الامتحان فبعد الانتهاء من فترة التحصيل الدراسي واطمئنان الطالب على استيعاب ما حصَّله يبدأ في التقدم للامتحان بنفس الطريقة التي كان يختبر بواسطتها زملاؤه المصريون وهي طريقة عرض الكتاب الذي حفظه على شيخه [3] .

وبعد اجتيازه الامتحان بنجاح ، كان الطالب ينتظر الجائزة الكبرى ، وهي حصوله على الإجازة . وكان الحصول على الإجازة عملية مهمة أيضاً في حياة الطالب الأفريقي ، حيث ستؤهله بعد ذلك للعمل بالتدريس أو القضاء ، أو العمل بالإمامة بعد رجوعه إلى بلده .

ولم يكن الحصول على الإجازة في الأزهر رغبة تملك الطلبة الوافدين فقط ، بل كان الحصول عليها أمنية يتمنى الكثير من أبناء القارة تحقيقها وإن لم يحضروا للدراسة في الأزهر ، فكانوا يراسلون علماء الأزهر ، لكي يحصلوا على تلك الإجازة بعد ذكر الكتب التي قاموا بدراستها ، وكان العلماء يقومون بإعطائهم الإجازات وإرسالها لهم في بلدانهم [4] .

1 - ابن خلدون : المقدمة ، ص 540.
2 - عبدالعزيز الشناوي : مرجع سبق ذكره ، ص 289.
3 - القلقشندي : صبح الأعشى ، ج 14 ، ص 325.
4 - السخاوي : الضوء اللامع ، ج 1 ، ص 356.

أشهر العلماء الأزهريين الأفارقة:

كان من نتائج جهود علماء الأزهر المصريين والأفارقة ظهور طائفة كبيرة من العلماء في جميع أنحاء القارة ، في شرقها ، وشمالها ، وغربها ، ومن أمثلة هؤلاء العلماء ، وطلاب شمال أفريقيا (بلاد المغرب الإسلامي) الذين أتوا لمصر ونهلوا من نبعها العلمي في الأزهر (البجائى [1] وعبدالرحمن بن علي القصرى) [2] .

ومن علماء بلاد المغرب الإسلامي أيضاً الغماري [3] والتجيبى [4] وزروق [5] والصفاقسى [6] .

وبالنسبة لمنطقة الغرب الأفريقي والمعروفة اصطلاحاً باسم بلاد السودان الغربى، اشتهر منها علماء أزهريون ، كانوا لا يقلون قيمة ، ولا علماً عن نظرائهم سواء العلماء المصريين أو غيرهم ، وقد تميز هؤلاء العلماء بغزارة علمهم ، وكثرة مؤلفاتهم.

---

1 – البجائي : عبدالقوى محمد بن عبدالقوي البجائى ، ولد في بجاية بتونس عام 743هـ/ 1342م ، وقدم إلى مصر وعمره ثمانية عشر عاماً ، وأقام بالأزهر ، واشتهر ببراعته في الفقه وعلوم الحديث . توفي عام 816هـ/ 1413م . انظر ابن تغري بردي: المنهل الصافي ، ج 7 ، ص 328 ، 329 .

2 – عبدالرحمن بن علي بن أحمد القصرى ، ولد في فاس ، وتلقى علومه فيها ، وأتى لمصر عام 909هـ/ 1503م وتلقى علم الحديث عن أصحاب ابن حجر ، واشتهر برواية الحديث ، وسافر لبلاد السودان إلى كانو ، ورجع لفاس وتولى الخطابة بجامع الأندلس ، توفي عام 956هـ/ 1549 م. انظر: التنبكتي: نيل الابتهاج ، ص 264.

3 – الغماري : أحمد بن عيسى بن عبدالرحمن ، أتى لمصر بعد تلقي العلوم في تونس ، ودرس على يد الشيخ العز بن عبدالسلام ، واشتهر في علم أصول الفقه ، توفي عام 682هـ/ 1283 م بتونس . انظر: أحمد بابا التنبكتي: مصدر سبق ذكره ، ص 79.

4 – التجيبي : أحمد بن محمد بن عليكان كثير النظم في السيرة النبوية ، قدم للقاهرة وحفظ موطأ مالك ، وأقيم له احتفال بضرب البوق ، له مؤلفات في السيرة النبوية ، وله كتب عن تاريخ الأندلس والمغرب ، توفي أول رمضان بفاس عام 725هـ/ 1324 م . انظر: المصدر السابق ، ص 91 .

5 – زروق : أحمد بن أحمد بن محمود بن عيسى البرنسي الفاسي ، ولد عام 846هـ/ 1442م ، وتلقى العلم على السنهوري والدميري والسخاوي ، له كتاب شرح على الرسالة وشرح القرطبية ، توفي بطرابلس عام 899 هـ/ 1493 م انظر نفسه ، ص 131 ، 132 .

6 – الصفاقسى : إبراهيم بن محمد القيسي الصفاقسي ، ولد عام 697هـ/ 1297م ، تلقى العلم ببجاية والقاهرة ، واشتهر بأنه أحد أئمة القاهرة ، من أشهر مؤلفاته الروض الأريج في مسألة الصهريج ، والإعراب في اللغة ، وتوفي عام 742هـ/ 1341 م . انظر المصدر السابق ، ص 42 : 44 .

ومن أشهر هؤلاء العلماءالعالم (محمود بن عمر) [1]وأحمد بن عمر بن أقيت [2] والعاقب بن عبدالله [3] والتازخنى [4] واشتهر أيضاً من بلاد السودان الغربي ، وكان له دور في الحياة العلمية عبدالعزيز التكروري[5] .

ومن علماء شرق أفريقيا عبدالله بن يوسف الزيلعي [6]وفخرالدين الزيلعي [7] وقد اندمج هؤلاء العلماء في البيئة المصرية وتأثروا بها وأيضاً أثَّروا فيها فلم يعيشوا في معزل بل كان لهم بصماتهم في الحياة المصرية .

---

1 – محمود بن عمر : بن علي بن يحي الصنهاجى ، تولى قضاء تنبكت عام 904هـ / 1498م ، وقام برحلة للحج وقابل القلقشندي واللقاني ، وأقروا له بالصلاحية ، وبرع في الفقه ويعتبر من شراح خليل وكانت رحلته للحج عام 915هـ / 1509م ، توفي عام 955 هـ/ 1548م . انظر التنبكتي : نفسه ، ص 607.

2 – أحمد بن عمر بن محمد بن أقيت : كان من علماء الفقه واللغة ، تولى قضاء مدينة تمبكت ، ويعتبر من تلاميذ السيوطي والشيخ خالد الأزهري ، تولى بجانب القضاء التدريس ، توفي عام 942هـ/ 1535م : المصدر نفسه ، ص 137 ، 138.

3 – العاقب بن عبدالله الأنصفي : المسوفي من أكدس بلد بالغرب من السودان ، له مساجلات مع علماء بلده ، وأتى لمصر بتكليف من علماء بلده ليصوبوه في مسائل خالفهم فيها منها تأليفه جزء في وجوب الجمعة بقرية (أنصمني) ومن أشهر أساتذته الإمام السيوطي وكان حياً حتى عام 950هـ / 1543 م . انظر المصدر ذاته ، ص 353 .

4 – التازخنى : محمد بن أحمد بن أبي محمد ، مشهور بأبي أحمد ، تلقى تعليمه على يد القلقشندي ، وتولى قضاء كشن ، توفي عام 936هـ/ 1529م. انظر المصدر السابق ، ص 587

5 – التكروري : عبدالعزيز التكروري ، قدم لمصر عام 850هـ/ 1446م ، ويعتبر من شراح مختصر خليل ، نال شهرة بمصر ، انظر أحمد بابا التنبكتي : مصدر سبق ذكره ، ص 275.

6 – عبدالله بن يوسف : جمال الدين عبدالله بن يوسف محمد الزيلعي ، تلقى العلم على يد ابن عقيل ، من أشهر مؤلفاته كتاب تخريج أحاديث الهداية ، توفي عام 712هـ / 1360م . انظر السخاوي : الضوء اللامع ، ج 1 ، ص 265 .

7 – فخرالدين الزيلعي : انظر ترجمته حاشية 4 الفصل الثاني .

5 - تأثير الطلبة الأفارقة وتأثُّرهم بالحياة المصرية

لم يعش الطلاب والعلماء الأفارقة القادمون لمصر بمعزل عن الشعب المصري والحياة المصرية ، بل ساهموا فيها ، وتأثروا بالحياة والنظم المصرية وأيضاً أثروا فيها ، حيث اختلطوا بالشعب المصري على اختلاف طبقاته . وقد تعددت الأسباب التي ساعدت على عملية الاختلاط وساعدت على التأثير في حياة هؤلاء الوافدين.

من أولى هذه الأسباب ، سماحة الشعب المصري وترحيبه بالقادمين إليه بدون تفرقة بسبب اللون أو الأصل ، ومعاملة هؤلاء العلماء والطلاب معاملة أخوة يجمعهم دين واحد وهدف واحد بالإضافة لكرم الشعب المصري ، فقد كان الشعب المصري يمد لهم يد العون عند الحاجة ، بل يساعدهم في حالة الطلب ، حتى لو كان هؤلاء الوافدون أغنياء .

ومن الأسباب أيضاً التي ساعدت على اندماج هؤلاء في الحياة المصرية ، الاختلاط اليومي بالعلماء والطلاب المصريين في حلقات الدرس التي كانت تُعقد بالجامع الأزهر ، حيث كانت هذه الحلقات عامة لا تميز فيها بين جنس وآخر ، ولم تكن هناك حلقات خاصة إلا في حالة واحدة وهي حلقات الفقه فقط [1] ، وطبيعي أن تخصص حلقة لدراسة الفقه الشافعي ، وأخرى للفقه الحنفي ، وثالثة للفقه المالكي ورابعة للفقه الحنبلي ، وكل حلقة من هذه الحلقات كانت تجمع بين الطلبة المصريين والأفارقة وغيرهم ، كما أن الحرية التي تمتعت بها هذه الحلقات كانت توفر فرصة للنقاش ، مما ساعد على تبادل الأفكار بين هؤلاء الوافدين ونظرائهم المصريين.

وكان نظام التعليم في الأزهر يتيح أيضاً فرصة الاختلاط حيث كانت الدراسة في الأزهر تعطَّل يوم الخميس والجمعة كما سبق القول ، فكانت فرصة لهؤلاء الطلاب للخروج والاختلاط اليومي بالمصريين وتعاملهم مع الشعب المصري ، مما كان له الأثر الكبير في عملية التبادل الثقافي بينهم وبين المصريين .

---

1 - علي مبارك : الخطط التوفيقية ، ج 4 ، ص 60.

وكما تنوعت الأسباب التي ساعدت على تأثر هؤلاء العلماء والطلاب بالحياة المصرية فقد تنوعت أيضاً مظاهر هذا التأثر ، حيث نجد أن هذه المظاهر امتدت تشمل جوانب كثيرة من الحياة ، ومن أشهر هذه المظاهر:

أولاً: تولِّي المناصب الدينية :

تولى العلماء الأفارقة الموجودون بمصر العديد من المناصب الدينية متساوين بذلك مع أقرانهم المصريين نظراً لطول إقامتهم في مصر واتخاذها موطنًا لهم. فقد تنوعت هذه المناصب التي تولوها ومن أشهرها تولي مشيخة الأروقة مثل الشيخ حسن الجبرتى الذي تولى مشيخة رواق الجبرت في الأزهر ، وظل هذا المنصب وراثيًا في أبنائه لفترة طويلة من الزمن[1].

ومن المناصب أيضاً التي تولاها هؤلاء العلماء منصب مشيخة الخانقاوات وهذا المنصب كان يتمتع بميزات خاصة لما للصوفية من تأثير في الحياة في ذلك الوقت . ونظراً لأن معظم الخانقاوات كان يقوم بإنشائها السلاطين ولذلك كان يُعتبر توليها في المناصب العامة والرسمية ومن أشهر هؤلاء العلماء الذين تولوا القيام بهذا المنصب العالم فخرالدين الزيلعي [2] الذي تولى مشيخة الخانقاه الطقردمزية بالقرافة [3].

ثانياً : تولِّي منصب القضاء :

ومن المناصب الدينية أيضاً التي تولاها هؤلاء العلماء ، منصب القضاء ، بل وصل بعضهم إلى منصب قاضي القضاة في مصر مثل عبدالرحمن بن خلدون الذي تولى هذا المنصب عدة مرات ، وكان قاضياً للمالكية في مصر [4].

---

1 – علي مبارك : الخطط التوفيقية ، ج 4 ، ص 54.

2 – انظر ترجمته في الفصل الثاني حاشية رقم 5 .

3 – الخانقاة الطقر دمزية: لم تذكر الخانقاه في خطط المقريزي ، وأيضاً لم تذكر في الخطط التوفيقية – لذلك كان من الصعب أن نجد أية تفصيلات عن هذه الخانقات ، إنما ذكرت فقط عند ترجمة فخرالدين الزيلعي في كتاب ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج 23 ، ص 61.

4 – السيوطي : حسن المحاضرة ، ج 2 ، ص 462.

ثالثاً : تولِّي وظائف التدريس :

بالنسبة لوظائف التدريس ، فقد شهدت هذه الوظائف أيضاً قيام الكثير من هؤلاء العلماء الأفارقة بتولِّيها ، بل كانت لهم مدارس مخصصة لإلقاء الدروس فيها ومن أشهر العلماء الذين تولوا التدريس الرهوني[1] وفخرالدين الزيلعي ، ولم يقتصر الأمر على هذه المدارس ، بل وصل الأمر لتصدر حلقات العلم بالجامع الأزهر ، ويكفي كمثال على ذلك ابن خلدون الذي تولى التدريس به[2].

لم يكتف العلماء الأفارقة بتولي المناصب الدينية والعلمية في مصر بل تقربوا للحكام ، ونالوا الحظوة لدى هؤلاء الحكام نتيجة لاشتهارهم بالصلاح والتقوى. كما اندمج هؤلاء العلماء مع الطبقات الشعبية في مصر ، ولذلك أطلقت على أماكن بعينها أسماء هؤلاء العلماء مثل زاوية العالم الركراكي التي نُسِبت لعالم مغربي كان يقيم في مصر[3].

كما ساعدت روح الود والأخوة الإسلامية بين العلماء المصريين وبين أترابهم من العلماء الأفارقة على نمو وتوطيد العلاقات بين الفريقين وكانت أسس هذه العلاقات مبنية على الاحترام والاعتراف بالفضل ، مثال ذلك ابن خلدون الذي حضر لمصر وبدأ يتولى التصدير في الأزهر ، وأبدى كثير من معاصريه إعجابهم به وكانوا يُنزلونه منزلة كبيرة، وتشهد بذلك التراجم التي ترجمت له بواسطة العلماء المصريين . كما أن الأفارقة كانوا لايجحدون فضل أساتذتهم عليهم بل كانوا يطلقون عليهم الألفاظ التي تليق بهم[4].

---

1 - الرهوني : شرف الدين يحي بن عبدالله الفقيه المالكي ، من المغرب وكان يقوم بتدريس علم الأحاديث في المدرسة الصرغتمشية ، وكان يعمل بالإفتاء ، ودرَّس بالمدرسة الشيخونية ، توفي عام 773هـ/ 1371م. انظر السيوطي : مصدر سبق ذكره ، ج 21 ص 460 ، 461 .

2 - التنبكتي : نيل الابتهاج ، ص 252.

3 - الركراكي : أبوعبدالله محمد الركراكي ، من بلاد المغرب العربي ، لم تذكر المصادر أسماء فعلية ، عمل مدرساً للفقه المالكي بداخل الزاوية التي أسسها وكان الناس يتبركون به ، توفي يوم الجمعة سنة 794هـ/ 1391م في مصر . انظر المقريزي : الخطط ، ج3 ، ص 433 .

4 - انظر في ذلك تراجم أحمد بابا التنبكتي لبعض العلماء المصريين مثال ذلك ترجمته لكل من القلقاوي وسليمان بن شعيب بن خضر ص 176 : ص 187 .

6 - إرسال بعض علماء الأزهر إلى أنحاء القارة

بدأ العلماء الأزهريون يشقون طريقهم تجاه القارة شمالاً ، وغرباً ، وشرقاً ، وكان دافعهم إلى ذلك أسباب عديدة ، منها رغبة هؤلاء العلماء في نشر الإسلام في القارة على اعتبار أنه جهاد ، وأيضاً استجابة للدعوات التي كانت تُوجَّه لهم من الحكام ، بالإضافة لسبب لايمكن تجاهله وهو السبب الاقتصادي الذي كان يحرك بعض العلماء للسفر لتلك الأنحاء [1] .

وقد اختلفت إقامة العلماء في القارة فمنهم من كان يقيم بصفة دائمة ، ومنهم من كان يقيم بصفة مؤقتة ، ومنهم من اعتبرها بمثابة رحلة يقوم بها سواء كانت لغرض علمي أو غرض تجاري [2] ، وكانت السمة الغالبة على هؤلاء العلماء هو تعدد جنسياتهم فمنهم علماء مغاربة ومصريون .وبمجرد وصول هؤلاء العلماء ، كانت تُعقد لهم حلقات علمية في المساجد يحضرها الطلاب ، كما كانوا يُكلفون أيضاً بالإشراف على المنشآت الدينية ومحاربة البدع التي كانت تنتشر في القارة [3] . مثال ذلك العالم العاقب الذي عقد حلقة لتصويب كتاب بعد عودته من مصر [4] .

كما كان هؤلاء الحكام الأفارقة يتبارون في الحفاوة بهؤلاء العلماء ، وينزلونهم منزلة تليق بهم ويجتمعون بهم ، ويرسلون لهم الهدايا . وقد شاهد ابن بطوطة عند زيارته لمقديشو مجموعة من العلماء كان على رأسهم ابن برهان الدين المصري وكيف كان يحتل هذا العالم مكانة كبيرة لدى السلطان [5] . كما أن مدن غرب أفريقيا كانت تشتمل على بعض العلماء المصريين [6].

---

1 - الذهبي : دول الإسلام ، ج 2 ، ص 241 .

2 - المصدر السابق ، نفس الصفحة .

3 - عن البدع التي كانت منتشرة في القارة انظر ودضيف الله : الطبقات ، ص 5 ومحمد بن بلو إنفاق الميسور ، ص50 وأسئلة الاسكيا محمد ورد المقيلي عليها ورسالة الاسكيا محمد للسيوطي.

4 - التنبكتي : نفس المصدر ، ص 353.

5 - ابن بطوطة : نفس المصدر ، ص 170.

6 - المصدر السابق ، ص 444.

7 - المساهمة في إنشاء العمائر التعليمية

تميزت المؤسسات التعليمية التي قام الأزهريون بإنشائها في دول القارة أنها كانت تغطى مراحل التعليم المختلفة ، وقد تنوعت هذه المؤسسات ، فمنها ما كان يختص بالتعليم الأوَّلى ومنها ما اختص بالتعليم العالى . ومن أشهر هذه المنشآت الكتاتيب والمدارس . وقد سبق القول عند الحديث عن المنشآت الدينية بأن الإسهام الأزهري فيها كان يتمثل في عملية البناء أو الإشراف عليه أو يعملون على تعميرها علمياً . كذلك المؤسسات التعليمية فإن إسهام علماء الأزهر فيها بإنشائها ويظهر ذلك في الكتاتيب أو في إقامة حلقات العلم في المدارس . وقد أسهمت هذه المنشآت في إيجاد حياة علمية راسخة في القارة ، وتخرَّج منها طلاب وعلماء كان لهم أيادٍ بيضاء في تعليم مواطنيهم ومن أشهر هذه المؤسسات :

أولاً : المكاتب :

الكتاتيب كلمة مفردها كتاب ، ويطلق عليها أيضاً المكتب [1] ، وهي في الأصل مبانٍ مُعدَّة كانت تلحق بالمساجد ، أو في أماكن منفصلة مثل البيوت ، لتعليم الصبية حفظ القرآن الكريم ، وأحياناً اللغة العربية في بعض البلاد التي كانت غير ناطقة بها ، بينما كانت في بلاد المغرب تخصص لتعليم القرآن الكريم [2] وقد انتشرت الكتاتيب في جميع أنحاء القارة الأفريقية . وكان من أسباب انتشارها سهولة إنشائها ، وعدم تكلفتها . فالكتَّاب كان يكفيه مكان منزو في الجامع ، أو حجرة في المنزل ، بدون أية تجهيزات معينة ، على عكس المدارس التي كانت تحتاج إلى مبانٍ مستقلة وأماكن لإقامة الطلبة وخلافه .

وكان التعليم في هذه الكتاتيب يتم غالباً في فترة الصباح ، حيث إنها تعتبر من أنسب الأوقات لتعليم الصبية ، مراعاة لظروفهم العمرية . كما كانت الدراسة في الكتاتيب

---

1 – الرازي : مصدر سبق ذكره ، ص 562.

2 – ابن خلدون : المقدمة ، ص 630 ، 631 .

تُعطَّل بعد منتصف يوم الخميس والجمعة من كل أسبوع[1].

وكانت طريقة التدريس تعتمد على قيام الشيخ بقراءة القرآن الكريم ، والطلاب يرددون خلفه . وكان الغرض من هذه الطريقة تدريب الطلاب على طريقة النطق الصحيح لآيات القرآن الكريم يأتي بعد ذلك كتابة جزء من السورة في ألواح كانت مُعدَّة لهذا الغرض ، وكانت تُصنع من الخشب [2] لكي يسهل محو الكتابة من عليها بعد ذلك . وكانت أدوات الكتابة عبارة عن أقلام مصنوعة من البوص والريش والمداد ، وهو الحبر الذي يُصنع من بقايا الرماد[3].

أما السن المناسب للالتحاق بالمكاتب ، فكان يلتحق بها الطلاب في سن مبكرة لكي تساعدهم على الحفظ . وكان العلماء يقومون باستقدام هؤلاء الطلاب من قراهم ، أو يقوم آباؤهم بإرسالهم بصفة رئيسية لتعليم هؤلاء الصبية .

وبالنسبة لمرتبات المعلمين ، فكانت تخضع لشروط معينة ، وأيضاً تعتمد على ما كان الأهالي يؤدونه من أجور ، من هذه الشروط أن يقوم المعلم بالتعليم في مكان عام كالمسجد مثلاً ولا يأخذ أجراً إذا كان يعلم الصبي منفرداً [4]. وكانت المرتبات والأجور تقدر طبقاً لما يراه أولياء الأمور .

وقد ترتب على إنشاء هذه المكاتب نتائج باهرة ، حيث قامت هذه الكتاتيب بتجهيز الطلاب وإعدادهم لكي يتلقوا علومهم الشرعية ، والعربية ، كما ساعدت على انتشار حفظة القرآن الكريم نتيجة للانتشار الواسع لهذه الكتاتيب في القارة الواسعة واهتمام الآباء الأفارقة بتعليم أبنائهم حفظ القرآن الكريم لدرجة حبسهم في الغرف ، منعاً لخروجهم ، وضماناً لامتثالهم لدروسهم ، وقد بلغ الاهتمام مداه لدرجة أنهم يربطونهم

---

1 - القابسي : الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين ، دار المعارف ، القاهرة بدون ، ص 314.

2 - الحسن الوزان : وصف أفريقيا ، ص 263.

3 - المصدر السابق ، نفس الصفحة.

4 - القابسي : مصدر سبق ذكره ، ص 362 .

أحياناً بالسلاسل حتى يقوموا بحفظه . كما شاهد ذلك ابن بطوطة بنفسه أثناء تجواله في غرب أفريقيا [1].

ثانياً : المدارس :

كان نظام المدارس بمفهومها المعمارى غير منتشر في القارة الأفريقية إلا في منطقة الشمال الأفريقي فقط . لأسباب منها رسوخ الإسلام والتقاليد الإسلامية في هذه البلاد منذ زمن بعيد . وأيضاً تعاقب كثير من الدول الإسلامية التي حكمت تلك الأماكن . ومن الأسباب أيضاً قوة تأثر تلك البلاد ببقية أنحاء العالم الإسلامي الذي كان يعرف هذا النوع من نظم التعليم[2]. أما منطقة الغرب والشرق الأفريقي فلم تعرف إلا حلقات دراسية كانت تُعقد في المساجد .

أما البرامج الدراسية في هذه المدارس الموجودة في شمال أفريقيا . فقد روعى فيها تغطية الاحتياجات الدينية في تلك البلاد ، مثال ذلك كانت تخصص معظم دروس الفقه للمذهب المالكي ، وعلوم القرآن الكريم ، ودراسة أسباب النزول والقراءات ، بالإضافة لعلم رسم المصحف في بلاد شمال أفريقيا والبرامج المخصصة لتدريس المذهب الشافعي والحنفي في بلاد شرق أفريقيا ، وبالنسبة لعلوم اللغة العربية كان يدرس علم النحو والبيان ومن العلوم العقلية علم الكلام[3]. وقد بلغ الاهتمام ببناء المدارس والإنفاق عليها مبلغاً كبيراً من قِبَل السلاطين والحكام ، فقد خصصوا لها الأوقاف للإنفاق عليها فألحقت بهذه المدارس مساكن لإيواء الطلبة ، كما زُوِّدت بخزانات المياه مع الأعطيات للطلبة والصرف عليهم [4] .

---

1 - ابن بطوطة : الرحلة ، ص 450.

2 - رجب محمد عبدالحليم ، نفس المرجع ، ص 252.

3 - ابن خلدون : المقدمة ، ص 501.

4 - ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج 7 ، ص 210.

أشهر المدارس في شمال أفريقيا :

الحديث عن المدارس في الممالك الإسلامية في شمال أفريقيا يطول ويحتاج إلى دراسات خاصة به ، وسيقتصر الحديث هنا عن المدارس التي بُنيت في عهد دولة بني مرين . وأول مدرسة قام بإنشائها بنو مرين هي مدرسة الحلفائين بفاس سنة 670هـ/ 1271م وكانت تُعرف باسم المدرسة الصفارية . وقد خصص لها السلطان الأوقاف للإنفاق منها على الطلبة [1].

وهناك أيضاً المدرسة العنانية التي أنشأها السلطان أبو عنان فارس في سنة 756هـ/ 1355م وقد زارها الحسن الوزان [2]ووصفها وصفاً قيماً . وكان مبنى هذه المدرسة يشتمل على ثلاثة أروقة مسقوفة وزُوِّدت بجداول المياه ، ولها سقف خشبي مجزع ، كما تميزت بأن الجدران كانت مكسوة بالقيشاني ، وقد وصلت جملة الإنفاق عليها مبلغاً كبيراً ، ويُروى أن السلطان أبا عنان المريني عندما عرض عليه نفقات التكليف ووجد أن الصفحات الأولى من التقارير تجاوزت مبلغ الأربعين ألف دينار ألقى بالكشف في المياه [3] ، مبرهناً على أن الشيء الحسن لا يُقدر بالمال ، وقد بلغت تكاليف هذه المدرسة نحو أربعمائة وثمانين ألف دينار [4].

1 - الحسن الوزان ، وصف أفريقيا ، ص 231.
2 - المصدر السابق ، ص 231.
3 - نفسه ، ص 232.
4 - نفسه ، نفس الصفحة .

8 - الحفاظ على الهوية العربية والثقافة الإسلامية

واجهت الثقافة الإسلامية والعربية في قارة أفريقيا العديد من الصعوبات والعقبات . ولم يقف علماء الأزهر مكتوفي الأيدي تجاه هذه الصعوبات بل قاوموها وحاولوا القضاء عليها ، متبعين في ذلك العديد من الوسائل . وقبل الحديث عن الوسائل التي اتبعوها يجب الحديث عن هذه الصعوبات والعقبات التي كان منها :

1 - تمسُّك الأفارقة بلغاتهم :

على الرغم من انتشار الإسلام في أفريقيا وما تبع هذا الانتشار من اعتناق الأفارقة للإسلام وتعلُّم بعضهم اللغة العربية ، نجد أن هؤلاء الأفارقة ظلوا متمسكين بلغاتهم المحلية ، ولم تشهد اللغة العربية انتشاراً واسعاً إلا في بلاد شمال أفريقيا . مثال ذلك ما ذكره ابن بطوطة في رحلته لبلاد مالي حيث ذكر أن السلطان لا يتحدث إلا من خلال ترجمان [1] .

وبالنسبة لبلاد شرق أفريقيا فعلى الرغم من انتشار الإسلام بينهم وبحكم صلاتهم بالبلاد الإسلامية . فقد عرفوا تعدد اللغات ، حيث كانت اللغة الأمهرية وغيرها من اللغات المحلية تنافس اللغة العربية [2]. ورغم وجود لغات محلية عديدة فقد انتشرت اللغة العربية بين كثير من السكان هناك وخاصة في الصومال واريتريا وجيبوتي ومدن ساحل شرق أفريقيا وكان وجود اللغة العربية يتركز أساساً في أنها كانت اللغة الرسمية في الإدارة والتعليم والمراسلات ، بينما كان معظم السكان الأفارقة يتكلمون لغاتهم الأفريقية وخاصة في المناطق الداخلية في القارة .

2 - احتفاظ الأفارقة بعاداتهم وتقاليدهم :

كانت العادات والتقاليد الأفريقية الوثنية من أشد العقبات التي واجهها العلماء

1 - ابن بطوطة : الرحلة ، ص 445 .

2 - المقريزي : الإلمام عما بأرض الحبشة من ملوك الإسلام ، ص 8 .

سواء كانوا أزهريين أو غير أزهريين وواجهتها الثقافة الإسلامية ، حيث تمسك كثير من الأفارقة بالعادات التي توارثوها عن أسلافهم [1] ، بل تعدى الأمر لمحاولة خلطها بالمتغيرات الجديدة التي حدثت لهم بعد اعتناقهم الإسلام وانتشار اللغة والثقافة العربية الإسلامية بين الكثيرين منهم .

3 - الصراع بين الإسلام والمسيحية :

لم يجد الإسلام الأرض ممهدة لانتشاره في أفريقيا ، بل سبقه في الانتشار الديانة المسيحية ، وخصوصاً في الأجزاء الشرقية من أفريقيا ، حيث تسربت الديانة المسيحية منذ أقدم العصور ، وعلى الرغم من سماحة الإسلام وتعايشه مع كافة الأديان كان الأمر يختلف في تلك المنطقة ، حيث تعصب الأحباش للمسيحية ، ودخلوا في حروب ضد المسلمين . وكانت أسباب هذه الحروب محاولة الأحباش السيطرة على الممالك الإسلامية في بلاد الزيلع والقضاء على الإسلام هناك [2]

أما عن الوسائل التي استخدمها العلماء الأزهريون لمقاومة هذه الأفكار والعقبات التي كانت تهدد الثقافة العربية الإسلامية . فقد حاولوا جاهدين اتخاذ الأسلوب السلمي واتباع الموعظة الحسنة ، يتضح ذلك من خلال استعراض تلك الوسائل التي تتلخص في عدة نقاط منها تشجيع تعلم اللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية فقد كان العلماء الأزهريون سواء كانوا قادمين من مصر أم من أصل البلاد الأصليين يحاولون تشجيع الطلاب على تعلُّم اللغة العربية بإرسالهم إلى مراكز العلم المشهورة كالأزهر .وأيضاً كمظهر من مظاهر التشجيع التوصية بتعيين هؤلاء الطلاب في المناصب العامة مثل منصب القضاء والفتيا وأيضاً جذب الأفارقة للعمل بالتدريس والانخراط في الطرق

---

1 - محمد بن بلو : إنفاق الميسور ، ص 50.

2 - لمزيد من التفصيل عن هذه الحروب وأسبابها . انظر رجب محمد عبدالحليم : الصراع بين مسلمي الزيلع ونصارى الحبشة . ص120: 67.

الصوفية تشجيعاً لهؤلاء الطلاب وإعطائهم فرصة للقيام بدورهم في نشر اللغة العربية والدين الإسلامي بين أهاليهم بعد عودتهم إلى بلادهم[1] . كما أن استخدام أسلوب الوعظ والإرشاد كان أيضاً من الأساليب التي اتبعها العلماء الأزهريون لمحاولة محو العادات الوثنية ، ومحاولة إبراز القيم الإسلامية ولذلك كانت تُعقد حلقات الوعظ في المساجد والمجالس لذلك الغرض . ولم يتوقف مجهود هؤلاء العلماء على هذه الوسائل فقط بل كانوا يشتركون أيضاً في القتال أثناء الحروب التي كانت تُشَن على الوثنيين الذين كانوا يهاجمون الدول الإسلامية في القارة .

1 - ودضيف الله : الطبقات ، ص 6.

9 - بروز دور الجامع الأزهر الشريف عن نظائره من الجوامع الأخرى في القارة

من الجوامع التي شهدت نهضة علمية ، وحازت شهرة كبيرة في قارة أفريقيا جامع الزيتونة بتونس ، وجامع القرويين بفاس في بلاد المغرب . وقد شهد الجامعان اهتماماً كبيراً من حكام هذه الدول ، مما جعلهما يصبحان منارتين للعلم في شمال أفريقيا . وسوف نعرض بإيجاز تاريخ الجامعين ، لنعرف مدى أهمية الجامع الأزهر الشريف بالنسبة لهما ، ولنعرف مدى تأثيره عليهما .

أولاً: جامع الزيتونة:

قام بإنشاء هذا الجامع والي ولاية أفريقية عبيد الله بن الحباب(116 - 123هـ/ 735 - 742م) وقد تميز هذا الجامع بكبره واتساعه ، وقد أدخلت عليه عدة تجديدات في عهد دولة الأغالبة[1] وعندما قام زيادة الله (201 - 223هـ/ 816 - 838م) بتجديد الجامع ، ولكنه لم يكمله ، لأنه وافته المنية . وفي عهد إبراهيم بن أحمد الأغلبي (242 - 249هـ/ 856 - 863م) تم تكملة بناء الجامع ، وبناء قبابه المضلعة ، ثم زيدت عليه ، أعمدة رخامية مزيَّنة بالزخارف ، والنقوش المكتوبة بالخط الكوفي الجميل . وقد شهد هذا الجامع نهضة علمية . ومن أشهر العلماء الذين درسوا ، وتعلموا فيه الخدرى ، والذي تولى الإفتاء في تونس ، وتوفي عام 879هـ/ 1474م[2] .

ثانياً : جامع القرويين:

سُمِّي الجامع بهذا الاسم نسبة لأهالي القيروان[3] ، وقد أسسته فاطمة بنت محمد

1 - محمد زينهم عرب: مقدمة تاريخ أفريقيا والمغرب . ص32.

2 - الخدري : ابراهيم بن محمد ، تلقى العلم بتونس على يد عبد الله القلشاني ، وتولى الإفتاء بتونس . انظر التنبكتي: نيل الابتهاج ص66.

3 - علي عبد الواحد : هامش كتاب وصف أفريقيا . ص230.

في عام (245هـ/ 859م) ، وقد أُدخلت عليه عدة تعديلات وإضافات . وقد تميز هذا الجامع بكبر مساحته ، إذ بلغت حوالي (2400كم)وله واحد وثلاثون باباً كبيراً ، كما أنه يُضاء كل ليلة بحوالى ستمائة سراج ، وزوِّد بكراسى لإلقاء الدروس عليها[1] .

وقد شهد جامع القرويين ازدهاراً كبيراً ، في عهد الدولة المرينية ، نتيجة للحرية الفكرية ، التي تميز بها هذا العصر ، وأصبح مركزاً لتعليم المذهب المالكي ، وقد تخرَّج منه كثير من العلماء مثل قنفذ[2] .

وهكذا لعبت جوامع شمال أفريقيا دوراً هاماً في الحياة التعليمية ، وكان لها الأثر الكبير في نشر المذهب المالكي في أفريقيا . وقد كانت هذه المساجد بمثابة مرجعية دينية لبلاد المغرب الإسلامي ، كما تخرج منها كثير من العلماء . وعلى الرغم من كل هذه الحيثيات السابقة ، لم تستطع هذه الجوامع منافسة الأزهر الشريف ، أو الإقلال من قيمته . وقد تضافرت عدة عوامل ساعدت على تبوء الأزهر هذه المكانة الفريدة ومن هذه العوامل:

أولاً : تعدُّد مجالات الدراسة في الأزهر:

تميَّز الأزهر بتعدد مجالات الدراسة فيه ، فقد كانت تدرس فيه كل المذاهب الإسلامية الأربعة وهي المذهب الحنفي. والشافعي ، والحنبلي ، والمالكي ، وقد خصص الأزهر الشريف لكل مذهب من هذه المذاهب حلقة خاصة به يتدارس فيها أصحاب كل مذهب بدون تفرقة.بينما تخصصت مساجد شمال أفريقيا بتدريس المذهب المالكي فقط[3]وكان من الطبيعي أن تتجه أنظار المسلمين إلى الجامع الأزهر .

---

1 - محمد عادل عبدالعزيز: التربية الإسلامية في بلاد المغرب . ص51.

2 - قنفذ: أحمد بن حسين الشهير بابن الخطيب ، ولد عام 740هـ/ 1339م ، من أشهر مؤلفاته شرح الرسالة ، توفي عام 810هـ/ 1407م . انظر التنبكتي . ص109 - 110.

3 - انظر هامش 2 .

كما تميزت الدراسة في الأزهر بأنها حوت كل العلوم ، والتي كانت سائدة في ذلك العصر ، فكان بجوار العلوم الدينية والعربية يتم تدريس العلوم العقلية مثل الطب، والفلك ، والرياضيات على عكس الجوامع الأخرى والتي كانت مخصصة لتدريس العلوم الدينية والعربية فقط[1] .

ثانياً: وقوع مصر في طريق الحج:

كانت رحلات الحج تعتبر مناسبة لأداء الفريضة ، ولتلقّي العلم . وقد كانت مصر بحكم موقعها الجغرافي تقع في الطريق المار لبلاد الحجاز ، كما تعتبر بمثابة محطة رئيسية للحجاج ، ولذلك كان الجامع الأزهر الشريف يستقبل كثيراً من الأفارقة الذاهبين للحج أو في أثناء عودتهم منه . وتزخر كتب التراجم بالكثير من العلماء الذين تلقوا تعليمهم في الأزهر الشريف أثناء رحلتهم للحج مثل البجائى[2] ، والتكروري[3] . كما كان من عادة قوافل الحج أن تصطحب معها علماء من الأزهر وأثناء عودتهم إلى أفريقيا .

ثالثاً : تعدد الموارد المالية للأزهر الشريف:

نظراً لكثرة الموارد والتي خصصها سلاطين المماليك للأزهر ، والموارد التي خصصها الأمراء وبالإضافة لوجود الأروقة والتي كانت مخصصة لاستقبال الطلاب استطاع الأزهر استقبال الطلاب الأفارقة ، وإعاشتهم .

رابعاً : كثرة العلماء الموجودين في مصر:

كانت مصر منذ سقوط بغداد في عام (656هـ/ 1258م) مقصداً لكل العلماء الذين هاجروا من بغداد ، بالإضافة لتشجيع سلاطين المماليك للعلم والعلماء ، وكان له بالغ الأثر في زيادة أعدادهم . كما أن الموروث الحضاري للشعب المصري قد استطاع إفراز

---

1 - عادل عبدالعزيز: مرجع سبق ذكره . ص51.

2 - البجائي: انظر ترجمته في الفصل الثالث .

3 - انظر ترجمته في الفصل الثالث .

الكثير من العلماء مثل ابن هشام[1] في علم اللغة ، وجمال بن سليمان[2] في علوم القرآن الكريم ، وفي الحديث القسطلانى[3] . وفي الفقه ابن بنت الأعز[4] . كما شهد الأزهر علماء قادمين إليه مثل القزوينى .

خامساً : طبيعة الشعب المصري:

تميز الشعب المصري على مدى العصور التي مرت به بحبه للضيوف ، وإكرامه لهم ، وبالتالي لم يشعر أي أفريقي بالغربة ، بل كان يحس بأنه بين قومه وعشيرته ، لذا كان من الطبيعي أن يفضل هؤلاء الأفارقة القدوم لمصر ، والتعلم في الأزهر الشريف ، ومنهم من كان يختار مصر إقامة دائمة له ، حتى بعد انتهاء دراسته .

تلك كانت أبرز إنجازات الأزهر الشريف في الممالك الإسلامية في أفريقيا ، والتي قامت بتغيير نمط الحياة بها ، وطبعها بالطابع الإسلامي .

1 – انظر ترجمته في الفصل الأول . ص57 .

2 – جمال الدين: محمد بن سليمان واشتغل بالتدريس في الأزهر ، وكان من المفسرين ، له كتاب الخصائص وتوفي عام 698هـ/ 1298م . انظر محمد زغلول سلام: الأدب في العصر المملوكي ، دار المعارف ، القاهرة ، 1971م ، ص157ج1.

3 – القسطلاني: شرف الدين أحمد بن علي ، ولد عام 648هـ/ 1250م بمصر تلقى علومه في قوص ، والقاهرة ، توفي عام 714هـ/ 1314م . انظر ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج7 ص223.

4 – ابن بنت الأعز: عبدالوهاب بن خلف ، قاضي القضاة ، تولى التدريس بالأزهر توفي عام 695هـ/ 1295م . انظر ابن تغري ، والمصدر السابق ، ج3 ، ص223.

10 - الدور العلمي والتعليمي للأزهر بعد عصر المماليك

لم يتوقف عطاء الأزهر العلمي والتعليمي في أفريقيا على عصر المماليك فقط ، بل تعداه إلى العصور الحديثة . وكانت أبرز هذه الإنجازات هي:

أولاً : استقبال الدارسين من أبناء أفريقيا :

واصل الأزهر استقباله لطلاب العلم الأفارقة من كافة أنحاء أفريقيا ، فعلى سبيل المثال في عهد دولة سنار[1] وفي عهد سلطانها الشيخ عجيب بن الشيخ عبدالله جماع ، والذي تولى في الفترة من (970 - 1019هـ / 1536 - 1610م) أخذ الطلاب السودانيون يفدون إلى الأزهر الشريف لتلقِّي العلم .

وكانت هناك إجراءات تُتبع في إرسال هؤلاء الطلاب إلى الأزهر ، وهي أن يتم تلقي العلم أولاً على العلماء المحليين المقيمين في السودان ، ثم يتم إرسالهم إلى مصر لتلقي العلم . ومن أشهر هؤلاء العلماء الشيخ عمار بن عبدالحفيظ[2] .

ثانياً : إرسال العلماء الأزهريين للسودان :

كان من أبرز مظاهر الدور العلمي والتعليمي في الأزهر إرسال بعض العلماء المصريين لتعليم السودانيين . وكان من أبرز هؤلاء العلماء الشيخ محمد مصري القناوي ، وهو من مدينة إدفو بصعيد مصر . تتلمذ على يد الشيخ سالم السنهوري ، والشيخ يوسف الزرقاني . قدم للسودان في منتصف القرن العاشر الهجري الموافق السادس عشر الميلادي ، واستقر في مدينة بربر وأنشأ جامعاً في المخيرف . وله من المؤلفات المشهورة (الشرح على عقيدة السنوسي الصغرى) وكتاب (العشماوية) ورسالة في شرح البسملة . وقد تتلمذ على يده كثير من علماء السودان وقد بلغ عدد تلاميذه ما يقرب من 300 طالب ،

---

1 - عن دولة سنار انظر الفصل الثاني .

2 - عمار بن عبدالحفيظ : ولد بسنار وتلقى العلم في الأزهر في عام 1077هـ / 1666م ، ودرس العلوم الشرعية والعربية ، والعلوم النقلية . انظر محمد سليمان : مرجع سبق ذكره . ص 21 .

واشتهر منهم الكثيرمثل الشيخ محمد بن عيسى المعروف بسوار الذهب ، والشيخ محمد المضوي[1] .

ومن علماء الأزهر المصريين العالم محمد بن قرم الكيماني ، قدم للسودان في عام 970هـ/ 1563م وزار الجزيرة ، وسنار ، وبربر . ويعتبر من أوائل من قاموا بنشر المذهب الشافعي . ومن تلاميذه الشيخ عبدالله العركي ، والقاضي دشين ، والشيخ إبراهيم الفرضي[2] .

ثالثاً : إنشاء المؤسسات التعليمية:

ساهم الأزهر الشريف في إنشاء المؤسسات العلمية والتعليمية في القارة الأفريقية، فبجانب المؤسسات المعروفة مثل الكتاتيب ، والزوايا ، والخلاوي قام الأزهر بإنشاء مؤسسات علمية كان الغرض منها تأسيس وتجميع هذه المراكز المنتشرة في هيئات ذات كيان يخضع للوائح ونظم ، وكان من أشهر هذه المؤسسات المعهد العلمي بالسودان.

وتعود أهداف نشأة المعهد العلمي في السودان ، لرغبة انجلترا في منع الطلبة السودانيين من القدوم إلى مصر والالتحاق بالأزهر الشريف ، حتى لا تتسرب إليهم الروح الثورية ، ويتأثرون بالفكر الثوري السائد في مصر . ولذلك قررت استقدام مجموعة من العلماء المصريين للسودان لتطوير التعليم الديني ، وكان من نواة أعمالها إنشاء المعهد العلمي[3] .

وبعد وفاة الشيخ محمد البدوي عام 1911م ، خلفه في شياخة علماء السودان الشيخ أبو القاسم أحمد هاشم ، حيث قام بجمع العلماء الذين يدرسون في منازلهم ، ويدرسون

1 - محمد سليمان : المرجع السابق . ص 31 ، 32 .
2 - المرجع نفسه . ص 33 .
3 - محمد سليمان : مرجع سبق ذكره . ص 127 ، 128.

في المساجد المتفرقة في جامع أم درمان الكبير ، وقام بتأسيس المعهد العلمي . كما استصدر لائحة تنظيمية لهذا المعهد على غرار لائحة الأزهر ، كما قرر مناهج الأزهر لهذا المعهد . واستقدم الشيخ محمد شاكر والذي كان قاضياً للسودان في الفترة من (1900 – 1904م) لمعاونته في هذا العمل[1] .

1 – محمد سليمان : مرجع سبق ذكره . ص 127 ، 128 .

الفصل الرابع

الدور الاجتماعي لعلماء الأزهر في أفريقيا

1 - المشاركة في الاحتفالات الدينية.

2 - المساهمة في مقاومة البدع والخرافات والأمراض الاجتماعية.

3 - المساهمة في تطوير أساليب الحياة اليومية.

4 - علاقة العلماء الأزهريين بالطبقات الاجتماعية الأفريقية .

5 - الدور الاجتماعي للأزهر بعد عصر المماليك .

1 - المشاركة في الاحتفالات الدينية

تنوعت الاحتفالات الدينية الإسلامية في أفريقيا ، ما بين احتفالات سنوية مثل الاحتفالات بالعيدين وبليلة القدر[1] ، والمولد النبوي الشريف ، واحتفالات أسبوعية مثل احتفال يوم الجمعة ، كما تنوعت الاحتفالات الأخرى ، مثل الاحتفالات التي كانت تُقام بصفة شبه يومية في قصور السلاطين والحكام ، كما كانت رحلات الحج تعتبر من الأيام المشهودة في القارة.

وقد اهتم المسلمون في أفريقيا بالأعياد الدينية ، شأنهم في ذلك شأن جميع المسلمين في شتى بقاع الأرض ، وقد تميزت الاحتفالات الدينية التي كانت تُقام في القارة بطابع خاص ، من حيث طريقة الاحتفال ومن حيث المشاركة في الاحتفالات.

ففي الاحتفالات الخاصة بالعيدين والتي كانت تقام في بلاد الشمال الأفريقي ، كان الناس يحتشدون في الطرقات وهم مرتدون أفخر الملابس ، ثم يحضر السلطان وهو مُمْتطٍ صهوة حصانه ويسير أمامه جميع الأمراء [2]والقواد والخدَّام على أقدامهم ، ثم يحضرون صلاة العيد ، وبعد انقضاء الصلاة ينصرف كلٌّ إلى منزله .

بينما نجد في منطقة الغرب الأفريقي أن يوم العيد يتميز بطابع خاص ، حيث كان السلطان يخرج أيضاً ممتطياً ظهر جواده ، ومرتدياً الطيلسان الذي كان يرتديه في العيد فقط ، ويبدأ الجمع في التكبير والتهليل ، ثم تُنصَب خيمة للصلاة بعد وصول السلطان ، ثم يؤدى الجميع الصلاة ويستمعون للخطيب [3]ويمتد الاحتفال حتى العصر . وبعد العصر يجلس السلطان ويأتي رجال الحراسة بكافة أنواع الأسلحة للاستعراض أمام السلطان ويجلس حكام الأقاليم والقاضي والخطيب ثم يأتي الترجمان بنسائه الأربعة ويُنصب له

---

1 - ابن بطوطة: الرحلة ، ص445.

2 - المصدر السابق ، ص 20.

3 - نفسه ، ص 447 .

كرسى يجلس عليه ويعزف بآلة موسيقية ويغنى أغانى للسلطان ، ثم تقام ألعاب بهلوانية تسلية للسلطان كما كانت الأشعار تُلقَى بين يدي السلطان وكان الشعراء يرتدون ملابس على هيئة طيور ، ويلقون بأشعارهم التي كانت عبارة عن قصائد تحتوي على مواعظ . [1]

أما عن الاحتفال يوم الجمعة ، فقد كان يجد اهتماماً كبيراً في كافة الممالك الإسلامية . وقد وصف لنا ابن بطوطة صلاة الجمعة في سلطنة مقدشيو حيث ذكر طرق الاحتفال من حيث خروج السلطان في هذا اليوم لأداء فريضة الصلاة في موكب فخم ، حيث كانت تُضرب فوق رأسه القباب الحريرية الملونة ، وكيف كان يتوجه للمسجد وخلفه تُرفع أربع مظلات ملوَّنة على كل مظلة طائر من ذهب ، كما كانت تُضرب الطبول بين يدي السلطان وتسير الجنود أمامه وخلفه وبصحبته القاضي والفقهاء[2]. كما ذكر ابن بطوطة مدى حرص أهالي القارة الأفريقية على أداء صلاة الجمعة ، ووضح مدى حرص الفقراء على نظافة ملابسهم لدرجة أنه من كان لا يملك إلا ثوباً واحداً اهتم بغسله ليحضر به صلاة الجمعة [3] .

كما كان شهر رمضان يجد احتفالاً كبيراً به ، خصوصاً في ليلة السابع والعشرين من رمضان حيث كانت توزع الصدقات فيها على الفقراء ، وكان يحضر الاحتفال بهذه الليلة السلاطين والعلماء والعامة ، وكانت تجمع بين هذه الاحتفالات خصائص مشتركة وهي عبارة عن إلقاء الخطب والمواعظ وعرض الحاجيات على السلاطين [4]

وقد كان العلماء الأزهريون يشاركون في هذه الاحتفالات وكانت مكانتهم فيها تقع بجوار السلاطين والأمراء وإن كانت المصادر لم تذكر أسماء على وجه التحديد ، لكن الشيء الذي يجعلنا ننسبهم إلى الأزهر هو كثرة عدد العلماء الذين تلقوا التعليم في الأزهر وكانوا أصحاب مكانة عالية . وكان هؤلاء العلماء الأزهريون يقومون بالدور الرئيسي في

---

1 - ابن بطوطة : الرحلة ، ص 448 .

2 - المصدر السابق ، ص 484 .

3 - نفسه ، ص 450 .

4 - نفسه ، ص 445 ، 447 .

تلك الاحتفالات ، فهم الذين يقومون بإلقاء الخطب والمواعظ في أيام العيدين ، وصلاة الجمعة ، وكان يسمح لهؤلاء العلماء الأزهريين تقديراً لهم ولدورهم بارتداء الملابس المشابهة لملابس هؤلاء الحكام ويسمحون لهم بمرافقتهم في مواكبهم [1] كما سبق القول .

ومن الاحتفالات التي كانت تجد لها صدى واهتماماً من قبل الحكام والمحكومين رحلة الحج ، حيث كان يتم الاحتفال بها والتجهيز لها قبلها بفترة ، ثم يحتفل لها أيضاً بعد أداء هذه الفريضة . وقد تركت لنا رحلات الحج التي كان يقوم بها الحكام والرعية لوحة خالدة تبين لنا مدى الاهتمام بهذه الشعيرة من شعائر الإسلام .

ولعل رحلة حج (منسا موسى) سلطان مالي من أشهر الرحلات التي قامت بذكرها كتب التاريخ [2] حيث قام موسى بأداء هذه الفريضة في عام 725 هـ / 1324م وصحب معه في هذه الرحلة عدداً كبيراً يصل إلى الآلاف [3] من أفراد الحاشية ومعهم علماء الأزهر من أبناء بلده ، كما حمل معه كمية كبيرة من الذهب كانت تعادل حمل أربعين بغلاً[4] ، وقد كان منسا موسى جواداً كريماً حيثما حل فكان يقوم بإهداء الذهب ، مما كان له الأثر في أن يقع في شَرَك الديون ، مما جعله يضطر للاقتراض من بعض التجار المصريين لكي يستطيع العودة بعد ذلك إلى بلاده . [5]

كما أن العلماء الأزهريين لم يتوقف دورهم على مجرد إلقاء الخطب والمواعظ والمشاركة في الاحتفالات الدينية فقط ، بل ساهموا في مقاومة الأمراض الاجتماعية التي كانت منتشرة بين السكان في ذلك الوقت بكافة الوسائل التي كانت متاحة لهم .

---

1 – ذكر ابن بطوطة أنه في صلاة الجمعة في سلطنة مقدشو كان يسير الجميع حافياً عدا السلطان والعلماء : الرحلة ، ص 170 ، 171 .

2 – من كتب التاريخ التي ذكرت وتحدثت عن رحلات الحج التي قام بها الملوك وخصوصاً رحلة الحج التي قام بها منسا موسى كتاب المقريزي : التبر المسبوك .

3 – السعدي : تاريخ السودان ، ص 7.

4 – محمود كعت : الفتاش ، ص 36 .

5 – مادهو بانيكار: الإسلام والوثنية ، ترجمة أحمد فؤاد ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 1998 ، ص 105.

2 - المساهمة في مقاومة البدع والخرافات والأمراض الاجتماعية

انتشرت في أنحاء الممالك الإسلامية في أفريقيا بعض العادات والأمراض الاجتماعية المرذولة . وقد حاول علماء الأزهر جاهدين القضاء على هذه العادات والأمراض . وقد جانبهم التوفيق أحياناً وأحياناً أخرى كانوا يجدون صعوبة في القضاء عليها ، وكان سبب هذه الصعوبات التي يواجهها العلماء في القضاء على هذه العادات ارتباط معظم هذه العادات والأمراض الاجتماعية بالتقاليد الأفريقية ، وأيضاً نتيجة لجهل السكان ببعض القيم الإسلامية بالإضافة لحداثة عهد بعضهم بالإسلام[1].

وكان من أبرز الأمراض الاجتماعية التي ظهرت في شمال القارة انتشار السرقة وقطع الطريق . وقد اشتهر بها أهالي مدينة قابس نظراً لوجودهم في بادية بعيدة عن العمران ، حتى أنهم لايعتبرون السرقة عيباً ، كما كثر بينهم الاعتداء على الجيران دون مراعاة حرمة الجيرة[2].

كما أن جرائم القتل قد تفشت أيضاً في مناطق الشمال وخصوصاً في مناطق السوس بالمغرب الأقصى ، فقد ذكر القلقشندي أن قتل الإنسان عند هؤلاء كان كذبح العصافير ، بل وصل الأمر نتيجة حبهم للقتل أن أصبح عندهم بمثابة عمل يفتخرون به ، وكلما كثر عدد القتلى كان ذلك مدعاة للفخر[3].

ولم تتوقف العادات والأمراض المرذولة في الشمال عند حد السرقة والقتل فقط ، بل وصلت لصفات أخلاقية أخرى مثل البخل الذي انتشر بينهم ، وحب التنافس والادعاء بالكرم ، وهذه صفات كانت تنتشر بين الطبقات الفقيرة من السكان[4].

---

1 - ود ضيف الله : الطبقات ، ص 5.

2 - ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 72.

3 - القلقشندي : صبح الأعشى ، ج 5 ، ص 178 .

4 - المصدر السابق ، ج 5 ، ص 178.

العادات في بقية أنحاء القارة :

أما بالنسبة لبقية مناطق القارة ، فتعددت الأمراض الاجتماعية بينهم ، ولعل من أبرز هذه العادات عادة السحر الذي انتشر بينهم ، لدرجة أن أصبح للسحرة نفوذ كبير بين السكان لدرجة أنهم كانوا أحياناً يأمرون بقتل أحد الناس فيطيعونهم بسهولة . وكان السلاطين في أوقات كثيرة يستجيبون لتحريض العلماء ومنهم علماء الأزهر بقتل هؤلاء السحرة [1]

ولعل من أبرز الصفات المرذولة بين هؤلاء الناس ما شاع بين النساء من سيرهن غير محجبات ، وهذا عمل غير لائق بالنسبة للشريعة الإسلامية ، ولم يتوقف الأمر عند حد سيرهن غير محجبات بل تعدى الأمر إلى تحررهن الزائد وعدم احتشامهن [2] مما حدا بالسلطان أسكيا محمد أن يستشير العلماء في هذه المسألة نتيجة لانتشارها الزائد عن الحد[3] أما الجواري في قصور السلاطين فكن يسرن بدون ملابس [4] .

كما انتشرت عادة قبيحة وهي قيام النساء المطلقات بشراء أزواج لهن ، أي دفع أموال لهم كي يتزوجوهن [5]

كما وُجدت في بعض البلاد الإسلامية مثل سلطنة مالي عادة قبيحة وهي عدم غيرة الزوج على زوجته حتى لو وجدها في خلوة مع رجل أجنبي مما شاهده ابن بطوطة بنفسه وعند القاضي . [6]

---

1 – لم يذكر القلقشندي عالماً أزهرياً أمر بقتل السحرة ولكن بالطبع مادام كان يوجد علماء يحرضون السلاطين على قتل هؤلاء السحرة فلابد أن يكون منهم عالم أزهري نظراً لكثرة العلماء الأفارقة الذين تعلموا في الأزهر . انظر القلقشندي : صبح الأعشى ، ج 5 ، ص 291 .

2 – ابن بطوطة : الرحلة ، ص 443 .

3 – المغيلي : نفس المصدر ، ص 63.

4 – ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 450 .

5 – هوارد : الرحلات في غرب أفريقيا ، ترجمة عبدالرحمن الشيخ ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1996م ، ص43.

6 – المصدر السابق ، ص 450.

وكان هذا الأمر يحدث أيضاً في سلطنة دارفور حيث كانت الفتيات يُعطين قدراً من الحرية لدرجة أن تقوم الفتاة باستقبال من تحب في حجرتها المخصصة لها من منزل الأسرة [1] .

كما انتشرت الفواحش وخصوصاً في المناطق البعيدة عن المدن دون أن تجد معارضة من أحد ، لدرجة أنهم كانوا يعتبرونها من العادات المقبولة اجتماعياً [2].

ومن العادات السيئة ، التي كانت بين السكان حتى على مستوى الحكام ، عادة إهداء الملوك الفتيات الحسان ، حيث كان إذا رُزق أحد السكان بفتاة حسناء كان يقدمها للملك ويتقبلها الملك كهدية [3] .

كما انتشرت عادة الإفراط في تعدد الزوجات ، وكانت هذه العادة منتشرة بين الحكام إذ كانوا لايكتفون بزوجةواحدة أو حتى أربع كما في الشرع [4] بل نراهم يفرطون في التعدد .

ومن العادات السيئة التي انتشرت في غرب القارة الأفريقية الغش التجاري في المكاييل والموازيين وأخذ السلع بالآجال دون سداد أثمانها [5] وعدم الاستبراء [6] في البيع أقصد بيع الجواري .

يضاف إلى ذلك تلك العادة القبيحة والغير إنسانية ، ألا وهي تجارة الرقيق التي انتشرت كالنار في الهشيم في معظم أنحاء القارة دون استثناء ، وكانت تتم بطريقة

---

1 - التونسي : تشحيذ الأذهان ، ص 219.

2 - المغيلي : مصدر سبق ذكره ، ص 62 ، 63.

3 - القلقشندي : نفس المصدر ، ج 5 ، ص 296.

4 - هوارد : نفس المرجع ، ص 43.

5 - المغيلي : مصدر سبق ذكره ، ص 63.

6 - الاستبراء : هو إعلان أن الجارية لاتحمل ولداً حتى لا يتنازع عليه مستقبلاً . انظر المغيلي : المصدر السابق ، ص 63 - 66 .

خطف الأولاد من ذويهم وبيعهم في أسواق الرقيق التي كانت منتشرة في كثير من أنحاء القارة[1] يتساوى في ذلك شرقها ، وغربها ، وشمالها ، لدرجة أنها أصبحت تجارة منظمة تحكمها قواعد وأعراف ، وكانت توجد مراكز لتجميع هؤلاء العبيد وبيعهم بطريقة لاإنسانية [2].

أما العلماء الأزهريون فلم يقفوا مكتوفي الأيدي تجاه هذه الأمراض ، وكانت وسائلهم في مقاومة تلك الآفات تختلف حسب المتلقين ، بالنسبة للمسلمين كان من السهل إقناعهم بترك هذه العادات ، أما غير المسلمين فكانوا مجرد دخولهم الإسلام يبدأون في التخلي عن هذه العادات ، ويكفي للتدليل على ذلك وكما ذكر السير توماس أرنولد (أن مجرد الدخول في الإسلام يدل ضمناً على الترقي في الحضارة وإنه خطوة متميزة في تقدم القبيلة الزنجية عقلياً وخلقياً) [3]وضرب السير توماس أرنولد مثالاً آخر يدل على مدى تأثير علماء الأزهر في تغيير نمط الحياة في القارة الأفريقية وخصوصاً العادات والتقاليد ما ذكره من أن أحد الرحالة وهو « جوزيف سومسون » زار منطقة السودان الأوسط ولاحظ تحسُّناً في نوعية الملابس التي كان يرتديها السكان فقد أصبحت أكثر احتشاماً[4]وتدل على الوقار وهذا ناتج بلا شك عن جهود العلماء الأزهريين .

أما إذا أعيت العلماء الحيلة في إقناع هؤلاء الأفارقة فكانوا يلجئون للحكام ويحرضونهم على القضاء على هذه العادات باستخدام النفوذ والقوة ، مثال ذلك تحريضهم للسلاطين بقتل السحرة [5] نظراً لخطورة هؤلاء ونفوذهم الكبير لدى الناس.

وكان بعض السلاطين يستعينون بعلماء الأزهر ويراسلونهم ويستفتونهم في أحكام

---

1 - الإدريسي : نزهة المشتاق ، ص 24.
2 - المصدر السابق ، ص 26.
3 - توماس أرنولد : الدعوة للإسلام ، ص 396.
4 - المرجع السابق ، ص 373.
5 - القلقشندي : صبح الأعشى ، ج 5 ، ص 291.

الدين في بعض العادات التي انتشرت في القارة ، ومثال ذلك الأسكيا محمد الذي راسل السيوطي والمغيلي يسألهم عن حكم الشرع في بعض الأمور التي كانت تسود في تلك الأماكن فقاما بتوضيح ما يجب على الأسكيا فعله في مقاومة تلك العادات[1].

ولكي لا نكون مبالغين وحتى نستطيع تقييم دور علماء الأزهر يجب الذكر أن العادات التي كانت تتعارض مع الإسلام ، يمكن محو بعضها بالوعظ والقدوة ، ولكن العادات التي ارتبطت في أذهان الناس بالعادات والتقاليد كانت صعبة المقاومة واستمرت فترة كبيرة حتى العصر الحديث . فقد أشار الرحالة الذين زاروا بلاد غرب أفريقيا في العصر الحديث إلى استمرار بعض هذه العادات مثل شراء المطلقات الأزواج . [2]بمعنى دفع أموال لهم لكي يتزوجوهن (كما سبق القول) . وقد ظلت هذه العادات فترة كبيرة دون أن تُمحى .

وبقاء هذه العادات ردحاً كبيراً من الزمن لا يقلل من جهود العلماء في القارة ، بل يكفي أنهم أصلحوا العادات الخارجة عن الدين بل أصلحوا كل ما يتصل بجوانب الحياة اليومية من حيث الطعام والمسكن والملابس وأصلحوا من مكانة الأسرة في المجتمع ، وأدخلوا عادات جديدة تتعلق بحياة الأفارقة اليومية . وباختصار ساعدوا على تحويل المجتمع الأفريقي من مجتمع بدائى لمجتمع متحضر كان لا يقل في التحضر عن أقرانه في كافة أرجاء العالم الإسلامي [3] .

وقد حاول علماء الأزهر إصلاح تلك الأوضاع الاجتماعية بقدر جهدهم وكان يحالفهم الحظ أحياناً في تغيير أنماط تلك الحياة اليومية ، وأحياناً كان ينالهم الإخفاق، [4]

---

1 – انظر في ذلك : رسالة المغيلي ورسالة السيوطي للأسكيا محمد .

2 – هوارد : مرجع سبق ذكره ، ص 43.

3 – توماس أرنولد : مرجع سبق ذكره ، ص 377.

4 – ذكر بعض الرحالة أن وضع النساء في بعض المجتمعات ورغم الحرية الشديدة التي كن يتمتعن بها ظللن يعانين من عبودية في أداء الواجبات المنزلية ، ولكن لايجب أن يؤخذ هذا الكلام على علاته فكون المرأة ملتزمة بشئون منزلها لا يعني بالضرورة أن تكون في عبودية . انظر هوارد : المرجع السابق ، ص 44.

ونجحوا في جعل وراثة الملْك في الأبناء وليس في أبناء الأخوات [1] والبنات كما حدث في سلطنة صنغي ، بالإضافة لإجبار نساء الطبقات العليا على ارتداء الحجاب [2] والنهي عن مخالطة الأجانب لأنه يتنافى مع تقاليد الإسلام . وقد نصح ابن بطوطة بذلك لقاضى سلطنة مالي [3] .

كما أن العلماء الأزهريين لم يكونوا بمعزل عن الطبقات الاجتماعية في أفريقيا بل اندمجوا فيها وكانت علاقة هذه الطبقات بهم علاقات في مجملها التقدير لهؤلاء العلماء والتأثر بهم ومحاولة إشراكهم في شئون الحياة المختلفة .

1 – السعدي : مصدر سبق ذكره ، ص 12 – 15.

2 – مادهو يانيكار : مرجع سبق ذكره ، ص 135.

3 – ابن بطوطة : مصدر سبق ذكره ، ص 45 .

3 - المساهمة في تطوير أساليب الحياة اليومية

أولاً : الطعام والشراب :

تنوعت ألوان الأطعمة التي كان يتناولها الأفارقة من حيث أنواعها وإن كانت قد تميزت بخاصية تجمعها ألا وهي البساطة في طريقة إعداد الطعام أو في تناوله ، أو في نوعية الطعام . كما كان الطعام يختلف حسب البيئة سواء كانت بيئة حضرية أو بدوية . فالطعام عند القبائل البدوية التي تعيش في الصحراء ، كان يتكون معظمه من اللبن الطازج في الصباح ، أما وجبة العشاء فكان يُقدَّم فيها اللحم المقدد . أما طريقة تناول الطعام فكانت تتم باليد دون استخدام ملاعق أو غيرها من الأدوات [1].

وبالنسبة لطعام منطقة أهل الغرب الأفريقي فكان عبارة عن تناولهم الذرة والأسماك والألبان الطازجة كما كانوا يعتمدون أكثر على محصول هو نوع من أنواع الذرة لصناعة لون من ألوان الأطعمة كانت تسمى بالعصيدة ، وقد أكل منها ابن بطوطة ، وكادت أن تتسبب في هلاكه [2] لأنه غير معتاد على أكلها كما كانت تُقدَّم اللحوم المقددة والغرتى [3] .

كما وصف لنا ابن بطوطة ألوان الطعام في منطقة الشرق الأفريقي لدى زيارته لسلطنة مقديشو وبلاد الزيلع ووصف بإسهاب طريقة إعداد تناول الطعام هناك كما وصف لنا نوعاً من المأكولات وهو عبارة عن الأرز المطبوخ بالسمن ، مع إضافة لحوم الدجاج والسمك إليه ووضعه في صحاف خشب كبيرة بالإضافة لنوع آخر من الطعام وهو طبخ الموز في اللبن وإضافة عصير الليمون والفلفل عليه . كما ذكر لنا ابن بطوطة عادات أهالي الشرق الأفريقي في تناول الطعام ، وذكر أنهم يتميزون بحب الطعام والشراهة في تناوله [4] .

---

1 - الحسن الوزان : وصف أفريقيا ، ص 67.

2 - ابن بطوطة : الرحلة ، ص 444.

3 - الغرتى : نوع من الثمار طعمه حلو ويستخدم في القلي . انظر المصدر السابق ، ص 443 .

4 - ابن بطوطة : نفسه ، ص 67.

ومن المشروبات التي كانت سائدة في القارة مشروب الدفنو وكان منتشراً في منطقة غرب أفريقيا ، وهو عبارة عن إضافة الذرة المجروشة إلى الماء والعسل[1] كما عُرِف في بلاد دارفور المزر وهو المسمى في مصر بالبوظة وأم بليل وهو النبيذ الأحمر [2] .

أما عن جهود علماء الأزهر في تغيير الأطعمة والأشربة الغير حسنة فلا يمكن أن ندعي أنها قد ألغيت تماماً ولكن كان يُراعَى عند حضور العلماء ومنهم العلماء الأزهريون أي احتفال عدم تقديم المشروبات المسكرة [3] ، وقد كانت جهود العلماء عبارة عن تغيير العادات المتعلقة بتناول الطعام كحثِّهم على غسل الأيدي قبل الأكل وبعده ، وذِكْر البسملة عند البدء في تناول الطعام ، والأكل مما يلي الإنسان ، ونظافة الأواني التي يُقدَّم فيها الطعام ، وعدم شرب المحرم من المشروبات ، مع غرس قيم إسلامية فيهم مثل الكرم [4] والترحيب بالضيوف حتى في الأماكن التي كانت تتميز بوجود تقشف في طبيعة الحياة . كما كان من نتائج مشاركة العلماء للأفارقة في الطعام الاهتمام بإقامة الولائم والمشاركة فيها مع جميع طوائف الشعب [5].

ثانياً : الملابس :

للملابس وظيفة اجتماعية فهي تدل على الوضع الاجتماعي والاقتصادي لصاحبها، أو تدل على انتمائه ، لذا تنوعت الملابس طبقاً للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية . وهذا القول ينطبق على القارة الأفريقية التي تنوعت فيها البيئات الاجتماعية كما شهدت أيضاً تغييرات اقتصادية وطبيعية .

فملابس البدو سكان الصحارى كانت تتميز بالبساطة ، وهي عبارة عن قطعة من

---

1 - ابن بطوطة : نفسه ، ص 452.
2 - التونسي : تشحيذ الأذهان ، ص 231.
3 - التونسي : مصدر سبق ذكره . ص 231.
4 - الحسن الوزان : وصف أفريقيا ، ص 97.
5 - المصدر السابق ، ص 68.

قماش الصوف يلفونها حول الجسم ، بالإضافة لعمامة كبيرة حول الرأس . هذا بالنسبة لملابس البدو العاديين ، أما بالنسبة لأشراف البدو فكانوا يرتدون اللثام الأسود [1] الذى كان يغطي الوجه عدا العينين . [2] وبالنسبة للملابس كانوا يرتدون قمصاناً بأكمام عريضة من قماش قطني أزرق اللون[3] أما ملابس النساء البدويات فكانت تتكوَّن من ثوب عريض الكُمَّين ، بالإضافة للخمار الذي كان يغطي الرأس ويربط طرفه على الكتف بمشبك ودبابيس لكي تمسكه [4] .

أما بالنسبة لمنطقة الغرب الأفريقي فتميزت أيضاً الملابس بالبساطة وإن اختلفت حسب الطبقات ، فملابس أهل كوكو مثلاً كانت تُصنع من الجلد[5] وكان تصميمها بسيطاً يكفي أن يغطي العورة هذا بالنسبة للطبقات الفقيرة ، أما طبقة التجار والأغنياء فكانوا يرتدون الملابس المصنوعة من القطن ، ويرتدون القلانس على رؤوسهم كما كانوا يتزينون بالذهب[6] ، أما الملوك فكانوا بالإضافة لتلك الملابس يرتدون السراويل والنعال[7] بينما وجدت أماكن بعيدة عن العمران كان السكان لايرتدون أيَّ نوع من الملابس [8] .

أما مناطق شرق القارة في سلطنة مقديشو فقد اختلفت الثياب أيضاً كما تميزت بتعددها ، وكانت الملابس عبارة عن فوطة يشدها الإنسان في وسطه ، ويرتدي عباءة مصنعة من الثياب المصرية ، ويلفون العمائم أيضاً على رؤوسهم[9] .

---

1 - عن عادة اللثام الأسود : انظر هامش رقم (4) ، الفصل الثانى.
2 - الحسن الوزان : مصدر سبق ذكره ، ص 68.
3 - الحسن الوزان : نفسه ، ص 67.
4 - نفسه ، ص 73.
5 - الإدريسي : نزهة المشتاق ، ص 28.
6 - المصدر السابق ، ص 28.
7 - الإدريسي : نفسه . ص 24 .
8 - الحسن الوزان : نفسه . ص 553.
9 - ابن بطوطة : الرحلة ، ص 170 .

أما عن دور العلماء الأزهريين في هذا الجانب من جوانب الحياة اليومية ونتيجة لكثرة حثّهم للسكان على الطهارة وأداء الصلاة في مواقيتها فقد أصبح هؤلاء السكان يهتمون بنظافة الملابس ونتيجة لحثهم الناس على أن يستتروا ونتيجة لمقاومتهم لعادة العري في هذه الأماكن فقد أصبح الناس يرتدون الملابس دليلاً لحثهم على النظافة كان الأفريقي الذي لايملك إلا ثوباً واحداً بالياً يهتم بغسله وتنظيفه ليحضر به صلاة الجمعة [1] لأن الإسلام يأمر بطهارة البدن والثوب .

ثالثاً : المسكن :

كان يراعى في تصميم المساكن ملائمتها للبيئة وطبيعة الحياة ، لذا نجدها تختلف من مكان لآخر في القارة طبقاً لاختلاف البيئة . فمثلاً في منطقة الشمال الأفريقي حيث تنوعت البيئة ما بين صحراوية إلى بيئة حضرية نجد اختلافاً في نمط المساكن والمباني ففي المناطق الصحراوية وحيث تعيش القبائل ، وكانت المساكن عبارة عن خيام مصنوعة من وبر الجمال ومن ألياف كانت تؤخذ من النخيل ، كما كانت تلك الخيام تفرش في الداخل بحُصر ناعمة[2]. مصنوعة من قش الخيزران الناعم [3]وبالنسبة للمناطق الحضرية كانت المباني تُبنى من الأحجار ومواد البناء الأخرى كالأخشاب ، كما كانت المدن تحتوي على أسواق مسقوفة بالإضافة لتمتعها بطرق فسيحة[4].

أما البيوت في منطقة الغرب الأفريقي ، فكانت تعتمد اعتماداً كبيراً على الخامات المحلية المتوافرة بكثرة مثل الطمي الذي كان يُصنع منه الطوب اللازم للبناء .

كما يلاحظ على هذه المساكن أنها ذات طبيعة دفاعية ، حيث كانت تحاط بالأسوار، وكانت المساكن عبارة عن أكواخ مستديرة مبنية من أعمدة طينية وسقفها مخروطي

---

1 - ابن بطوطة : الرحلة ، ص 450.

2 - الحسن الوزان : المصدر السابق ، ص 67.

3 - المصدر السابق : ص 67 .

4 - Brimingham : Islam in west Africa ، oxford ، 1962 ، p.68.

الشكل [1] كما كان يغلب عليها اللون الأبيض ، ويستخدم في بنائها مادة تخلط بمادة دهنية فتصبح قوية وأقدر على التماسك [2] .

أما بالنسبة للمبانى الحجرية في تلك المناطق فكانت تتميز بها العمائر الدينية وقصر الحاكم بالإضافة لبيوت كبار التجار والأثرياء . والذي أدخل هذا النوع في البناء في منطقة غرب أفريقيا هم الغرباء الذين قدموا مع السلطان منسا موسى بعد عودته من رحلة الحج المشهورة [3] كما كانت تُلحق بالمدن أسواق تتميز بوجود طرق واسعة للمرور [4].

أما بالنسبة لمنطقة الشرق الأفريقي ، فقد زار ابن بطوطة سلطنة كلوة ووصف لنا طبيعة المنازل وذكر أنها تُبنى من الخشب ، كما ذكر طبيعة الطرقات والأسواق بالمدينة ، كما وصف أيضاً مساكن سلطنة مقديشو وشوارعها [5].

رابعاً : الأسرة :

تميَّز المجتمع الأفريقي بأنه مجتمع أموي ، السلطة فيه كانت للأم ، لذا كان من الطبيعي أن يحتل مجتمع المرأة مكانة كبيرة في هذا المجتمع على المستوى الأسري ، كما حظيت المرأة الأفريقية بحرية شديدة وصلت إلى التسيب الخلقي ، فمثلاً في قبائل الطوارق التي كانت تعيش في الصحراء الكبرى ورغم التشدد المعروف في طبيعة هؤلاء البدو إلا أنهم كانوا يتركون لنسائهم الحرية الشديدة في محادثة ومخالطة الغرباء داخل بيوتهن وأمام الأزواج [6] كما كانت المرأة تسير سافرة الوجه [7].

---

1 - الحسن الوزان: وصف أفريقيا ، ص 540.
2 - ابن بطوطة : الرحلة ، ص 443.
3 - الحسن الوزان : المصدر السابق ، ص 540.
4 - Brimingham : op.cit.p.68.
5 - الحسن الوزان : نفسه ، ص 69.
6 - نفسه ، ص 69.
7 - ابن بطوطة: المصدر السابق ، ص 443.

كما لعبت المرأة دوراً هاماً في الحياة السياسية . فقد كان لنساء السلاطين والحكام سلطة وكُنَّ يعملن كمستشارات للملك، كما كانت أم الملك تلقب بالملكة الأم (مادجيرا) كما تركْنَ للنساء الحرية أيضاً في مصاحبة أزواجهن أثناء السفر أو تركه [1] .

أما بالنسبة للأطفال فقد كانوا يُنسبون للأم حيث إنها كانت تتولى شئون الأسرة ، ولذا ارتفعت مكانة الخال في المجتمعات الأفريقية ، كما أن الرجال لا يرثون إلا أبناء أخواتهم بل كان الملوك لا يولون أبناءهم ولاية عهدهم بل كان ذلك لأبناء أخواتهم أو بناتهم[2].

وقد حاول علماء الأزهر إصلاح تلك الأوضاع الاجتماعية بقدر جهدهم وكان يحالفهم الحظ أحياناً في تغيير أنماط تلك الحياة اليومية وأحياناً كان ينالهم الإخفاق [3]. فقد أصبح توارث الملك في الأبناء وليس في أبناء الأخوات أو البنات [4] ، كما وجدت في سلطنة صنغي ، بالإضافة لإجبار نساء الطبقات العليا على ارتداء الحجاب.[5] والنهي عن مخالطة الأجانب لأنه يتنافى مع تقاليد الإسلام . وقد نصح ابن بطوطة بذلك قاضي سلطنة مالي [6] .

كما أن العلماء الأزهريين لم يكونوا بمعزل عن الطبقات الاجتماعية في أفريقيا بل اندمجوا فيها ، وكانت علاقة هذه الطبقات بهم علاقات في مجملها التقدير لهؤلاء العلماء ، والتأثر بهم ومحاولة إشراكهم في شئون الحياة المختلفة.

1 – ابن بطوطة : الرحلة ، ص 443.

2 – ذكر بعض الرحالة أن وضع النساء في بعض المجتمعات رغم الحرية الشديدة التي كُنَّ يتمتعن بها ظللن يعانين من عبودية في أداء الواجبات المنزلية ، ولكن لا يجب أن يؤخذ هذا الكلام على علاته ، فكون المرأة ملتزمة بشئون منزلها لا يعنى بالضرورة أن تكون في عبودية . انظر هوارد: مرجع سبق ذكره ، ص 44.

3 – السعدي : تاريخ السودان ، ص 12 : 15.

4 – مادهو بانيكار : مرجع سبق ذكره ، ص 135.

5 – ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 443.

6 – بانيكار : مرجع سبق ذكره ، ص 465.

4- علاقة العلماء الأزهريين بالطبقات الاجتماعية الأفريقية

قبل الحديث عن علاقة العلماء الأزهريين بالطبقات الاجتماعية الأفريقية التي تشكَّل منها المجتمع في أفريقيا ، يجب ذكر التركيب الطبقي للمجتمع في الممالك الإسلامية الأفريقية ، حيث يمكن التعرف على نوعية هذه العلاقات ومظاهرها التي كانت تسود هذا المجتمع الأفريقي ، وموقف العلماء الأزهريين منها ، فقد تكوَّن المجتمع الأفريقي من عدة طبقات وهي طبقات الحكام ، والعلماء ، والتجار ، والأحرار ، والرقيق . وفيما يلي حديث عن علاقة العلماء الأزهريين بكل منها .

أولاً : طبقة الحكام :

كانت هذه الطبقة تحتل قمة الهرم الاجتماعي في المجتمعات الأفريقية وتحتل المرتبة الأولى . ويأتي الملوك والسلاطين على رأس هذه الطبقة . وكان السلطان يعامل في أفريقيا الغربية على اعتبار أنه شيء مقدس وكان هذا بالنسبة للملوك الوثنيين [1] ، أما الملوك المسلمون فكانوا يُعاملون باحترام زائد ولذا كان يتم تعامله مع الرعية من خلال موظف حتى لايخاطب أي شخص مباشرة . وتلك النظرة المتعالية كان سببها تقديس الناس لهؤلاء الملوك ، كما كان من طقوس الدخول على الملك إهالة التراب على رأس الداخل ، مع تعفير اليدين وتسمى عادة التتريب حتى يظهر تقديره للملك [2].

ولكن بالنسبة لمنطقة الشمال والقرن الأفريقي فلم تكن هذه العادات لها مجال ويكمن السبب في ذلك قرب ممالك الشمال والشرق بالعالم الإسلامي مع تأثرهم به وانعدام المظاهر الوثنية في تلك الممالك ، كما أن عادة التتريب لم تكن مطبَّقة على العلماء فكان العالم إذا دخل على السلطان في غرب أفريقيا فإنه يكتفي بالتصفيق والدعاء للسلطان ، والسلطان يؤمِّن

1 - بانيكار : مرجع سبق ذكره . ص465.
2 - ابن بطوطة : الرحلة . ص447.

على دعائه . ثم يقرآن الفاتحة معاً [1] .

كما يلي الملوك في المرتبة طبقة الأمراء وكبار موظفي القصر ورؤساء الجند ، وكان من حق هؤلاء تولي الوظائف والمناصب العليا المدنية والعسكرية كما كان لهم حق السيادة على معظم طبقات الشعب وخصوصاً في سلطنات الغرب الأفريقي ، وكانت هذه الطبقة تملك العديد من الرقيق نتيجة لكثرة هبات السلاطين لهم ، كما تمتعوا بنفوذ وثراء كبير [2] . أما عن دور علماء الأزهر في تطوير عادات هؤلاء الحكام فكان يتم هذا الدور عن طريق وعظ هؤلاء وحثّهم على تحرير الرقيق ومعاملة الناس بالحسني ، ويتضح هذا الدور من خلال الخطابات التي كان يوجهها هؤلاء العلماء للسلاطين . وكانت هذه المراسلات عبارة عن أجوبة لأسئلة معينة تتعلق بالعادات أو عن طريق الوعظ المباشر [3].

ثانياً : طبقة العلماء :

كانت تتكون هذه الطبقة من العلماء الأزهريين سواء العلماء المحليين أو القادمين من الأزهر إلى هذه السلطنات والممالك .وكانت هذه الطبقة تتمتع بنفوذ كبير حيث كانوا يمتلكون الأراضي ويتولون المناصب العليا [4] ، كما كان هؤلاء العلماء يُعاملون بتقدير واحترام من مختلف الطبقات في المجتمع الأفريقي سواء كانت الطبقات الحاكمة أو المحكومة . كما كانت طبقة العلماء تتمتع بعدة امتيازات مثل إعفائهم من أداء الضرائب [5] وإعفائهم من تقديم الأموال لتجهيز الجيوش وغيرها ، كما كانت هذه الطبقة ترتدي ملابس خاصة بها [6] ، وأحياناً تتشابه ملابسهم مع ملابس الحكام . والسبب الرئيسي

---

1 - التونسي : تشحيذ الأذهان . ص408.

2 - بانيكار : المرجع السابق . ص474.

3 - انظر رسائل السيوطي لملك التكرور.

4 - من المناصب العليا التي كان يتولاها هؤلاء منصب القضاة والعمل كمستشارين للملك . لمزيد من التوضيح انظر ابن بطوطة : الرحلة ، ص 171.

5 - ابراهيم علي طرخان : امبراطورية البرنو ، ص 178.

6 - ابن بطوطة : المصدرالسابق ، ص 447.

لهذه المكانة التي كان يتمتع بها هؤلاء العلماء هو تقريب الحكام والسلاطين لهم . كما كانت لهم كلمة مسموعة بين الحكام .[1]

ثالثاً : طبقة التجار :

تمتعت هذه الطبقة بمكانة كبيرة نظراً لامتلاكهم الثروة ، بالإضافة لكونهم من ذوي الاتصال بالحكام ، وكان منهم من يتولى منصب رئاسة طائفة فكان يتم تعيينه من قِبَل السلطان ، كما كانوا يمتلكون عدداً كبيراً من الرقيق.[2] وعلى الرغم من عدم اشتراكهم في السياسة والتوجهات السياسية ، كان لديهم دور مؤثر في الحياة الاقتصادية ، كما قاموا بدور مؤثر في الحياة العلمية ، وهي إرسال الطلاب للتعلم في الجامع الأزهر وخاصة لأنه كان يوجد بينهم علماء[3] .

رابعاً : طبقة الحرفيين والفلاحين :

وهي طبقة عامة الشعب وكانت تتكوَّن من أصحاب الحرف والمهن والفلاحين وأيضاً الرقيق المحررين ، وقد عاشت هذه الطبقة في ظل ظروف قاسية بسبب إرهاقهم بكثرة الضرائب الباهظة وتعرضهم للاختطاف من جانب تجار الرقيق بالإضافة لإمكانية فقدانهم لحريتهم نتيجة الديون المتراكمة عليهم[4] ، مع عدم وجود إمكانية للترقى أو للعمل في المناصب الحكومية .

يضاف إلى ذلك أن هذه الطبقة هي التي تركزت فيها معظم العادات الأفريقية التي كانت لا تتفق وروح الإسلام ، كما أنها كانت تتعرض لكثير من عنت الحكام ، وفي الحروب وغيرها كانوا يتعرضون لتدمير ممتلكاتهم وأراضيهم .

---

1 - مادهو بانيكار : مرجع سبق ذكره ، ص 476.
2 - مادهو بانيكار: المرجع السابق ، ص 478.
3 - حسن إبراهيم حسن : مرجع سبق ذكره ، ص 26.
4 - بانيكار : مرجع سبق ذكره ، ص 478.

خامساً : طبقة الرقيق :

عرفت كل المجتمعات الأفريقية في الممالك الإسلامية نظام الرقيق ، ولم يخل أي مجتمع من هذه المجتمعات من الرقيق .

وكانت وسائل الحصول على الرقيق هي كثرة الحروب بين القبائل ووقوع الكثير في الأَسْر ، أو من خلال عملية البيع والشراء ، حيث كانت هناك تجارة منظمة للرقيق ، أو عن طريق الهبات . كما كان الرقيق أحياناً يكونون أحراراً عجزوا عن سداد ديونهم فأصبحوا عبيداً نتيجة لعجزهم عن السداد [1].

وقد انقسم الرقيق بدورهم إلى عدة فئات : الفئة الأولى هم رقيق القصر الملكى والذين يعملون في مزارع الملك أو الحاكم ، وهم أعلى مكانة من الرقيق الذين يخدمون في البيوت العادية . وكان لهؤلاء الرقيق الحق في الالتحاق بالوظائف العسكرية والمدنية ، وقد وصل بعضهم في الترقى لدرجة الضباط[2]. ويلى هؤلاء في المرتبة الرقيق الذين يحصلون على بعض الحقوق مثل حق الامتلاك وغيره وكان محرماً بيع هؤلاء الرقيق ، أما الرقيق الذين احتلوا المرتبة الثالثة فهم الذين يعملون في الحرف والمهن ، أما رقيق الفئة الرابعة فهم الرقيق الذين يعملون في خدمة البيوت العادية [3] أما عن علاقة علماء الأزهر بهذه الطبقات فكانت علاقات يميزها الاحترام الشديد لهؤلاء العلماء ، كما أن هؤلاء العلماء الأزهريين ارتبطوا أيضاً بالطبقات الأفريقية المختلفة وتنوعت مظاهر الارتباط ، ومن مظاهر علاقة العلماء بهذه الطبقات:

أولاً : احترام الملوك للعلماء وخاصة الأزهريين منهم :

كان الملوك يقدرون العلماء ويحترمونهم . وكان السبب في هذا الاحترام أن هؤلاء العلماء يمثلون الشريعة الإسلامية ويُعتبرون حراساً على الدين . وهناك أيضاً أسباب

---

1 - محمود كعت : الفتاش ، ص 12 : 14.

2 - مادهو بانيكار : المرجع السابق ، ص 478.

3 - نفسه ، ص 478.

أخرى لهذا الاحترام منها تكتل طبقة العلماء ووحدة تماسكها [1] ، ووقوفها ضد الحكام الظلمة ، مثل وقوفهم ضد ممارسات (سن علي) [2] فقد وقفوا ضد ممارساته بل عملوا على تشويه سمعته لدى المواطنين مما عرَّضهم لمحن كثيرة . وأيضاً رفضهم تولي المناصب عند استشعارهم الظلم من الحكام ، وأحياناً كثيرة كانوا لايوافقون على تولي منصب القضاء بل يتهربون منه[3]. كما أن ثراء العلماء من الناحية المالية جعلهم أحياناً أصحاب صوت أعلى من بعض الحكام الذين يلون السلاطين والملوك . [4]

ومن مظاهر احترام الملوك لعلماء الأزهر ، إعفاء العلماء من بعض العادات التي كانت تُتبع في مقابلة الملوك مثل عادة التتريب التي أشرنا إليها ، بل إن بعض الملوك كانوا يقومون وقوفاً واحتراماً للعلماء وحدهم ، وكانت التحية المخصصة للعلماء عند مقابلة الملوك هي وضع يده اليمنى على كتف الملك [5].

ومن مظاهر الاحترام التي كان يبديها الملوك أيضاً للعلماء الأزهريين مشاورتهم لهم وأخذ النصيحة منهم في بعض المسائل التي قد تعترض هؤلاء الحكام مثل المراسلات التي تمت بين اسكيا محمد الأول والعالم السيوطي ، وكان الحكام يستجيبون لتلك النصائح[6].

ثانياً : احترام الطبقات الأخرى للعلماء :

نظراً للمكانة التي تمتع بها العلماء الأزهريون وغيرهم بين الحكام ، ونظراً لكلمتهم المسموعة لدى هؤلاء الحكام ، كان الأهالي في أفريقيا يقدِّرون هؤلاء العلماء ويوقرونهم ، وكانوا يعتبرون العلماء حلقة وصل بينهم وبين الحكام لدرجة أن العلماء في أفريقيا احتلوا المكانة التي كان يحتلها الساحر ، وتتمثل هذه المكانة في الاحترام ، حيث كان الناس قبل

---

1 – مادهو بانيكار : الإسلام والوثنية ، ص 499.
2 – السعدي : تاريخ السودان ، ص 64.
3 – التنبكتي : تطريز الديباج ، ص 353.
4 – المصدر السابق ، ص 354.
5 – هوارد : مرجع سبق ذكره ، ص 42.
6 – القلقشندي : صبح الأعشى ، ج 5 ، ص 296.

ظهور العلماء يحترمون السحرة لأنهم كانوا يقومون بكتابة التمائم والتعاويذ[1] ، وقيام العلماء بهذه المهمة جعل الساحر غير ذي قيمة . كما كان للعلماء كلمة مسموعة بين هؤلاء الناس [2] .

وكان من الأشياء اللافتة للنظر هو عدم تعامل العلماء بتعالٍ مع الطبقات الأفريقية ، بل قووا هذه العلاقات بوسائل منها المصاهرة مع القبائل الأفريقية ، فتزوجوا من كافة الطبقات سواء الطبقات الحاكمة أو الطبقات الشعبية ، مما كان له الأثر في تقوية الروابط بين الفريقين . ويحكي لنا ابن بطوطة عن اثنين من العلماء الذين التقى بهما أثناء رحلته كان أحدهما متزوجاً من امرأة أفريقية هي بنت عم السلطان [3] ، ولم يذكر لنا عن العالم الثاني ممن تزوج ولكن كان متزوجاً أيضاً من امرأة أفريقية ويقيم معها ، وكان النسب أكثر ما يبدو ظاهراً ومنتشراً بين العلماء ذوى الأصول الافريقية نظراً لأنها أوطانهم الأصلية . أما العلماء القادمون من مصر فكان هذا الزواج غير منتشر بينهم نظراً لعدم إقامتهم الطويلة في تلك البلدان[4].

تلك كانت هي أبرز ملامح ارتباط العلماء بالطبقات الأفريقية مما ساعد على بروز دور العلماء الأزهريين في توجيه هذه المجتمعات تجاه القيم الإسلامية وصبغها بالصبغة الإسلامية . ولم يتوقف دور العلماء الأزهريين على الناحية الاجتماعيةفقط بل تعداه وتخطاه إلى التأثير في الناحية السياسية حيث برزت جهود العلماء في الحياة السياسية في أفريقيا وقاموا بدور رئيسى في توجيه تلك السياسة .

1 – توماس أرنولد : الدعوة للإسلام ، ص 297 ، 298.

2 – الحسن الوزان : وصف أفريقيا ، ص 97.

3 – اسم الذي تزوج ابنة عم السلطان هو محمد ابن الفقيه الجازولي ، كانت هذه الزوجة ترسل الطعام لابن بطوطة. انظر ابن بطوطة : الرحلة ، ص 440.

4 – وكان هذا الزواج منتشراً بين العلماء الأزهريين في منطقة الشمال الأفريقي ، حيث كان أغلبهم يطيب لهم المقام في تلك البلدان . انظر مثلاً زواج محمد بن الفقيه الجازولى . المصدر السابق ، ص 440 .

5 - الدور الاجتماعي للأزهر بعد عصر المماليك

ارتبط العلماء الأزهريون بالمجتمعات الأفريقية والتي كانت تنظر لهم بكل تقدير واحترام ، وقد قام هؤلاء العلماء بجهود كبيرة في المجال الاجتماعي بعد عصر المماليك ، وقد كان من أبرز هذه المجالات :

أولاً : رفع شأن المرأة :

على الرغم من أن المجتمعات الأفريقية اشتهرت بتقديرها للمرأة ، ووضعها في مكانة متميزة لعل من أبرزها نسب البعض إلى أمهاتهم . لكن الأزهر أعلى من شأن المرأة العلمي ، حيث قام علماء الأزهر بتعليم البنات حفظ القرآن الكريم ، وكانت الخلاوي تجمع بين الصبيان والفتيات . وكان من نتيجة ذلك ظهور عالمات في الفقه والعلوم الشرعية من أمثال فاطمة بنت جابر[1] ، وعائشة بنت محمد الفدال[2] ، وبتول الغبشة[3]، وأمونة بنت عبود[4] .

ثانياً : تنقية التصوف من الشوائب :

تلقّى الكثير من طلبة العلم الأفارقة دروسهم على يد علماء أزهريين متصوفة من أمثال شمس الدين اللقاني ، وناصر الدين اللقاني ، والشيخ الدردير ، والشيخ محمد عليش ، والشيخ إبراهيم الباجوري .

---

1 - فاطمة بنت جابر : هي أخت أولاد جابر الأربعة ، حفظت القرآن الكريم وهي في سن اثنتا عشرة عاماً ، وكانت تقوم بتعليم الصبيان في مسجدها بالدفار . انظر محمد سليمان : مرجع سبق ذكره . ص 96 ، 97 .

2 - عائشة بنت محمد الفدال: كان أبوها من علماء الفرائض . قامت بتأسيس مدرسة على النيل الأبيض لتعليم الطلاب ، من أشهر تلاميذها الشيخ خوجلي العالم السودانى . انظر المرجع السابق . ص 97 .

3 - بتول الغبشة : والدة الشيخ هجر ، وأخت الشيخ يعقوب . اشتهرت بإجادتها حفظ القرآن الكريم والتجويد ، وكان لها مدرسة خاصة بسنار ، كما اشتهرت بنسخ الكتب العلمية . المرجع نفسه . ص 97 .

4 - أمونة بنت عبود: كانت تقوم بتحفيظ القرآن الكريم ، وتدير مكتبين واحد للصبيان والآخر للفتيات ، وكانت تنفق عليهما من عملها بغزل القطن . نفسه . ص 97 .

وقد أرسى هؤلاء العلماء الأزهريون في نفوس طلبتهم السودانيين أصول التصوف الصحيح ، مما كان له الأثر الكبير في تنقية التصوف من البدع والخرافات التي لحقت به[1] .

ثالثاً : علاقة العلماء الأزهريين بطبقات المجتمع :

ارتبط علماء الأزهر بطبقات المجتمع الأفريقي ، ولم يعش هؤلاء العلماء في معزل عنها . وقد أسهموا في بناء كثير من النهضة في هذه المجتمعات ، وغرسوا في نفوس أبنائها الكثير من القيم والمباديء . وقد ظهر هذا الدور جلياً في إنشاء الصحف التي ساعدت على تنوير المجتمعات مثل صحيفة الرائد[2] .

رابعاً : تقدير المجتمع لعلماء الأزهر الشريف :

كان من نتائج قوة العلاقة بين علماء الأزهر والطبقات الأفريقية ، قيام كثير من الشعراء بالتغنى في أفضال أساتذتهم المصريين . وقد ظهر هذا النوع من الشعر في بلاد سودان وادي النيل منهم على سبيل المثال الشاعر السودانى عبدالله حسن الكردي ، حيث قال :

أهرامُهُم فَوْقَ السَّماءِ مَكَانَةً ... وَهُمْ مَيامِينُ الوَرَى أخْيَارُ

في كُلِّ جَامِعَةٍ لَهُمْ نشءٌ سَمَا ... بِذَكَاءِ فكْرٍ طَارَ مِنْه شَرَارُ

وَبِكُلِّ حَيٍّ لِلمعَاهِدِ ضَجَّةٌ ... فَالعِلْمُ بيْنَ رُبُوعِهِمْ أنهَارُ

أنَّى يحِيدُ الفَضْلُ عَنْ أوطَانِهِمْ ... وَالفَضْلُ ليسَ لَهُ سِوَاهُم دَارُ

---

1 - محمد سليمان : مرجع سبق ذكره . ص 91 .

2 - المصدر السابق . ص 118 ، 119 .

الفصل الخامس

الدور السياسي لعلماء الأزهر في أفريقيا

1 - موقع العلماء الأزهريين من السلطة والحكم في بلدان القارة المسلمة.

2 - علاقة العلماء الأزهريين بالحكام والسلاطين .

3 - دور العلماء الأزهريين في العلاقة بين الحكام والمحكومين.

4 - دورالعلماء الأزهريين في الحروب والقضاء على الفتن.

5 - دور العلماء الأزهريين في العلاقات الخارجية.

6 - الدور السياسي للأزهر في أفريقيا بعد عصر المماليك .

1 - موقع العلماء الأزهريين من السلطة والحكم في بلدان القارة المسلمة

احتل العلماء الأزهريون الصدارة من حيث السلطة في الممالك الإسلامية الأفريقية ، فقد تبوأ هؤلاء العلماء المناصب الهامة في تلك الممالك مثل وظيفة القضاء ، والتدريس ، والفتوى ، والعمل كمستشارين للسلاطين والحكام ، وفيما يلي استعراض لأهم الوظائف التي تولاها هؤلاء العلماء:

أولاً : وظيفة القضاء:

تعتبر وظيفة القضاء من أهم الوظائف التي عرفها العالم الإسلامي ، والسبب في أهمية هذه الوظيفة هي قيام صاحبها بتنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية ولذا وضعت لها شروط معينة لتولي هذا المنصب ، منها شرط العلم ، والعدل ، والكفاية [1] ولذلك كانت هذه الوظيفة وقفاً على العلماء الذين لهم باع كبير في الفقه الإسلامي. وكان من أهم واجبات هذه الوظيفة الفصل في الخصومات بين الناس ، وقطع التشاجر بينهم[2] كما نيط بهذه الوظيفة استيفاء الحقوق من المماطلين بها ، وأيضاً مراقبة الأعمال الخاصة بالقوامة على الأموال والإشراف على المنشآت الدينية ، وأيضاً الإشراف على بنائها [3].

ومن أشهر القضاة الذين أجازهم علماء الأزهر ، أو تعلموا في الأزهر ، وتولوا هذا المنصب (العاقب بن عبد الله) [4]. والعاقب محمد بن عمر [5] . وقد تولى المنصب أكثر

---

1 – من شروط تولي القضاء أيضاً الذكورة ، والبلوغ ، والعقل ، والإسلام.انظر الماوردي: الأحكام السلطانية. ص83 ، 84.

2 – المصدر السابق .ص89.

3 – مادهو بانيكار: الإسلام والوثنية.ص504.

4 – العاقب بن عبد الله: انظر ترجمته ، رقم 30 .

5 – العاقب محمد بن عمر بن اقيت ، تلقى العلم عن عمه ، وأبيه ، ثم ارتحل إلى مصر ، وتقابل مع علماء الأزهر ، وأجازوه ، توفي عام 901هـ/ 1495م.انظر التنبكتي: مصدر سبق ذكره.ص353.

من مرة ، وفي سلطنة مقديشو كان هناك برهان الدين المصري ، وفي بلاد السودان علي ولد عشيب [1] وفى بلاد المغرب العربي ابن خلدون[2].

ومن أشهر الأعمال التي قام بها هؤلاء القضاة ، قيام القاضي العاقب بن محمد . بالإشراف على بناء مسجد سنكرى ، وجامع سيدي يحي[3].

ثانياً : وظيفة المستشارين :

من الوظائف التي تولاها العلماء الأزهريون أيضاً في الممالك الأفريقية العمل كمستشارين للسلاطين ، والحكام ، وقلما يخلو مجلس من مجالس الحكام من وجود هؤلاء العلماء ، وأيضاً قلما يبرم أي سلطان من السلاطين اتفاقاً ، أو معاهدة ، أو يصدر أمراً إلا باستشارة هؤلاء العلماء.

وقد كانت هذه الوظيفة منتشرة في معظم الممالك الإسلامية ، فلم يخل منها أي إقليم ، وعلى سبيل المثال ففي بلاد المغرب الإسلامي كان السلطان يعقد مجلساً بعد صلاة العصر ، يدعو فيه الفقراء المتصوفة والقضاة لتدارس وتداول الأحكام الشرعية ، التي ترد في ذهن السلطان ، أو تعرض عليه [4] بل كان السلطان نفسه يعمل بالعلم ، لذا كان يدعو هؤلاء العلماء ليأخذ رأيهم في المسائل الشرعية ، وليعمل بمشورتهم [5] .

كما كان سلاطين غرب أفريقيا يتخذون من العلماء الأزهريين مستشارين لهم ،

---

1 - انظر ترجمته في الفصل الثاني .

2 - السيوطى: حسن المحاضرة ، ج 2. ص 189.

3 - السعدي: تاريخ السودان ، ص57 ، 56.

4 - ابن بطوطة: الرحلة. ص432.

5 - من السلاطين الذين اشتغلوا بالعلم ، السلطان أبو عنان المريني(749 - 759هـ/ 1348 - 1357م)حيث كان يعقد في مشوره مجالس للعلم ، يحيط بمجلسه كثير من العلماء ، أمثال عبدالله السطي ، والإمام أبو عبد الله محمد ابن الصباغ. انظر ابن بطوطة: المصدر السابق. ص 430.

ويحضر هؤلاء العلماء مشور السلطان[1]. بل زادت سلطة هؤلاء العلماء ، حيث كانوا يقومون بإعطاء الحكام صفة الشرعية [2] ، وكان السبب في إعطاء هؤلاء العلماء هذه المكانة نشاطهم العلمي وتقواهم ، حيث كانوا يقومون بتفسير القرآن الكريم وأحكام الشريعة الإسلامية ، كما كانوا حلقة وصل بين الحكام والمحكومين ، مثال على ذلك الإسكيا محمد الكبير(899 - 935هـ/ 1493 - 1528م) سلطان دولة سنغاي والذي كان لايبرم أمراً إلا بعد الرجوع للعلماء [3]وكذلك الأمر في دولة الكانم والبرنو حيث كان العلماء مستشارين للحكام ، بل زاد على ذلك أنهم كانوا معلمين لهم يعلمونهم فرائض الدين مثال ذلك قيام العالم محمد بن ماني بتعليم السلطان ماي بولو القرآن الكريم . [4]

وبالنسبة لبلدان شرق أفريقيا ، فقد تبوأ العلماء مناصب هامة كمستشارين ، وتصدروا مشاور السلاطين ، وكان السلاطين يسترشدون بآرائهم في الحكم ، والمسائل التي كانت تعترض الحكام[5] ، وفي سلطنة دارفور كانوا يشاركون السلاطين في العرضة [6].

وقد قام العلماء باستغلال نفوذهم كمستشارين ، بالتخلص من بعض العادات المخالفة للشريعة الإسلامية كالقضاء على السحرة[7] ونفوذهم ، وقاموا أيضاً بإقناع السلاطين بالتخلص من عادة اتخاذ محظيات ، وهي العادة التي كانت منتشرة في بلاد

---

1 - مشور: مكان كان يتم أخذ الإذن فيه ، لمقابلة السلطان ، وكان مجلساً أيضاً يضم العلماء ، والمستشارين -حدث هذا مع الإسكيا محمد ، حيث أخذ موافقة السيوطي ، والمغيلي. انظر محمود كعت: الفتاش. ص15.

2 - توماس أرنولد: الدعوة للإسلام. ص392.

3 - محمود كعت : المصدر السابق. ص15.

4 - ابراهيم طرخان: امبراطورية البرنو. ص177.

5 - ابن بطوطة: الرحلة. ص 171.

6 - التونسي: تشحيذ الأذهان ، ص 419.

7 - القلقشندي: صبح الأعشى ، ج5.ص291.

غرب أفريقيا [1] كما قاموا بإقناع الإسكيا محمد بإلغاء تجارة الرقيق[2]. ولم يكتف العلماء بمجرد تقديم النصح والمشورة للحكام فقط ، بل كانوا يقومون بوعظ هؤلاء الحكام [3] والتنبيه عليهم بالسير الحسن في أحوال الرعية ، وإشاعة روح العدل حتى يتركوا أثراً طيباً في نفوس الرعية.

1 – القلقشندي: المصدر السابق ، ج5.ص296 – وانظر محمود كعت : الفتاش. ص15.

2 – محمود كعت: المصدر السابق ، ص 14 ، 15.

3 – ابن بطوطة: المصدر السابق.ص447.

2 - علاقة العلماء الأزهريين بالحكام والسلاطين

كان من أهم ما يميز العلماء العلاقة بين العلماء الأزهريين والحكام في أفريقيا هو تقدير واحترام هؤلاء الحكام للعلماء.وقد كان لهذا الاحترام والتقدير أسباب عديدة هي:

أولاً : الثراء المالي للعلماء :

تمتع العلماء الأزهريون بثراء واستقلال مالي جعلهم في غير عوز للحكام ، مما قوّى من موقفهم أمام هؤلاء الحكام ، وتعود هذه الثروة لأسباب عديدة منها: كثرة الهبات ، والعطايا التي كان يمنحها لهم السلاطين والحكام [1] . فقد كانت تخصص لهم أراض معفاة من الضرائب ، ففي سلطنة دارفوركانت تسمى هذه الأراضي حواكير [2] وكانت تعفى من الضرائب . ومن أسباب ثراء العلماء أيضاً عملهم بالتجارة ، والتي جعلتهم من أصحاب النفوذ ، مثال ذلك عائلة أقيت في غرب أفريقيا [3] .

ثانياً : اشتغال العلماءالأزهريين بالشريعة ومعرفتهم شئون العقيدة:

تميز العلماء الأزهريون بالتبحر في أمور الشريعة الإسلامية مما كان له أكبر الأثر في تقدير واحترام السلاطين ، والحكام لهم ، بالإضافة لكون هؤلاء العلماء طبقة متعلمة متميزة وخصوصاً العلماء الأزهريين المصريين ، نظراً لما كان يمثله الأزهر من مكانة علمية معروفة لدى جميع المسلمين في الأرض .

ثالثاً : علاقة العلماء بالرعية:

ومن الأسباب التي جعلت السلاطين والملوك يقدرون طبقة العلماء ، وخاصة

---

1 - مادهو بانيكار: مرجع سبق ذكره . ص502.
2 - التونسي: مصدر سبق ذكره . ص411.
3 - التنبكتي: نيل الابتهاج . ص22.

الأزهريين منهم هي صلتهم بالرعية وما تمثله هذه الصلة من خوف السلاطين من قيام العلماء بتحريض الرعية ضدهم ، نظراً للكلمة المسموعة منهم لدى الرعية [1] .

رابعاً : تقوى وورع الحكام:

اشتهر بعض الحكام الأفارقة بالتقوى والورع ، ولذلك كانوا يقربون العلماء منهم نظراً لما يمثله هؤلاء العلماء من قيمة دينية ، مع تبحرهم في أمور الدين . ويكفي للتدليل على مدى ورع هؤلاء الحكام عندما رفض السلطان منسا موسى تقبيل الأرض بين يدي السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون [2] أثناء رحلته للحج . وأيضاً السلطان إسكيا محمد الذي كان يأخذ بمشورة العلماء . وأيضاً حكام بلاد الزيلع الذين كان معظمهم رجال دين ، وكان يطلق عليهم لقب الأئمة مثل السلطان أحمد القرين . [3]

لذا كان من الطبيعي أن يقوم هؤلاء الحكام بتكريم العلماء ، بمختلف صور التكريم سواء كان تكريماً مادياً ، أو كان تكريماً معنوياً . وقد تعددت صور هذا التكريم ، ومن مظاهر هذا التكريم:

1 - جلوس العلماء في مشاور السلاطين:

انتشرت المشاور في الممالك الإسلامية الأفريقية ، ولم تخل أية مملكة من مشور كان السلطان يجتمع فيه مع العلماء للتشاور والنظر في أحوال الرعية . وكانت هيئة ووضع جلوس العلماء تختلف من مكان لآخر طبقاً لقواعد معينة ، فمثلاً في منطقة شرق أفريقيا ، وتحديداً سلطنة مقديشو كان يفرش للقاضي ، والفقهاء بساط لا يجلس معهم أحد غيرهم[4] في مشور يوم الجمعة . أما مشور يوم السبت فيجلس القاضي على يسار

---

1 - ابن بطوطة: الرحلة . ص447. القلقشندي: صبح الأعشى ، ج5 ، ص295

2 - محمود كعت: الفتاش . ص13 ، 12.

3 - عرب فقيه: فتوح الحبشة . ص9.

4 - ابن بطوطة: الرحلة . ص171.

السلطان ، والفقهاء بين يديه [1] .

أما في غرب أفريقيا فكان المشور يعقد بعد أن يعطي السلطان إشارة من داخل قبته [2] ، فيدخل إليه الفقهاء ، ومعهم الأمراء . وكان المشور عبارة عن مصطبة تحت شجرة ، هذه المصطبة تتكون من ثلاث درجات ، وكانت تسمى البنبي وكانت تُفرش بالحرير ، وعليها وسائد ، تظلل بمظلة حريرية تسمى الجتر وعليها طائر مصنوع من الذهب [3].

أما في بلاد المغرب الإسلامي فكان جلوس السلاطين في المشور يختلف من حيث التوقيت ، ففي الدولة الحفصية يكون عقده في فترة الصباح ، حتى قبل العصر ، ويحضره العلماء للتشاور في الأمور الشرعية . [4] أما في الدولة المرينية فكان جلوس السلطان في مشوره يوم الجمعة ، ويبدأ في استقبال الرعية بعد أداء الصلاة ، حتى العصر ، وبعد العصر يحضر الفقهاء العلماء للنظر في الأحكام الشرعية [5] .

2 - المشاركة في المواكب:

كمظهر من مظاهر التكريم ، والعلاقة الطيبة بين العلماء والحكام ، كان العلماء يشاركون في مواكب السلاطين . وكانت قواعد المشاركة تختلف من مكان لآخر ، وإن جمعتها خاصية واحدة ، ألا وهي حدوث معظمها في أيام الأعياد ويوم الجمعة ، فمثلاً في الدولة المرينية كان السلطان يمتطي جواده ، ويتقدمه حملة الأعلام ، ومن ورائهم قارعو الطبول ، ثم يأتي في الترتيب رئيس الاسطبلات ، ورئيس التشريفات ، والقاضي ، وقائد

---

1 - ابن بطوطة: الرحلة . ص171.

2 - كانت الإشارة عبارة عن إخراج قطعة حرير على هيئة شريط مربوط فيها منديل مصنوع في مصر . انظر ابن بطوطة : المصدر السابق ص 446.

3 - ابن بطوطة: نفسه . ص446.

4 - نفسه . ص430.

5 - ابن بطوطة : نفسه . ص 432 ، 433.

الجيش [1] . أما في دولة الكانم وبرنو ، ودارفور فكان العلماء الأزهريون يشاركون في موكب السلطان ، وخصوصاً العرضة [2] .

وبالنسبة لمواكب شرق أفريقيا ، فقد كان سلطان مقدشو يخرج في الموكب وتظلل رأسه أربع مظلات حريرية ، وعلى كل مظلة طائر مصنوع من الذهب ، ويرتدي السلطان ملابسه المزخرفة ، ويسير أمامه قارعو الطبول ، ونافخو الأبواق ، ويسير الأمراء من خلفه ، أما القضاة والعلماء فيسيرون بجواره . [3]

ويتبقى الحديث عن الموكب في منطقة غرب أفريقيا ، والمعروفة باسم بلاد السودان الغربي ، حيث كان السلطان يخرج في أيام العيد ، مرتدياً طيلساناً ، وثياباً بيضاء [4] ويصحبه العلماء ، والفقهاء [5] . ثم تُنصب له خيمة ليبدل ملابسه ، وبعد انقضاء الصلاة ، والخطبة كان يخرج للجلوس في المشور [6] .

3 - مشاركة السلاطين في الطعام:

كان معظم السلاطين يقومون بدعوة العلماء الأزهريين لمشاركتهم في تناول الطعام كنوع من أنواع التكريم فمثلاً كان سلطان مقدشو يأكل مع القاضي والعلماء [7] كمظهر من مظاهر تكريمهم . وأيضاً كان الإسكيا محمد سلطان دولة سنغي يدعو علماء الأزهر لتناول الطعام معه ، بل كان يدعو أبناءه للمشاركة في تناول هذا الطعام [8] .

أما بالنسبة لسلاطين بلاد المغرب الإسلامي ، فكانوا يقيمون الولائم للعلماء في

---

1 - الحسن الوزان: وصف أفريقيا . ص290.

2 - العرضة: هي استعراض الجيش . انظر التونسي: تشحيذ الأذهان 410 ، 411.

3 - ابن بطوطة: الرحلة . ص171.

4 - ابن بطوطة: المصدر السابق . ص171.

5 - كان العلماء يرتدون الطيلسان في معظم الأيام بينما كان السلاطين يلبسونه في العيد . انظر المصدر السابق . ص447.

6 - ابن بطوطة : نفسه ، 447.

7 - نفسه . ص447. .

8 - محمود كعت: الفتاش . ص11.

المناسبات الدينية كيوم المولد النبوي الشريف ، والذي كان يحضره السلطان ، ويقوم العلماء بإحياء لياليه ، وكان السلطان يقوم بالإنفاق على حضور هذه المناسبة [1] .

4 - المنح والهبات :

تبارى معظم سلاطين أفريقيا بإعطاء العلماء منحاً وهبات ، في مناسبات مختلفة ، مما جعل هؤلاء العلماء أصحاب ثروات جمعوها من خلال هذه المنح والهبات [2] .

وقد تفاوتت أنواع الهبات والعطايا ، طبقاً للمانح فكانت أحياناً عبارة عن رقيق، وأموال[3] . وأحياناً كانت أراضيَ وضياعاً ، وذلك لضمان ولاء هؤلاء العلماء للسلاطين، ولكي يتفرغوا للبحث العلمي ، ولا ينشغلوا بمتطلبات الحياة . ومن أشهر تلك العطايا ما أعطاه ملوك الكانم والبرنو ، يتضح ذلك في المحارم ، وخصوصاً المحرم الذي أصدره السلطان الحاج علي بن الحاج عمر [4] . للعالم محمد صالح بن العالم اشاركو[5] . بالإضافة للحواكير ، والتي أعطاها سلاطين دارفور للعلماء، كما أعطى ملوك الفونج العلماء أراضيَ كانت تُخصَّص لإنشاء الخلاوي . [6]

ولم يتوقف دور العلماء على حسن العلاقة بينهم وبين الحكام ، بل تعداه إلى قيامهم بأدوار هامة كحلقة وصل بين الحكام والمحكومين .

---

1 - ابن بطوطة : الرحلة . ص434.

2 - مادهو بانيكار: مرجع سبق ذكره . ص502.

3 - محمود كعت: الفتاش . ص59.

4 - محرم: هي الوثيقة التي تعطى للعلماء نظير خدمتهم للدولة ، وتوضح امتيازاتهم هم وأسرهم ، وتوضح أصولهم ونسبهم . انظر ابراهيم طرخان: امبراطورية البرنو . ص177.

5 - محمد صالح: ابن العالم اشاركو ، ينسب لقبيلة الفلاتا ، قدم لبرنو ودرس في الأزهر ، وعمل بالتدريس في برنو من أشهر أفراد أسرته الوزير غدريس . انظر إبراهيم طرخان: المرجع السابق (ص177).

6 - ود ضيف الله: الطبقات . ص114 - 116.

3 - دور العلماء الأزهريين في العلاقة بين الحكام والمحكومين

نظراً لمكانة وقوة العلاقات بين الحكام ، والمحكومين ، وعلماء الأزهر ، قام هؤلاء العلماء بدور بارز في العلاقة بين الحكام والمحكومين . وقد تعددت صور هذه العلاقة منها:

أولاً : التوسط للرعية عند الحكام:

كانت الرعية في أفريقيا تلجأ غالباً ، للعلماء الأزهريين لكي يقوموا بالوساطة بينهما وبين الحكام ، في سبيل قضاء مصلحة ، أو لدفع مظلمة وقعت عليهم ، أو على أحد أفراد الرعية . وكانت هناك أسباب عديدة جعلت الرعية يلجئون للعلماء ، منها على سبيل المثال قرب هؤلاء العلماء من الحكام ، وأيضاً ما عُرف عن هؤلاء العلماء الأزهريين من عدم خشيتهم للحكام ، كما اشتهر الكثير منهم بأنهم لا تأخذهم في الحق لومة لائم[1] . وكانت معظم الشكايات التي تقدم من الرعية ، ويقوم العلماء بالتوسط فيها تتلخص في الظلم الذي كان يقوم به بعض حكام الأقاليم ، ونواب السلاطين ، وموظفيهم[2] ، وأيضاً كانت هناك شكاوى من فداحة الضرائب الباهظة التي كانت تثقل كاهل هؤلاء الرعية ، ومن الشكاوى أيضاً الامتناع عن سداد حق ، وخلافه[3] .

أما عن موقف الحكام من هذه الشكايات ، فقد كانوا يقبلون وساطة العلماء ، وكانوا يقومون بردِّ المظالم بأنفسهم ، وكانوا يستدعون هؤلاء الموظفين ، ويأمرونهم بالعدل ، وحسن السيرة في الرعية . وكان كثير من الحكام مشهوراً عنهم حب العدل ، لدرجة

---

1 – السعدي: تاريخ السودان . ص42.

2 – ابن بطوطة: الرحلة . ص449.

3 – مادهو بانيكار: مرجع سبق ذكره . ص447.

أنهم كانوا يعتقدون أن بعض الكوارث ، كغزو الجراد مثلاً[1] ، عقاب لعدم تحقيقهم العدل بين الرعية ، وكانت هذه الأفكار نابعة من كونهم محبين للعدل ، وحريصين عليه .

ثانياً : حَثّ الحكام على حُسْن معاملة الرعية :

إن مظاهر التكريم التي كانت تحيط بعلماء الأزهر من قِبَل الحكام ، لم تمنع هؤلاء العلماء ، من قيامهم بوعظ الحكام ، وحثهم على حسن معاملة رعاياهم . وكانت صور هذا الوعظ عديدة ومنها ما هو وعظ مباشر من خلال خطب يوم الجمعة ، أو عن طريق غير مباشر بذِكْر سِيَر الملوك ، والصالحين ، وسِيَر الفقهاء السابقين . [2]وقد كانت هذه الأساليب تجد استجابة كبيرة لدى هؤلاء الحكام مثال ذلك رسالة السيوطي لملك التكرور ، وجميع ملوك أفريقيا يعظهم فيها ، ويحثهم على إقامة تطبيق الشريعة الإسلامية ، والتخلص من العادات المرذولة مثل ذبح عبد في حالة مرض الملك بحجة فدائه من الموت[3] .

وفي مرات عديدة كان العلماء يقومون بتشويه صورة الحاكم الغير عادل ، وكانوا يُعرِّضون حياتهم للخطر ، وتعرض الكثير منهم للنفي والسجن مثل ما حدث أيام (سن علي) مؤسس دولة سنغي والذي قام بحملات واسعة على العلماء ، ودمر مدينة تمبكت ، بحجة عدم وقوف العلماء بجواره [4] فقام بإحراق كتبهم ، وشرد الكثير منهم[5] .

ثالثاً : استجارة الرعية بالعلماء :

كان الأفريقي عند تعرضه لمحنة ، أو خطب ألمَّ به ، أو خاف من ملك ، أو صدر ضده

1 - ابن بطوطة: الرحلة . ص448.
2 - ابن بطوطة: المصدر السابق . ص445.
3 - رسالة السيوطي لملك التكرور . ص183.
4 - السعدي: تاريخ السودان . ص64.
5 - السعدي: المصدر السابق . ص69 ، 64.

حكم قاس ، كان يلجأ للمسجد ، أو دار الخطيب للاستجارة به وكان الحكام يقبلون هذه الاستجارة[1] ، وكان لا يمكن لأحد التعدي على دار الفقيه ، أو يتعدى على المسجد ، مثال ذلك استجارة أحد العبيد بالعلماء عندما حاول السلطان قطع يده ، لأنه سلَّم على السلطان بيده مخالفاً التقاليد ، فتدخَّل أحد العلماء ، وصفح عنه السلطان[2] .

ولم يكن طلب الاستجارة وقفاً على الفقراء والمستضعفين فقط بل كان كثير من أبناء الطبقة العليا يستجيرون بعلماء الأزهر ، لدرجة أن إحدى زوجات سلطان مالي استجارت بالفقهاء ، رغم صلة القرابة بينها وبين الملك[3] ، وكان الملك غضب عليها لمحاولتها خلعه عن العرش ، بالاتفاق مع ابن عمه[4] .

وبالإضافة لدور العلماء في العلاقة بين الحكام والمحكومين ، ومدى النفوذ الذي تمتَّع به هؤلاء العلماء ، نراهم قد قاموا بدور كبير في حالة الحرب ، والفتن الداخلية ، حيث شاركوا في هذه الحروب ، وأيضاً قاموا بدور كبير في القضاء على الفتن الداخلية .

1 - ابن بطوطة: الرحلة . ص449.
2 - محمود كعت: الفتاش . 113: 111.
3 - كانت ابنة عم السلطان . انظر ابن بطوطة: المصدر السابق . ص449.
4 - نفسه . ص449.

4- دور العلماء الأزهريين في الحروب والقضاء على الفتن

كانت الممالك الإسلامية في أفريقيا مسرحاً كبيراً للكثير من الحروب التي دارت رحاها في كثير من دولها ، واستمرت هذه الحروب سنوات طويلة ، وكان من نتائج هذه الحروب في النهاية ، إضعاف تلك الممالك الإسلامية .

وكانت طبيعة هذه الحروب ، التي شهدتها المنطقة ذات صبغة دينية ، في أحيان كثيرة ، يتضح ذلك في الشعارات التي كان يرفعها المحاربون من الجانبين ، أو من حيث طبيعة المشتركين في هذه الحروب والمحرضين عليها إذ كان معظمهم من رجال الدين . وقد ذكر عرب فقيه [1] أن المحرضين على الحروب التي قام بها الأحباش ضد المسلمين الزيالعة ، كانوا من البطارقة ، وهذا دليل قاطع على استغلال الدين في إذكاء نار الحروب في تلك البلدان .

وبجانب هذه الحروب التي قامت على أساس ديني ، كانت هناك حروب أخرى لها أسباب عديدة . أما الجانب الديني فقد كان مجرد سبب ثانوي في هذه الحروب ، وخصوصاً من جانب المعتدين مثل البرتغاليين في شمال أفريقيا ، أو الأحباش في شرقها إذ استغل هؤلاء الدين لتحقيق حكمهم ، ومآربهم ، بينما اعتبرها المسلمون حركة جهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى .

ونظراً لتنوع أسباب هذه الحروب ، واختلاف النتائج المترتبة عليها سنتعرض لهذه الحروب التي دارت بإيجازوسنبرز دور رجال الدين العلماء الأزهريين في هذه الحروب .

أولاً: الحروب في منطقة الشرق الأفريقي:

كانت هذه الحروب بين ممالك بلاد الزيلع الإسلامية ، ومملكة الحبشة المسيحية ، وقد تعددت أسباب هذه الحروب . فمن الأسباب ازدياد النفوذ الإسلامي في بلاد

---

1 - عرب فقيه: فتوح الحبشة ، ص7.

الحبشة[1] ، واعتناق الكثير من الأحباش الدين الإسلامي ، وهي أسباب كانت محركاً رئيسياً للصراع ، بالإضافة لقيام البرتغاليين بتحريض مملكة الحبشة لشن الحروب ضد بلاد الزيلع .[2] حتى يمكنهم السيطرة على البحر الأحمر ومضيق باب المندب بما يمثله هذا العمل من التحكم في الطرق التجارية ، التي كان يسيطر عليها المسلمون ، وبالتالي إضعاف قوة المسلمين الاقتصادية . ولذلك حدث اتصال بين البابوية ومملكة الحبشة بهذا الشأن [3] .

أما عن دور رجال الدين في هذه الحروب ، فقد تعددت مظاهر اشتراك رجال الدين الإسلامي ، والعلماء الأزهريين في هذه الحروب فمنها أنهم كانوا يقومون بإثارة حمية المقاتلين ضد الأحباش ، ويبثون فيهم روح المقاومة ، ومن أشهر المشاركين في معركة تمت عند نهر سُمِّي بفطجار في عام 953هـ/ 1529م ، العالم الفقيه محمد خطيب سيم[4] .

لم يكتف رجال الدين بمجرد القيام بإثارة الحماس فقط ، بل كانوا يشتركون في الحروب كمقاتلين ومحاربين ، والدليل على ذلك استشهاد أكثر من أربعمائة فقيه وعالم في إحدى المعارك التي دارت بين مملكة الحبشة ، بقيادة داود بن سيف أرعد في عام 508هـ/ 1402م[5] . ونظراً لأهمية رجال الدين في القتال ، فقد حرص معظم الحكام على اصطحابهم في الحروب ، لما لهؤلاء من قيمة معنوية كبيرة أثناء الحرب ، وأيضاً لرفع معنويات الجنود الذين يقومون بالقتال ، ويذكر عرب فقيه [6] أن أبا بكر بن نصر الدين بن محمود ، كان يذكر في خطبه الآيات القرآنية الكريمة التي تحض على القتال .

---

1 - القلقشندي: صبح الأعشى ، ج4 ، ص324.

2 - رجب محمد عبدالحليم: الصراع بين مسلمي الزيلع ونصارى الحبشة . ص98 - 99.

3 - المرجع السابق . ص100.

4 - عرب فقيه : مصدر سبق ذكره . ص64.

5 - المقريزي : الإلمام . ص13.

6 - عرب فقيه : المصدر السابق ، ص38 - 39.

ثانياً : الحروب في شمال أفريقيا:

كانت بلاد شمال أفريقيا مسرحاً لحروب دارت بين سكان هذا الإقليم ، وبين البرتغاليين وقد تعددت أسباب هذه الحروب ، ومن هذه الأسباب :

1 - أسباب اقتصادية:

كان الغرض الاقتصادي يأتي على رأس الدوافع الرئيسية في هذه الحروب ، حتى يسيطر البرتغاليون على طرق التجارة التي كان يتحكم فيها المسلمون ، وذلك لشدة حاجة البرتغاليين للذهب والأموال لكي يستطيعوا بناء قوتهم الوليدة [1] .

2 - أسباب دينية:

كان الدافع الديني أيضاً محرِّكاً لهذه الحروب ، ولذلك حاول البرتغاليون توجيه ضربات للمسلمين انتقاماً منهم ، وأيضاً للقضاء على نفوذ بلاد المغرب الإسلامي حيث كانت تؤازر المسلمين في بلاد الأندلس ، وقد سُمِّيت هذه الحروب بحروب الاسترداد[2].

3 - أسباب عسكرية:

وأيضاً من الأسباب التي جعلت البرتغاليين يشنون غارات على الشمال الأفريقي ، محاولة الاتصال بمملكة الحبشة المسيحية بغرض تطويق المسلمين ، ومحاولة توجيه ضربة للعالم الإسلامي بالتحالف مع هؤلاء الأحباش[3] . وكان من نتائج هذه الحروب سيطرة البرتغاليين على كثير من المدن الساحلية مثل مدينة سبتة في عام 818هـ/ 1415م .

---

1 - شوقي عطا الله الجمل: المغرب العربي الكبير ، مكتبة الانجلو ، القاهرة ، 1977م، ص43.

2 - المرجع السابق . ص42.

3 - نفسه ، ص43.

أما عن دور العلماء في هذه الحروب التي شهدتها المنطقة ، فهو قيام العلماء وخصوصاً رجال الطرق الصوفية بمقاومة الغزو البرتغالي ، وكانوا يقومون بحمل السلاح ومهاجمة البرتغاليين .

كما قامت حروب في منطقة الغرب الأفريقي ، بين امبراطورية صنغي ومملكة مالي ، وأيضاً الصراع بين الكانم والبرنو ، والصراع بين سلطنة مقدشو ، وسلطنة كلوة . وكان للعلماء دور في هذه الحروب سواء عن طريق المشاركة ، أو إبداء الرأي سواء بالرفض أو القبول كما حدث في معركة (سن علي) مع امبراطورية مالي ، والتي رفضها العلماء فتعرضوا للتنكيل من (سن علي) [1] .

دور العلماء في القضاء على الفتن الداخلية:

وكما كانت الممالك الإسلامية في أفريقيا مسرحاً للحروب الخارجية ، فقد شهدت أيضاً فتناً داخلية عديدة كادت أن تؤدي إلى تداعي استقرارها الداخلي ، وقد قام العلماء بدور كبير في إخماد هذه الفتنة .

ومن أشهر الفتن التي حدثت هي فتنة سن علي ، الذي حكم في الفترة من (869 – 898هـ/ 1464 – 1492م) في دولة صنغي ، وقد لعب هذا الحاكم دوراً في زرع بذور الفتنة في منطقة الغرب الأفريقي . وقد عُرِف عنه بأنه كان من أب مسلم وأم وثنية لذا في الفترة التي تولى الحكم فيها زادت مزاحمة القيم الوثنية ، للقيم الإسلامية ، كما أن هذا الحاكم لم يكن يواظب على الصلاة ، ويعيش حياة بوهيمية فكان إذا أعجبته أي امرأة أخذها بدون زواج ، كما أنه كان لايصوم شهر رمضان ، ولم يكن يحفظ أي سورة من سور القرآن الكريم ، بل إنه ألزم أهل قصره بعدم الصلاة والصوم[2] .

لذا كان من الطبيعي ، ألّا يسكت العلماء على فتنة سن علي ، فقاوموها بقدر

---

1 – السعدي: تاريخ السودان . ص64.

2 – مادهو بانيكار: مرجع سبق ذكره . ص124.

استطاعتهم ، فتعرَّضوا بسببها إلى محن شديدة مثل التشريد ، والإذلال ، وفي أحيان كثيرة القتل[1] . وبلغ من شدة تنكيله بالعلماء قيامه بإحراق مدينة تمبكت ، وطرد العلماء منها ، بل أرسل وراءهم من يقتلهم[2] . وقد كان السبب الرئيسي في قيام سن علي بهذه الأفعال اعتقاده أن علماء تمبكت ، كانوا يعاونون الطوارق أعداءه[3] .

وعلى الرغم من هذه الخطوب ، والتي تعرَّض لها العلماء على يد سن علي ، فإنهم قاوموه بكل شدة ، وألَّبوا الأفارقة عليه . وقد نجحت سياسة العلماء ، وبدأ سن علي يحاول التودد إليهم ويهادنهم ، ويقوم بإرسال الهدايا لهم بعد كل غزوة يغزوها[4] .

ونظراً لاشتراك العلماء الأزهريين في الحياة السياسية على هذا النحو ، فقد أهَّلهم ذلك إلى القيام بدور أكبر ، وهو القيام بالعمل كسفراء لبلادهم في الدول الإسلامية الأخرى .

1 - السعدي: تاريخ السودان . ص65.
2 - السعدي : المصدر السابق . ص65.
3 - نفسه . ص67.
4 - نفسه . ص65 : 67.

5 - دور العلماء الأزهريين في العلاقات الخارجية

قام العلماء الأزهريون بدور كبير في مجال العلاقات الخارجية ، وخصوصاً بين مصر والممالك الإسلامية في أفريقيا . ونظراً للمكانة ، التي تمتَّع بها هؤلاء العلماء في هذه الممالك ، وقربهم من السلطات الحاكمة فيه ، اختيروا للعمل كسفراء لبلادهم يحملون الرسائل إلى مصر وكافة العالم الإسلامي .

وكان من أسباب اختيار هؤلاء العلماء لهذه المهام هي تقواهم التي اشتهروا بها ، بالإضافة لتحريهم الصدق والأمانة فيما يقولونه دون أية إضافات . كما كان من أسباب اختيارهم قدرتهم على التأثير في سامعيهم نظراً لكونهم عالمين بالشريعة الإسلامية . كما أن هؤلاء العلماء اشتهروا بكونهم أصحاب قيم خلقية عالية كالتواضع ، والحلم ، ورحابة الصدر ، وسعة الأفق ، بالإضافة لِصَفة الأمان (الحصانة بالمعنى الحديث)حيث كان مسموحاً لهم بالمرور في أراضي القبائل المتحاربة ، دون أن يتعرَّض لهم أحد[1] .

أنواع السفارات التي قام بها العلماء الأزهريون:

كانت السفارات التي قام بها العلماء الأزهريون تنقسم إلى سفارات عامة ، وهي السفارات التي كانوا يكلفون بها من قِبَل الحكام إلى مصر ، أو من مصر إلى بقية أنحاء الدول الإسلامية وسفارات خاصة كان يقوم بها العلماء بأنفسهم ، عندما كان الخطر يُحدق بأوطانهم ، أو طلب النجدات من العالم الإسلامي للوقوف بجانبهم[2] .

ومن أشهر السفارات العامة التي كلف بها العلماء من قِبَل السلاطين ، سفارة ابن خلدون حيث كلفه سلطان مصر برقوق (784 - 791هـ/ 1382 - 1388م) بالكتابة

---

1 - توماس أرنولد : الدعوة للإسلام . ص297 - 298.

2 - القلقشندي: صبح الأعشى ، ج4 ، ص333.

لسلطان تونس أبي العباس أحمد (772-797هـ/ 1370-1394م) ليكلفه بإحضار خيول مغربية [1].

أما عن أشهر السفارات الخاصة، والتي قام بها العلماء من تلقاء أنفسهم سفارة الشيخ جمال الدين عبدالله الزيلعي الذي وصل إلى مصر عام 737هـ / 1337م منتهزاً فرصة وصول مطران الحبشة لمصر، لكي يطلب تعيين بطريرك فاستغل الفرصة الشيخ جمال الدين، وطلب المساعدة من سلطان مصر تقديم العون لبلاد الزيلع ضد الأحباش[2].

وكانت الأسباب التي جعلت الشيخ جمال الدين يختار مصر، هو تمتُّع مصر بمكانة كبيرة في العالم الإسلامي، وكانت تحكمها حكومة المماليك القوية، والتي تستطيع مد العون إلى مسلمي بلاد الزيلع[3]. بالإضافة أن مصر هي التي ترسل بطريرك للحبشة، وتستطيع أن تمتنع عن إرساله، وبالتالي تستطيع الضغط على الأحباش لكي يوقفوا عدوانهم على المسلمين[4].

1 - ابن خلدون: التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً، دار الكتاب اللبناني، لبنان. ص1168 - 1169.

2 - رجب محمد عبدالحليم: مرجع سبق ذكره. ص145.

3 - رجب محمد عبدالحليم: المرجع السابق، نفس الصفحة.

4 - المرجع السابق. ص145 وانظر حسن أحمد محمود: مرجع سبق ذكره. ص408.

6 - الدور السياسي للأزهر في أفريقيا بعد عصر المماليك

استمر الدور السياسي للأزهر بعد عصر المماليك في أفريقيا ، وتجلَّى هذا الدور في العديد من العوامل التي أظهرت هذا الدور ، وهى:

أولاً : الدور في مقاومة الاستعمار :

قام العلماء الأزهريون بدور كبير في مقاومة الاستعمار الأوربي الذي سيطر على القارة ، مثال ذلك مقاومتهم للغزو الإيطالي لليبيا حيث قام علماء الزوايا السنوسية ، والذين تلقوا تعليمهم في الأزهر بمقاومة الاستعمار الإيطالي الغاشم . كما شهدت بلاد السودان الغربي مقاومة ضد الاستعمار الانجليزى والفرنسي أسهم فيها العلماء الأزهريون من أمثال حركة عثمان بن فودي ، والحاج عمر التكروري[1] .

ثانياً: الدور في العلاقة بين الحكام والمحكومين:

قام علماء الأزهر بدور كبير في العلاقة بين الحكام والمحكومين وخصوصاً في بلاد سودان وادي النيل ، حيث كان العلماء يقومون بدور الوساطة بين الحكام والمحكومين ، وساعدهم على هذا الدور تشجيع الحكام لهم فعلى سبيل المثال قيام سلاطين مملكة سنار بدفع أموال وعطايا للأزهر بعد موسم الحصاد [2] .

1 – شوقي عطا الله الجمل : مرجع سبق ذكره . ص 129 .
2 – محمد سليمان : مرجع سبق ذكره . ص 30 .

قائمة بأهم المصادر والمراجع

أولاً : وثائق غير منشورة :

1- الأزهر وظيفته قديماً وحديثاً ، وثيقة رقم 9/ 4 حافظة 356 ، دار الوثائق القومية.

2- حجة السلطان بيبرس ، م 126 ، رقم عام 30 ، دار الوثائق القومية .

ثانياً : وثائق منشورة :

1- مجموعة وثائق السلطان حسن منشورة بكتاب تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه ، تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1986 .

2- رسالة السيوطي لملك التكرور ملحقة برسالة ماجستير وعنوانها «علاقةمصر بالدول الإسلامية في حوض نهر النيجر» ، إعداد زينب أحمد علي ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ، 1982 م .

3 - محمد بن عبد الكريم المغيلي : أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي ، الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر ، 1974 م .

ثالثاً : مصادر عربية :

- **الإدريسى (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) : ت 558 هـ/ 1162 م .**

1 - نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، بدون .

- **ابن إياس (أبو البركات محمد بن أحمد) : ت 930هـ/ 1523 م .**

2 - بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ج 4 ، ج 10 ، دار الشعب ، القاهرة ، 1960م.

- **ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) : ت 779 هـ / 1377 م**

3 – تحفة النظار في غرائب الأمصار ، دار التحرير ، القاهرة ، 1966 م .

- **البكري (أبو عبد الله بن عبد العزيز) : ت 487 هـ / 1094 م .**

4 – المسالك والممالك ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، بدون .

- **البلاذري (أحمد بن يحي بن جابر) : ت 279 هـ / 832 م .**

5 – فتوح البلدان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1993 م .

- **ابن تغري بردي (أبو المحاسن جمال الدين بن يوسف) : ت 874هـ/ 1469م**

6 - النجوم الزاهرة في محاسن مصر والقاهرة ، ج 6 ، 7 ، وزارة الثقافة ، مصر ، 1972 م .

7– المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، ج 1 ، 3 ، 5 ، 6 ، هيئة الكتاب ، القاهرة 1990 م .

- **التونسي (محمد بن عمر التونسي) : ت 1274 هـ / 1857 م**

8 - تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، المؤسسة المصرية للنشر ، القاهرة ، 1965 م .

- **التنبكتي (أحمد بابا بن أحمد بن عمر) : ت 1036 هـ / 1627 م .**

9 – نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ليبيا ، 1989م .

- **الجبرتي (أبوالعزم عبدالرحمن الجبرتى) : ت 1241 هـ / 1825 م .**

10 – عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، دار الشعب ، القاهرة ، 1958 م .

- **حاجي خليفة (مصطفى بن عبدالله جلبى) : ت 1067هـ/ 1656م .**

11 – كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ج 1 ، 2 ، دار الفكر ، لبنان ، 1979م .

- **ابن جبير (أبوالحسن محمد بن أحمد) : ت 614 هـ/ 1217 م .**

12 – رحلة ابن جبير ، دار الهلال ، بيروت ، لبنان ، 1981 م .

- **ابن حجر (شهاب الدين أحمد بن علي) : ت 852 هـ/ 1448 م**

13 – إنباء الغمر بأبناء العمر ، ج 3 ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة، 1991 م .

14 – الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ج 3 ، دارالكتب الحديثة ، القاهرة، 1961 م .

- **الحسن الوزان (ابن محمد الوزان الزياني) : ت 960 هـ/ 1552 م**

15 – وصف أفريقيا ، مطبوعات جامعة محمد بن سعود ، الرياض ، السعودية، 1979 م .

- **ابن حوقل (أبوالقاسم أحمد النصيبي) : 352/ 353هـ/ 1560 م**

16 – صورة الأرض ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، بدون .

- **ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد ابراهيم) : ت 681 هـ/ 1282م**

17 – وفيات الأعيان ، ج 1 ، 2 ، 3 ، 5 ، 6 ، دارالثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1968م.

- **ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد بن محمد) : ت 808هـ/ 1405 م**

18 – مقدمة ابن خلدون ، المطبعة الشرقية ، القاهرة ، بدون .

19 - تاريخ ابن خلدون ، ج 7 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، 1968م.

20 - التعريف بابن خلدون ورحلته ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1968م.

- **الذهبي (محمد بن أحمد) : ت 748 هـ / 1348 م**

21 - دول الإسلام ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1974 م .

- **الرقيق القيرواني.**

22 - تاريخ أفريقيا والمغرب ، دار الفرجانى للنشر ، القاهرة ، 1994 م .

- **الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر) : ت 660 هـ / 1261 م**

23 - مختار الصحاح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1986 م .

- **الزركشي (محمد بن عبدالله) : ت 745 هـ / 1144 م .**

24 - إعلام الساجد بأحكام المساجد ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة، 1996 م

- **السعدي (عبدالرحمن بن عبدالله بن عمران) عاش في القرن 17**

25 - تاريخ السودان ، باريس ، 1898 م .

- **السيوطي (جلال الدين عبدالرحمن) : ت 911 هـ / 1505 م .**

26 - حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، جزءان ، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ، 1968 م .

27 - بغية الوعاة في طبقات اللغويين ، والنحاة ، ج 2 ، دارالفكر ، لبنان، 1979م السخاوي (محمد بن عبدالرحمن بن محمد) : ت 902 هـ / 1496 م .

28 – الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع ، ج 1 ، 2 ، 3 ، 8 ، 10 ، 11 ، مكتبة المقدسي ، القاهرة ، 1353 هـ .

29 – الجواهر والدرر في ترجمة ابن حجر ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، 1996 م .

- **الإسحاق المنوفي (محمد بن عبد المعطي بن أحمد بن عبد الغني) : ت1032هـ/ 1623 م.**

30 – أخبار الأُول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول ، وزارة الثقافة ، مصر، 1998 م .

- **السبكي (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب) : ت 771هـ / 1369م**

31 – طبقات الشافعية ، ج 8 ، دار هجر للنشر ، القاهرة ، 1992 م .

- **الشهر ستاني (محمد بن عبد الكريم) : ت 548 هـ / 1153 م .**

32 – الملل والنِّحل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1990 م .

- **أبو شامة (شهاب الدين أبو محمد) : ت 665 هـ / 1266 م .**

33 - الروضتين في أخبار الدولتين ، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر ، القاهرة 1962 م .

- **شمس بن طولون (شمس الدين محمد بن طولون) : ت 953 هـ / 1546م**

34 – مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر ، القاهرة ، 1964م .

- **الصيرفي (الخطيب الجوهري علي بن داود) : ت 900 هـ / 1494 م**

35 – نزهة النفوس والأبدان ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1994 م .

- **ابن ظهيرة (أبو اسحاق برهان الدين بن علي) : ت 891هـ / 1486 م**

36 – الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة 1969 م.

- **العيني (بدر الدين العيني) : ت 855 هـ / 1451 م**

37 - عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، ج 1 ، 2 ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة، 1988 م .

38 – السيف المهند في سيرة الملك المؤيد ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1967م.

- **ابن عبد الحكم (أبو عبد الرحمن محمد) : ت 257 هـ / 871 م .**

39 – فتوح مصر وأخبارها ، دار التعاون ، القاهرة ، 1974 م .

- **عبدالواحد المراكشي : ت 647 هـ / 1249 م .**

40 - المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، 1963 م .

- **عبداللطيف البغدادي (موفق الدين بن يوسف) : ت 629 هـ / 1231 م .**

41 – الإفادة والاعتبار ، نشر سلامة موسى ، المجلة الجديدة ، مصر ، 1937م.

- **ابن عذاري (محمد بن عذاري المراكشي) ت نهاية القرن السابع الهجري .**

42 – البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج 1 ، دار الثقافة ، لبنان ، 1967م.

- **عرب فقيه (شهاب الدين أحمد بن عبدالقادر) عاش في القرن 16 م .**

43 – فتوح الحبشة ، نشر رينيه باست ، بدون .

- **علي مبارك .**

44 – الخطط التوفيقية ، ج 4 ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1990 .

- **ابن فرحون (ابراهيم بن علي) : ت 799 هـ / 1396 م .**

45 – الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، 1996 م .

- **ابن فضل العمري (شهاب الدين أحمد بن يحى) : ت 749 هـ / 1348م .**

46 – التعريف بالمصطلح الشريف ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1988.

47 – مسالك الأبصار ، ممالك مصر والشام ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار ، القاهرة ، 1985م .

- **القلقشندي (شهاب الدين أحمد بن علي) : ت 821 هـ / 1418 م .**

48 – صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج 3 ، 4، 5، 6 ، 11 ، 14 ، وزارة الثقافة ، مصر ، بدون .

- **القيرواني (محمد بن أحمد بن تميم) : ت 333 هـ / 944 م .**

49 – طبقات علماء أفريقيا وتونس ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1968 م .

- **القابسي (أبو الحسن علي بن محمد بن خلف) : ت 403 هـ / 1012 م .**

50 – الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين ، دار المعارف ، القاهرة ، 1981 م .

- **المسبحي (محمد بن عبدالله) : ت 420 هـ / 1029 م .**

51 – أخبار مصر في سنتين ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1980 م .

- **المالكي (أبوبكر عبدالله بن أبي عبدالله) : ت 449 هـ / 1057 م .**

52 – رياض النفوس ، ج 1 ، النهضة المصرية ، القاهرة ، 1951 م .

- **الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن حسيب) : ت 450 هـ / 1058م .**

53 – الأحكام السلطانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1986 م .

- **المقريزي (تقي الدين أبوالعباس أحمد بن علي) : ت 845 هـ / 1446م .**

54 – المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، ج 1 ، 3 ، كتاب التحرير ، القاهرة، 1968 م .

55 – إغاثة الأمة بكشف الغمة ، دار الهلال ، القاهرة ، 1990م .

56 – الإلمام بأخبار عما بأرض الحبشة من ملوك الإسلام ، لجنة التأليف ، القاهرة، 1895 م .

57 – الذهب المسبوك فيمن حج من الملوك ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1899م.

58 – اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفا ، ج2 ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، 1996 م .

59 – السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج 1 ، 4 ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1972م.

60 – البيان والإعراب عما حلَّ بمصر من الأعراب ، مطبعة المعارف ، القاهرة، 1966 م .

- **محمود كعت (القاضي محمود كعت)**

61 – الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس ، بردين ، 1913م .

- **محمد بن بلو : ت 1253 هـ / 1844 م .**

62 – إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور ، وزارة الأوقاف ، مصر ، 1964 م.

- **مجهول :**

63 – الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، دار الرشاد ، المغرب ، 1979م .

- **مجهول :**

64 – السلوة في أخبار كلوة ، وزارة التراث ، عمان ، 1985 م .

- **ناصر خسرو : ت 476 هـ / 1083 م .**

65 – سفر نامة ، ترجمة يحي الخشاب ، الهيئة العامة للكتاب ، مصر ، 1990 م .

- **النويري (شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب) : ت 732 هـ / 1331 م .**

66 - نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج 3 ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1990م.

- **ود ضيف الله (محمد ضيف الله بن محمد الجعلي) : ت 224 هـ / 1815 م.**

67 - الطبقات في خصوص الأولياء ، المكتبة الأهلية ، الخرطوم ، السودان ، 1930م.

رابعاً : مراجع عربية ومعربة :

- **ابراهيم علي طرخان (دكتور) :**

1 - مصر في عصر المماليك الجراكسة ، دار النهضة المصرية ، القاهرة ، 1960م.

2 - امبراطورية البرنو الإسلامية ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1975م.

- **السيد عبدالعزيز سالم (دكتور):**

3 - المغرب الإسلامي ، دار الشعب ، القاهرة ، بدون.

- **بيارد دودج :**

4 - الأزهر في ألف عام ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1994.

- **توماس أرنولد:**

5 - الدعوة للإسلام ، ترجمة حسن ابراهيم وعبدالمجيد عابدين ، دار النهضة المصرية، القاهرة ، 1957 م.

- **جمال الدين سرور (دكتور):**

6 - مصر في عصر الدولة الفاطمية ، النهضة المصرية ، القاهرة ، 1960 م.

- **حسين عبدالله مراد (دكتور):**

7 - المتصوفة في المغرب الأقصى ، المطبعة الإسلامية ، القاهرة ، 1994م.

- **حسن ابراهيم حسن (دكتور):**

8 - انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء ، معهد البحوث العربية ، القاهرة، 1957 م.

- **حسن أحمد محمود (دكتور):**

9 - الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1986م.

- **رجب محمد عبدالحليم (دكتور):**

10 - العلاقات السياسية بين مسلمي الزيلع ونصارى الحبشة في العصور الوسطى، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1985 م.

11 - العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام ، مكتبة العلوم ، مسقط ، عمان ، 1989 م.

12 - الموسوعة الأفريقية ، ج 2 ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ، 1997 م.

- **سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور):**

13 - دولة المماليك البحرية ، النهضة المصرية ، القاهرة ، 1959 م.

- **شوقي عطا الله الجمل (دكتور):**

14 - المغرب العربي الكبير ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1977م.

- **عبد العزيز الشناوي (دكتور):**

15 - الأزهر جامعاً وجامعة ، ج 1 ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1983م.

- **عبد الرحمن زكي (دكتور):**

16 - تاريخ انتشار الإسلام في غرب أفريقيا ، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ، 1977م .

- **عبد الله عنان :**

17 – دولة الإسلام في الأندلس ، ج 7 ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 2001م.

- **عبد المنعم النمر (دكتور):**

18 – الشيعة والدروز دراسة وثائقية ، دار الحرية ، القاهرة ، 1987 م.

- **ماد هو بانيكار :**

19 – الإسلام والوثنية ، ترجمة أحمد فؤاد ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 1998م.

- **محمد حمدى المنياوى (دكتور):**

20 – الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ، دار المعارف ، القاهرة ، 1970م.

- **محمد عادل عبد العزيز (دكتور):**

21 – التربية الإسلامية في المغرب ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1987م.

- **س . هوارد :**

22 – أشهر الرحلات في غرب أفريقيا ، ترجمة عبد الرحمن الشيخ ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1996 م.

خامساً : مراجع أجنبية :

1 – Brimingham: (spen ser)
- Islam in the sudan . oxford . 1949
- Islam in west Africa . o

2 – Palmer :
Bornu . Sahara . and the sudan . London . 1936

الملاحق

أولاً : الخرائط .

ثانياً : الوثائق .

ثالثاً : قائمة بأهم التواريخ في حياة الأزهر الشريف .

رابعاً : علماء الأزهر الشريف في عصوره الأولى .

خامساً: كتب الدراسة في الأزهر الشريف .

سادساً: قائمة بأشهر حكام الدولة الفاطمية (297 - 567هـ/909 - 1171م).

سابعاً : قائمة بأسماء سلاطين المماليك البحرية (648 - 784هـ/1250 - 1382م).

ثامناً : قائمة بأسماء سلاطين المماليك الجراكسة (784 - 923هـ/1382 - 1517م).

تاسعاً : الصور .

عاشراً : الفهارس العامة .

أولاً : الخرائط

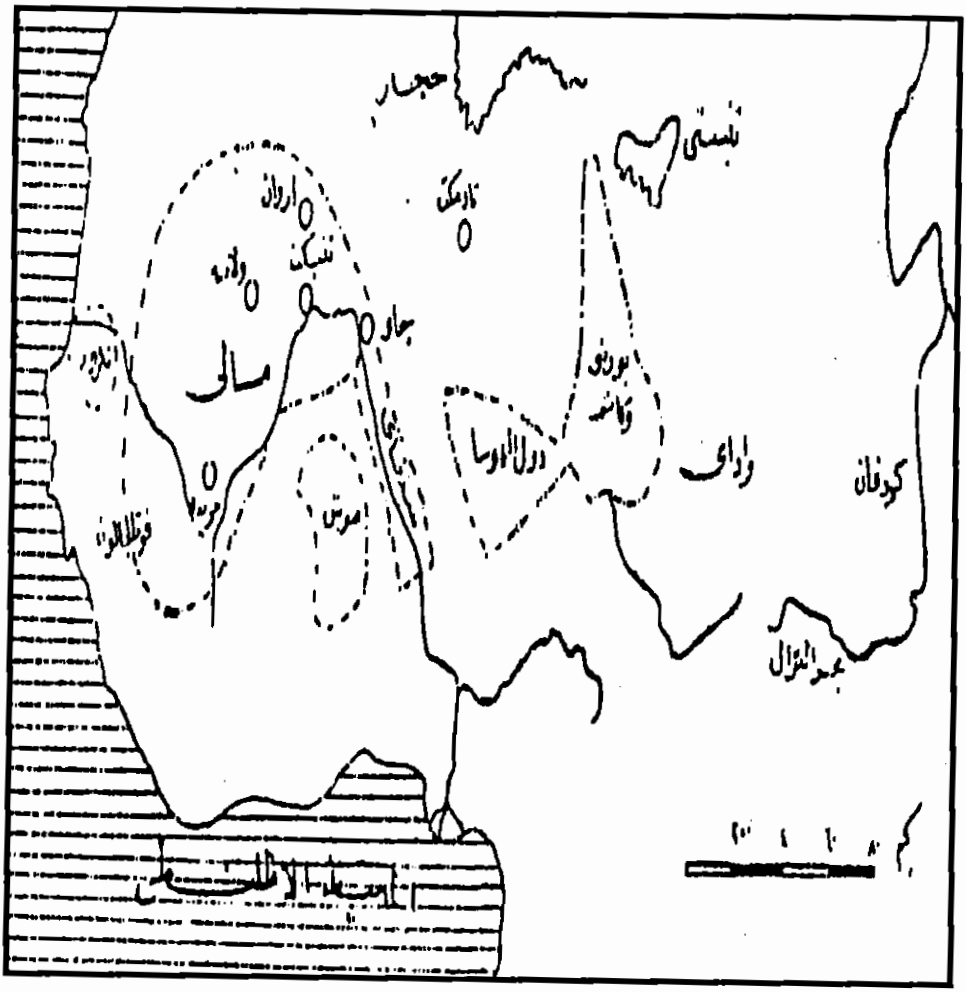

خريطة رقم (1)

1 – خريطة ممالك السودان في القرن الرابع عشر

المصدر: د/ كرم الصاوي باز ، الصراع بين العرش والعلماء . ص86.

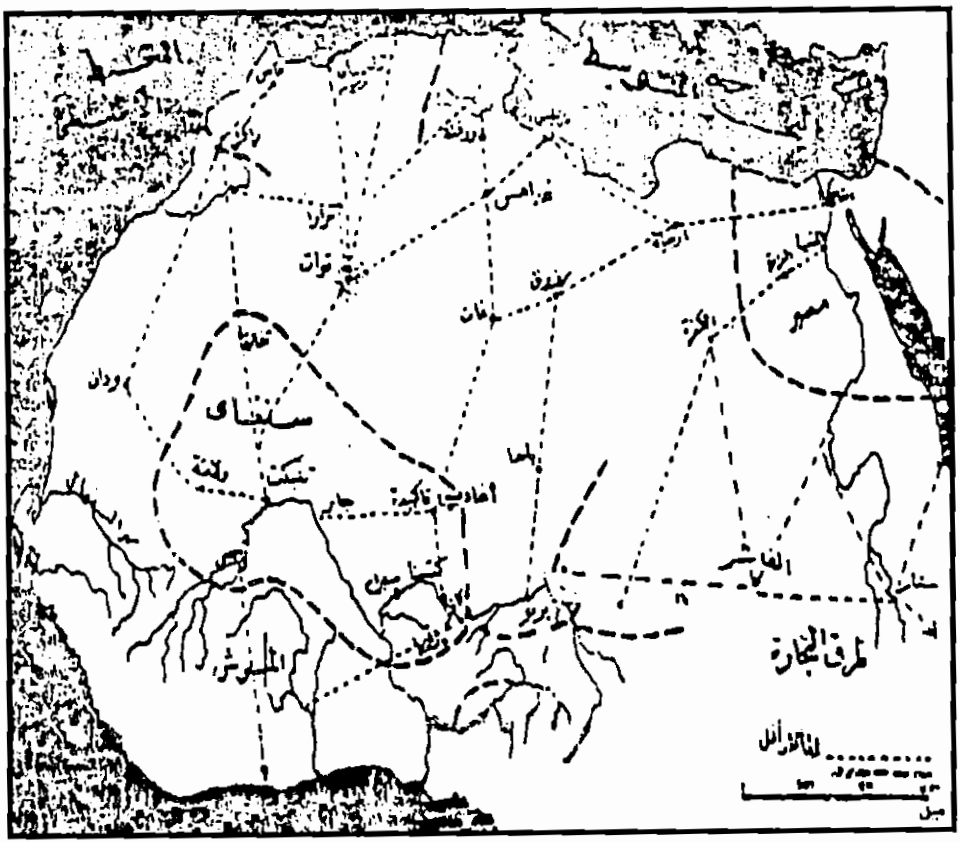

2 - خريطة الطرق التجارية

المصدر: د/ كرم الصاوي باز ، الصراع بين العرش والعلماء . ص88.

ثانياً : الوثائق

وثيقة رقم (1)

وثيقة وقف الأمير يشبك الدودار على الفقراء المجاورين بالجامع الأزهر

(والباقي من الأوقاف المذكورة أعلاه . . يصرف ما يتحصل منه في خبز بر طيب كل رغيف رطل بالمصري ، يعمل ذلك كل يوم ، وفي قمحية تطبخ بلحم ولبن وقمح كل يوم ، ويفرق ذلك كل يوم صدقة على الفقراء المجاورين بالجامع الأزهر ، فمن لم يكن له وظيفة ، فيعطى كل فقير منهم كل يوم رغيفان من الخبز المذكور وعلى قصعة قمحية من الطعام المذكور مع لحم يجعل له بذلك على ما يراه الناظر في ذلك ، ويؤدي إليه اجتهاده ، أو من يقوم مقامه في ذلك . وفيما يحتاج إليه ذلك من أجرة حريق خبز وأجرة طباخين وثمن حطب ، وقدر للطبخ وثمن جرارات وغير ذلك ، مما يحتاج إليه المطبخ المذكور ، وعمل الخبز المذكور ، بحسب الكفاية ، يستمر ذلك كذلك كل يوم على الدوام فإن فضل فيه شيء من الطعام أو الخبز أو اللحم عن تكفية الفقراء المجاورين المذكورين فيه تصدق بالفاضل في يومه على الفقراء الواردين على الجامع الأزهر المذكور أعلاه ، وهو الكائن بالقاهرة المحروسة) .

وثيقة الأمير يشبك الدودار رقم 188 ، محفظة 28 المصدر محمد محمد أمين ، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ، دار النهضة العربية ، القاهرة . ص8 .

وثيقة رقم (2)

نموذج للإجازات العلمية

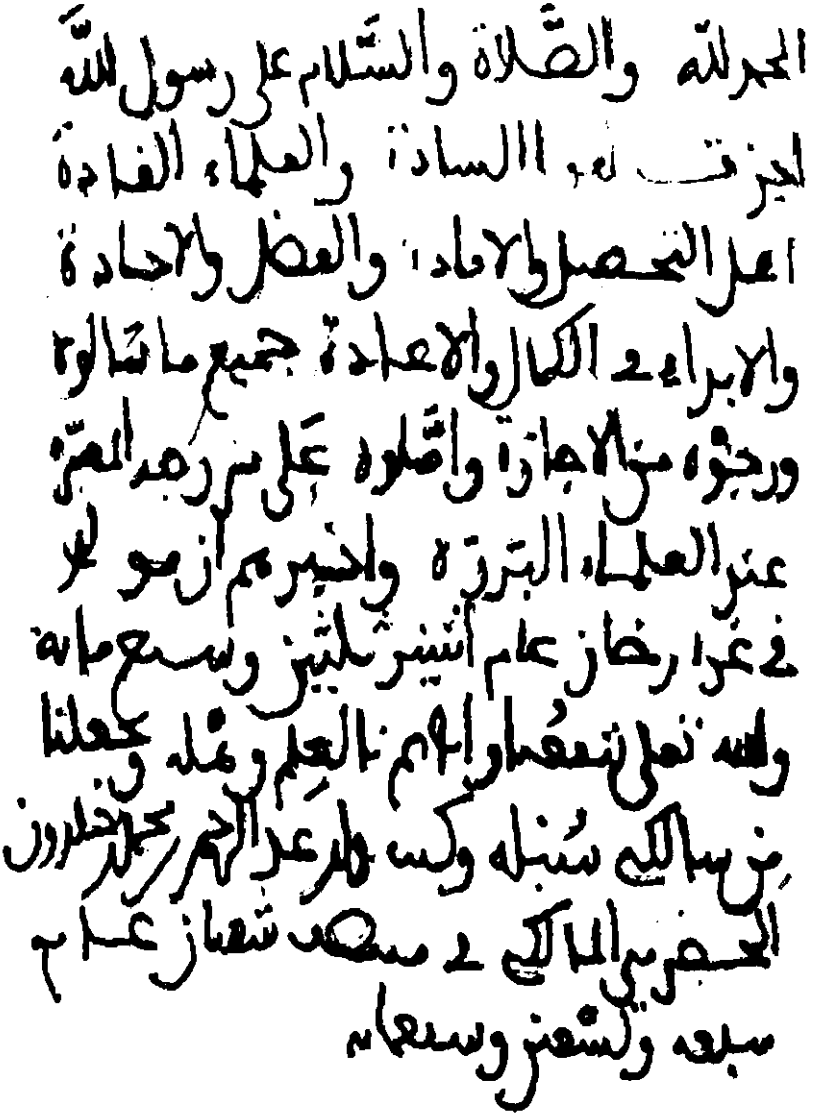
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله
أجاز له السادة العلماء الفادة
أهل التحصيل والإفادة والعقل والإجادة
والإبراء في الكمال والإعادة جميع ما سألوه
ورجوه من الإجازة وأملوه على سر رجد المعز
عز العلماء البررة وأشهدهم أن صح لهم
في غرة رخاز عام اثنين وثلاثين وسبع مائة
والله تعالى ينفعهم وإياهم بالعلم وعمله ويجعلنا
من سالكي سبله وكسائر عباده المخلصين
المحضرين المالكين في مقعد صدق عند ملك
مقتدر

وثيقة رقم (3)

رسالة السيوطي إلى ملك التكرور ، يوصيهم بتقوى الله والعدل بين الرعية، لخاتمة الحفاظ جلال الدين السيوطي الشافعي نفعنا الله ببركاته . آمين

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وصحبه وسلَّم .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ . [1]

من الفقير عبدالرحمن بن أبي السيوطي إلى الملوك والسلاطين ببلاد التكرور عموماً ، وإلى الملك الزاهد محمد بن صفعن صاحب أكدر[2] وأهله محمد وعمر ، وابن اختهم محمد ابن عبدالرحمن . وإلى الملك إبراهيم صاحب كاسنة [3] خصوصاً . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو ، وأصلي وأسلم على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . ثم أوصيكم بتقوى الله ، فإنها رأس الأمر وسنامه ، وقد فاز وأفلح من كان باعتصامه ، واحتكم على العدل بين الرعية والوقوف عند الأحكام الشرعية ، ولا يعدمن أمراً منكم ما آتاه الله من الملك والسلطنة ، وما خوَّله الله من زينة الحياة والدنيا كلها سنة منام [4] ، ولابد أن يستيقظ من السنة[5] . وقد بلغني عن أحدكم أنه يذكر أن له الحق الشرعي في واقعة ، والمحكوم عليه منتم إليه [6] فليحصنه ويحول بينه وبين صاحب الحق ، ويحصنه ويقول هذا دخل في ملكي أو جعل في سلطاني ، ورد ما حكم به الشرع

1 - سورة الأحزاب : آية رقم 70 ، 71.

2 - أكدر : وتسمى اقدز مدينة أسستها قبائل الطوارق في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي . وتقع غرب ليم جوبير ، وتسكنها قبائل ليبية . انظر الحسن الوزان : وصف أفريقيا . هامش 59 ، ص 545.

3 - كاسنا : وتعرف باسم كاتسينا . مدينة في نيجيريا .

4 - يقصد السيوطي بهذا القول أن الحكام والسلاطين لايعتقدون أن الملك دائم ، وأنه يشبه نوماً قصيراً ، دلالة على عدم دوام الحال .

5 - السنة : النوم القصير ، والغير عميق .

6 - المنتمي إليه : أي التابع للحاكم .

الشريف إقرار بالأماني أفلا يخشى أحدكم من مالك الملك ، أن يحل به العذاب الأكبر ، أو ينزل عليه سخطه في الدنيا قبل أن يقر إن بطش ربك لشديد . وماربك بظلام للعبيد . أيغتر أحدكم بملكه الذي هو كقطرة أو صبابة ، ويريد أن يلقي حكم الله بإقامة ناموسه الذي لايساوي عند الله جناح ذبابة . أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض ، أو يدكدك عليكم ما بين طولها والعرض . قال النبي ﷺ (**السلطان ظل الله في الأرض ، يأوي[1] إليه كل مظلوم من عباده ، فإذا عدل كان له الأجر ، وعلى الرعية الشكر ، وإذا جار كان عليه الإصر** [2]) وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (قلت يا رسول الله أخبرني عن هذا السلطان الذي ذلت له الرقاب ، وخضعت له الأجساد ما هو ؟ قال: **(ظل الله في الأرض فإن أحسنوا فلهم الأجر ، وعليكم الشكر ، وإن أساءوا فعليهم وعليكم الصبر)**[3] وقال النبي ﷺ (**سيليكم أمراء يفسدون ، وما يصلح الله بهم أكثر ، فمن عمل منكم بطاعة الله فلهم الأجر وعليكم الشكر . ومن عمل منكم بمعصية الله فعليهم الوزر وعليكم الصبر**)[4] . وقال النبي ﷺ (**صنفان من أمتي لن تنالهما شفاعتي . سلطان ظلوم ، غشوم ، عسوف ، وغال مارق من الدين**)[5] وقال النبي ﷺ (**ما من أحد يؤمَّر على عشرة فصاعدا إلا جاء في الأصفاد والأغلال**)[6] ، **وفي لفظ (إلا أتى به يوم القيامة مغلولاً ، نقله العدل أو يوبقه الجور)** . وقال النبي ﷺ (**من ولي عشرة فحكم بينهم بما أحبوا أو كرهوا جيء به مغلولة يده فإن عدل ، ولم يرش**[7] **ولم يحِفْ فك الله عنه ، ومن أرشا وحابا فيه شُدت يساره إلى يمينه ثم أرمي**

---

1 - يأوي إليه : يلجأ إليه المظلومون .

2 - الإصر : الذنب العظيم ، أخرجه ابن زنجويه في كتاب (الأموال) (32) مرسلاً عن كثير بن مرة، وقد رفعه ابن عمر إلى النبي أخرجه البزار في مسنده (5383).

3 - أخرجه أبو نعيم في (فضيلة العادلين من الولاة) (40) عن عمر بن الخطاب. وكذا قوام السنة للأصبهاني في الترغيب والترهيب (2087) .

4 - أخرجه أبو عمرو الداني في (السنن الواردة في الفتن) (130) عن ابن مسعود.

5 - أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (35 . 423) ضعفه الألباني.

6 - أخرجه الحاكم في مستدركه (7009) عن أبي هريرة وصحح إسناده ووافقه الذهبي.

7 - يرش : يأخذ رشوة ، أو يساعد عليها الآخرين.

به في جهنم فلم يبلغ مقرها خمسمائة عام)[1] . وقال النبي ﷺ (إذا كان يوم القيامة أتي بالوالي ، فيُوقف على جسر جهنم فيأمر الله الجسر فينتفض به انتفاضة ويزول كل عظم من مكانه ، ثم يأمر الله العظام أن ترجع إلى أماكنها ، ثم يسائله فإن كان لله تعالى مطيعاً أخذ بيده وأعطاه كفلين من رحمته . وإن كان لله عاصياً حرق به الجسر فهو في جهنم مقدار سبعين خريفاً) .

وقال النبي ﷺ (ستة لعنتهم فلعنهم الله ، وكل نبى مجاب الدعوة : المكذب بقدر الله . والزائد في كتاب الله . والمستحل من عترتي ما حرم الله ، والمتسلط بالجبروت ليعز ما أذله الله ويذل ما أعز الله)[2] . وقال النبي ﷺ (أهل الجور وأعوانهم في النار)[3] وقال النبي ﷺ (أشهد الله على الوالي من بعدي لما رقّ على جماعة المسلمين ، ورحم صغيرهم ، وأجل كبيرهم ، وأعطى عمالهم ، لايضربهم فيذلهم ، ولايخصيهم فيقطع نسلهم ، ولايغلق بابه دونهم فيأكل قويهم ضعيفهم ، ولا يجعل المال دولة بين الأغنياء منهم . ألا قد بلغت . اللهم فاشهد)[4] . وقال النبي ﷺ : (إن المقسطين عند الله يوم القيامة على منابر من نور ، عن يمين العرش هم الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا)[5] . وقال النبي ﷺ (عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة ، قيام ليلها وصيام نهارها . وجور ساعة أشد وأعظم عند الله من معاصى ستين سنة)[6] . وفي الحديث (السلطان ظل الله على الأرض . فمن غشيه ضل ، ومن نصحه اهتدى) .

---

1 - أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (86/7) حديث رقم (6933) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

2 - أخرجه ابن مردويه في مجالسه (29) (186/1) عن عائشة رضي الله عنها.

3 - أخرجه الحاكم في مستدركه (7007) عن حذيفة بن اليمان وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ولكن قال الذهبي: منكر.

4 - أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (6985) وكذا في السنن الكبرى (16644) وأبو يوسف الفسوي في مشيخته (125/1) حديث (178) .

5 - ما ولوا : أي عندما يتولون الحكم، والحديث أخرجه عبد الله بن المبارك في الزهد والرقائق (522/1) حديث رقم (1484) وكذا الحميدي في مسنده (599) عن عبدالله بن عمرو بن العاص.

6 - أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في (فضيلة العادلين من الولاة) (116/1) حديث رقم (15) وأخرجه قوام السنة في الترغيب والترهيب (2178) .

فلذلك بلَّغت لكم النصيحة ، وبلَّغتكم ما جاء عن رسول الله ﷺ من الأحاديث الصحيحة ، فأقيموا السلطنة بعدلها ، وأدوا الأمانة إلى أهلها . ومما نعنى به بالخصوص قضية الحاج محمد الترجمان مع عبده الذي عليه تغليب ، وحاد عن الحق وتنكب . وحكم عليه القاضي محمد بن عبدالكريم [1] بأنه باقٍ في رقه ، وأمر أن يسلم إلى مستحقه فاغتنم ، ابعد عن الباطل ، وجعلتم الشرع الشريف كالعاطل[2] ، فتوبوا إلى الله من هذه الموبقة ولا تحولوا بين السيد وعبده إلا أن يكاتبه[3] و يعتقه ، وقد بلغني أن محمد بن مريم أقلع عما كان عليه . وتاب ورجع إلى الله وأناب ، وهذا الذي ينفعه في المآب .

وقد بلغني عن أهل كوبر أن من مرض ذبح عبد له ، أو أمة ويزعم أن ذلك يفديه من الموت ، أكفره فيما صنعه ، وفيما زعمه هذا مما يسوله الشيطان ، ومما يزيده من العدوان ، ومما يؤول بصاحبه إلى الكفران . فليعلم من فعل ذلك أن الله بريء منه ورسوله . وليس هو ببالغ ذلك هناه وسؤله لو أعتقه كان أقرب إلى الفدا بعيداً عن الاعتداء ، فمن عرض له أمر فليعرضه على حملة الشريعة ، ويسأل عالماً يوثق بعلمه ، ويجب عليه أن يطيعه . واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون .

تمت بحمد الله ، وعونه وحسن توفيقه والحمد لله وحده . على يد ناسخها ومالكها الفقير عبدالله بن السيدين ذر[4] سيدى أبي القاسم الحسيني الطهطاوي . تاريخ يوم الاثنين سابع عشرين ربيع الأول 1117هـ .

المرجع / زينب أحمد علي : علاقة مصر بالدول الإسلامية في حوض نهر النيجر .

1 – فى إشارة للعالم محمد بن عبدالكريم المغيلي.

2 – يقصد أنهم لايطبقون أحكام الشريعة الإسلامية الغراء.

3 – يكاتبه : المقصود بالمكاتبة في الفقه الإسلامي أن يتفق العبد مع سيده على إعطائه الحرية مقابل مبلغ من المال.

4 – ذر : خلف أو عقب ، أو أبناء.

ثالثاً: قائمة بأهم التواريخ في حياة الأزهر الشريف

م	الحدث	التاريخ
1	الغزو الفاطمي لمصر	358هـ/ 969م .
2	وضع حجر الأساس للجامع الأزهر	359هـ/ 970م .
3	الفراغ من بناء الجامع الأزهر	361هـ/ 972م .
4	إنشاء المدرسة الناصرية	566هـ/ 1170م .
5	إنشاء المدرسة القمحية	566هـ/ 1170م .
6	إنشاء المدرسة السيوفية	572هـ/ 1176م .
7	إنشاء المدرسة الكاملية	622هـ/ 1225م .
8	إنشاء خانقا سعيد السعداء	569هـ/ 1173م .
9	قيام دولة المماليك البحرية	783هـ/ 1381م .
10	قيام دولة المماليك البرجية	923هـ/ 1517م .
11	إعادة الخطبة في الجامع الأزهر	665هـ/ 1266م .
12	إنشاء منصب ناظر الأزهر	784هـ/ 1382م .
13	تحويل الأروقة لسكن الطلاب	702هـ/ 1302م .
14	تخصيص أول وقفية للأزهر	361هـ/ 972م .
15	إنشاء المدرسة العنانية	756هـ/ 1355م .
16	إنشاء مدرسة الحلفايين بفاس	670هـ/ 1371م .
17	قيام منسا موسى برحلة للحج	725هـ/ 1324م .
18	إنشاء جامع الزيتونة بتونس	123هـ/ 735م
19	إنشاء جامع القرويين	245هـ/ 859م .
20	سقوط مدينة بغداد	656هـ/ 1258م .

رابعاً : علماء الأزهر الشريف في عصوره الأولى

علماء العصر الفاطمي:

م	الاسم والتخصص	تاريخ الوفاة
1	أبو يعقوب قاضي الخندق	غير معلوم
2	الحسن بن زولاق(مؤرخ)	387هـ/ 988م .
3	المسبحي (مؤرخ)	420هـ/ 1029م .
4	القضاعي	454هـ/ 1062م .
5	الحوفي (عالم لغوى)	430هـ/ 1038م .
6	ابن بابشاذ (عالم نحوي)	469 هـ/ 1077م .
7	ابن هشام (عالم قراءات)	478 - 560هـ/ 1085 - 1164م .
8	ابن يونس (عالم فلك)	399هـ/ 1008م .

علماء العصر الأيوبي:

م	الاسم والتخصص	تاريخ الوفاة
1	عبدالله بن نجم بن شاس (فقه مالكي)	610هـ/ 1213م .
2	عبدالله بن الحسن الشيبي (فقه مالكي)	622هـ/ 1225م .
3	وجيه الدين بن عبدالوهاب البهنسي (فقه شافعي)	غير معلوم
4	صدر الدين بن حمويه (فقه شافعي)	639هـ/ 1247م .
5	ابن زين التجار (فقه شافعي)	591 هـ/ 1194م .
6	عبدالله بن محمد الحريري (فقه حنفي)	584هـ/ 1188م .
7	الغزنوي (فقه حنفي)	599هـ/ 1202م .
8	الحراني (فقه حنبلي)	695هـ/ 1295م .

9	الشاطبي (عالم قراءات)	572هـ/ 1176م .
10	يحي بن عبدالمعطي بن عبدالنور (نحوي)	628هـ/ 1230م .

علماء العصر المملوكي:

م	الاسم والتخصص	تاريخ الوفاة
1	ابن حجر العسقلاني (علم الحديث)	852هـ/ 1448م .
2	هشام المصري (لغوي)	761 هـ/ 1359م .
3	ابن منظور (لغوي)	711هـ/ 1311م .
4	أحمد السجيني (رياضيات)	885هـ/ 1480م .
5	ابن الهائم (علم الحساب)	815هـ/ 1412م .
6	أبوالنجا بن خلف (الموسيقي)	غير معلوم
7	محمد بن عبدالرحمن بن عيسى (كيمياء)	853هـ/ 1449م .
8	قنبر بن عبد الله الشيرازي (علم التصوف)	801هـ/ 1398م .
9	برهان الدين بن أحمد	859هـ/ 1163م .
10	داود بن علي القلتاوي	902هـ/ 1496م .
11	سليمان بن شعيب البحيري	توفي 912هـ
12	محمد بن أبي بكر الدماميني	828هـ/ 1424م .
13	صالح بن محمد الباقوري	843هـ/ 1439م .

علماء الأزهر الأفارقة:

أولاً : علماء بلاد المغرب الإسلامي (شمال أفريقيا)

م	الاسم	تاريخ الوفاة
1	ابن خلدون (مؤسس علم الاجتماع)	842هـ/ 1405م .
2	الزواوي (تصوف)	855هـ/ 1451م .

3	أحمد بن عيسى الغماري	682هـ / 1283م .
4	عبد القوي بن محمد البجائي	816هـ / 1413م .
5	عبدالرحمن بن علي القصري	956هـ / 1549م .
6	أحمد بن عيسى الغماري	682هـ / 1283م .
7	التجيبي	725هـ / 1324م .
8	أحمد بن أحمد زروق	899هـ / 1493م .
9	الصفاقسي	742هـ / 1241م .

ثانياً : علماء بلاد السودان الغربي (غرب أفريقيا)

م	الاسم	الوفاة
1	محمود بن عمر	955هـ/ 1548م .
2	أحمد بن عمر بن أقيت	942هـ/ 1535م
3	العاقب بن عبدالله	950هـ/ 1543م .
4	التاذخني	936هـ/ 1529م .
5	عبدالعزيز التكروري	قدم لمصر في عام 850هـ/ 1446م .

ثالثاً: علماء السودان الشرقي (شرق أفريقيا)

م	الاسم	تاريخ الوفاة
1	عبدالله بن يوسف الزيلعي	712هـ/ 1360م .
2	فخر الدين الزيلعي	743هـ/ 1439م .

خامساً : كتب الدراسة في الأزهر الشريف

أولاً : العصر الفاطمي:

م	اسم الكتاب	المؤلف
1	الرسالة الوزيرية (فقه شيعي)	يعقوب بن كلس
2	الاقتصار في الفقه الشيعي	ابن النعمان القيرواني
3	أخبار قضاة مصر (تاريخ)	ابن زولاق
4	أخبار مصر في سنتين	المسبحي
5	إعراب القرآن الكريم	الحوفي
6	شرح الأصول (لغة)	ابن بابشاذ
7	شرح الجمل	ابن بابشاذ
8	الزيج الحاكمي (علم الفلك)	ابن يونس

ثانياً : العصر الأيوبي:

م	اسم الكتاب	المؤلف
1	الفصول (نحو)	يحي بن عبدالنور
2	البصائر (فقه مالكي)	عبدالله بن حسن الشيبي
3	الرعاية الكبير (فقه حنفي)	نجم الدين أبو عبدالله أحمد بن حمدان
4	الشاطبية والمعروفة بحرز الأماني (قراءات)	خلف بن أحمد الشاطبي

ثالثاً : العصر المملوكي:

م	اسم الكتاب	المؤلف
1	لسان العرب(لغة)	ابن منظور
2	الموطأ (حديث)	الإمام مالك بن أنس
3	فتح الباري بشرح صحيح البخاري(حديث)	ابن حجر العسقلاني
4	شرح إرشاد ابن عسكر	سليمان بن شعيب البجيرى
5	المبتدأ والخبر (تاريخ)	ابن خلدون
6	شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام	محمد الفاسى
7	مختصر شرح خليل(فقه مالكي)	خليل بن إسحاق الجندي المالكي
8	مقدمة ابن خلدون	ابن خلدون

رابعاً : كتب بلاد السودان الغربى:

م	اسم الكتاب	المؤلف
1	الموطأ (حديث)	الإمام مالك
2	مختصر خليل(فقه مالكي)	خليل بن إسحاق الجندي
3	كنز الرقائق(فقه حنفي)	أبو البركات عبدالله بن أحمد
4	الأحكام (أصول فقه)	أبو الحسن بن أبي على الآمدي
5	صحيح البخاري وصحيح مسلم	البخاري ومسلم
6	ألفية مالك (نحو)	ابن مالك جمال الدين بن عبدالله
7	تلخيص المفتاح(بلاغة)	جلال الدين محمد بن عبدالرحمن القزويني
8	الشفاء في حقوق المصطفى	القاضي عياض بن موسى

سادساً : قائمة بأشهر حكام الدولة الفاطمية
(297 - 567هـ/909 - 1171م)

م	الحاكم	تاريخ التولية
1	أبو محمد عبيد الله المهدي بالله	297 - 322هـ/ 909 - 934م .
2	أبو القاسم محمد القائم بالله	322 - 334هـ/ 934 - 945م .
3	أبو طاهر إسماعيل المنصور بالله	334 - 341هـ/ 945 - 952م .
4	أبو تميم المعز لدين الله	314 - 365هـ/ 952 - 975م .
5	أبو منصور نزار العزيز بالله	365 - 386هـ/ 975 - 996م .
6	أبو علي المنصور الحاكم بأمر الله	386 - 411هـ/ 996 - 1020م
7	أبو الحسن علي الظاهر لإعزاز دين الله	411 - 427هـ/ 1020 - 1035م.
8	أبو تميم معد المستنصر بالله	427 - 487هـ/ 1035 - 1094
9	أبو القاسم أحمد المستعلي بالله	487 - 495هـ/ 1094 - 1101م.
10	أبو علي المنصور الآمر بأحكام الله	495 - 524هـ/ 1101 - 1130م.
11	أبو الميمون عبدالمجيد الحافظ لدين الله	524 - 544هـ/ 1130 - 1149م.
12	أبو المنصور إسماعيل الظافر بأمر الله	544 - 549هـ/ 1149 - 1154م.
13	أبو القاسم عيسى الفائز بنصر الله	549 - 555هـ/ 1154 - 1160م.
14	أبو محمد عبدالله العاضد لدين الله	555 - 567هـ/ 1160 - 1171م.

المصدر: د/ مصطفى رمضان: مناهج البحث التاريخية ، القاهرة ، 1997م ، ص248

سابعاً: قائمة بأسماء سلاطين المماليك البحرية
648 - 784هـ/1250 - 1382م

م	اسم السلطان	مدة الحكم
1	عز الدين أيبك	648 - 654هـ/ 1250 - 1256م
2	علي أيبك المنصور	655 - 656هـ/ 1257 - 1258م
3	سيف الدين قطز	657 - 658هـ/ 1258 - 1259م
4	الظاهر بيبرس	658 - 676هـ/ 1259 - 1277م
5	محمد بركة بن بيبرس	676 - 678هـ/ 177 - 1279م
6	سلامش بن بيبرس	678هـ/ 1279م
7	المنصور قلاوون	678 - 689هـ/ 1279 - 1290
8	خليل بن قلاوون	689 - 693هـ/ 1290 - 1293م
9	بيدار	تولى السلطة يوم واحد
10	محمد بن قلاوون	693 - 694هـ/ 1293 - 1294م
11	كتبغا	694 - 696هـ/ 1294 - 1296م
12	حسام الدين لاجين	696 - 698هـ/ 1296 - 1298م
13	محمد بن قلاوون	698 - 707هـ/ 1298 - 1308م
14	بيبرس الجاشنكير	708 - 709هـ/ 1308 - 1309م
15	محمد بن قلاوون	709 - 741هـ/ 1309 - 1340م
16	أبوبكر بن الناصر محمد	714 - 742هـ/ 1340 - 1341م
17	كجيك بن الناصر محمد	742هـ/ 1341م
18	أحمد بن الناصر محمد	742 - 743هـ/ 1342م
19	إسماعيل بن الناصر محمد	743 - 746هـ/ 1342 - 1345م
20	شعبان بن الناصر محمد	746 - 748هـ/ 1345 - 1346م

21	حاجي بن الناصر محمد	747 – 748هـ/ 1346 – 1347م
22	حسن بن الناصر محمد	748 – 752هـ/ 1347 – 1351م
23	صالح بن الناصر محمد	752 – 755هـ/ 1351 – 1354م
24	حسن بن الناصر محمد	755 – 762هـ/ 1354 – 1360م
25	محمد بن حاجي	762 – 764هـ/ 1360 – 1362م
26	شعبان بن حسين	764 – 778هـ/ 1362 – 1376م
27	علي بن شعبان	778 – 783هـ/ 1376 – 1386م
28	أمير حاج	783 – 784هـ/ 1381 – 1382م

ثامناً : قائمة بأسماء سلاطين المماليك الجراكسة
784 - 923هـ/1382 - 1517م

م	اسم السلطان	مدة الحكم
1	برقوق بن انص	784 - 791هـ/ 1382 - 1388م
2	أمير حاج بن شعبان	791 - 793هـ/ 1388 - 1389م
3	برقوق (السلطنة الثانية)	793 - 801هـ/ 1389 - 1398م
4	فرج بن برقوق	801 - 808هـ/ 1398 - 1405م
5	عبدالعزيز بن برقوق	808هـ/ 1405م
6	فرج بن برقوق (السلطنة الثانية)	808 - 815هـ/ 1405 - 1412م
7	الخليفة المستعين	815هـ/ 1412م
8	شيخ المحمودي (المؤيد)	815 - 824هـ/ 1412 - 1421م
9	أحمد بن شيخ المظفر	824هـ/ 1421م
10	ططر الظاهري	824هـ/ 1421م
11	محمد بن ططر الصالح	824 - 825هـ/ 1421 - 1422م
12	الأشرف برسباي	925 - 841هـ/ 1422 - 1437م
13	يوسف بن برسباي	841 - 842هـ/ 1437 - 1438م
14	جقمق الظاهر	842 - 857هـ/ 1438 - 1453م
15	عثمان بن جقمق	858هـ/ 1453م
16	الأشرف إينال	858 - 865هـ/ 1453 - 1460م
17	أحمد بن إينال المؤيد	865هـ/ 1460م
18	خشقدم	865 - 872هـ/ 1460 - 1467م
19	بلباى المؤيدي	872هـ/ 1467م
20	تمربغا	872هـ/ 1467م

21	خير بك	تسلطن ليلة واحدة
22	قايتباى المحمودي	872 - 901هـ/ 1467 - 1496م
23	محمد بن قايتباي	901 - 902هـ/ 1496 - 1497م
24	قانصوة	902هـ/ 1497م
25	محمد بن قايتباي	902 - 904هـ/ 1497 - 1498م
26	قانصوة الأشرفي	904 - 905هـ/ 1498 - 1491م
27	جان بلاط	905 - 906هـ/ 1499 - 1500م
28	طومان باي بن قايضوه	906هـ/ 1501م
29	قنصوة الغوري	906 - 922هـ/ 1501 - 1516م
30	الأشرف طومان باي	922 - 923هـ/ 1516 - 1517م

تاسعاً : الصور

1 – عمائر المماليك للأزهر الشريف .

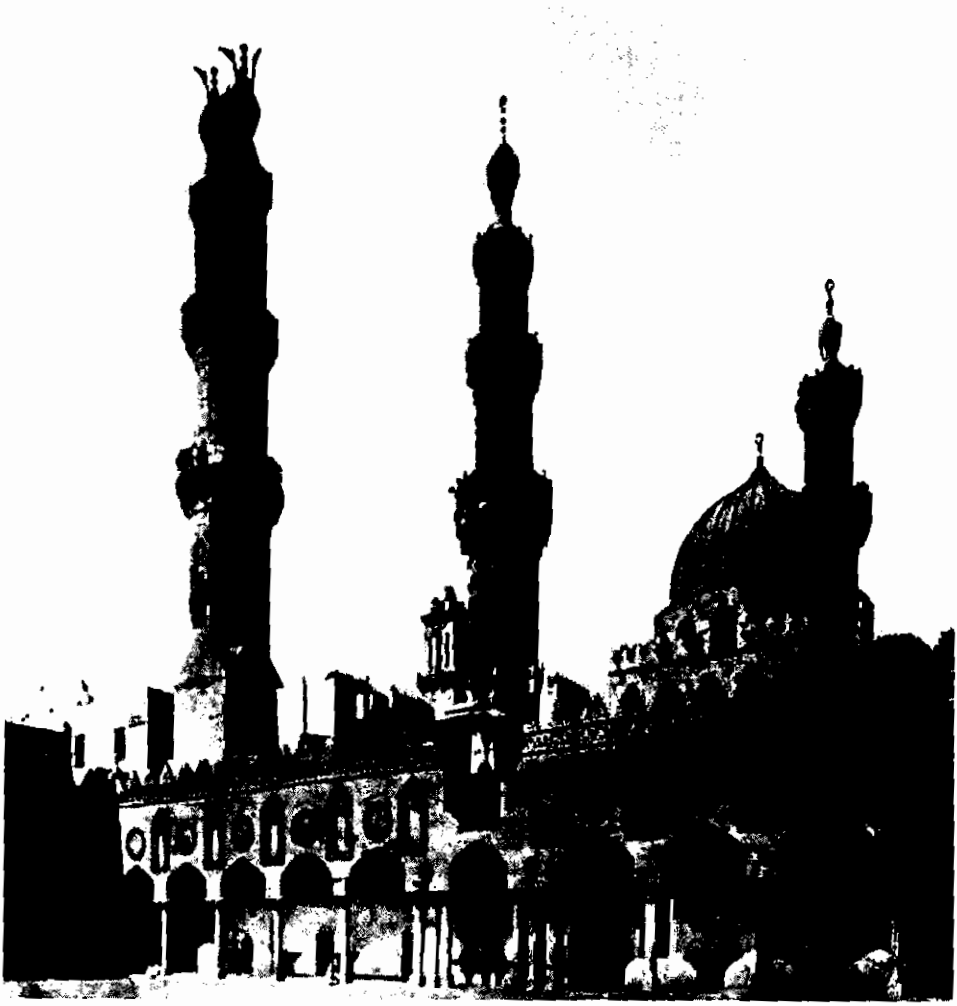

2 - صحن الجامع الأزهر الشريف ، وأروقته .

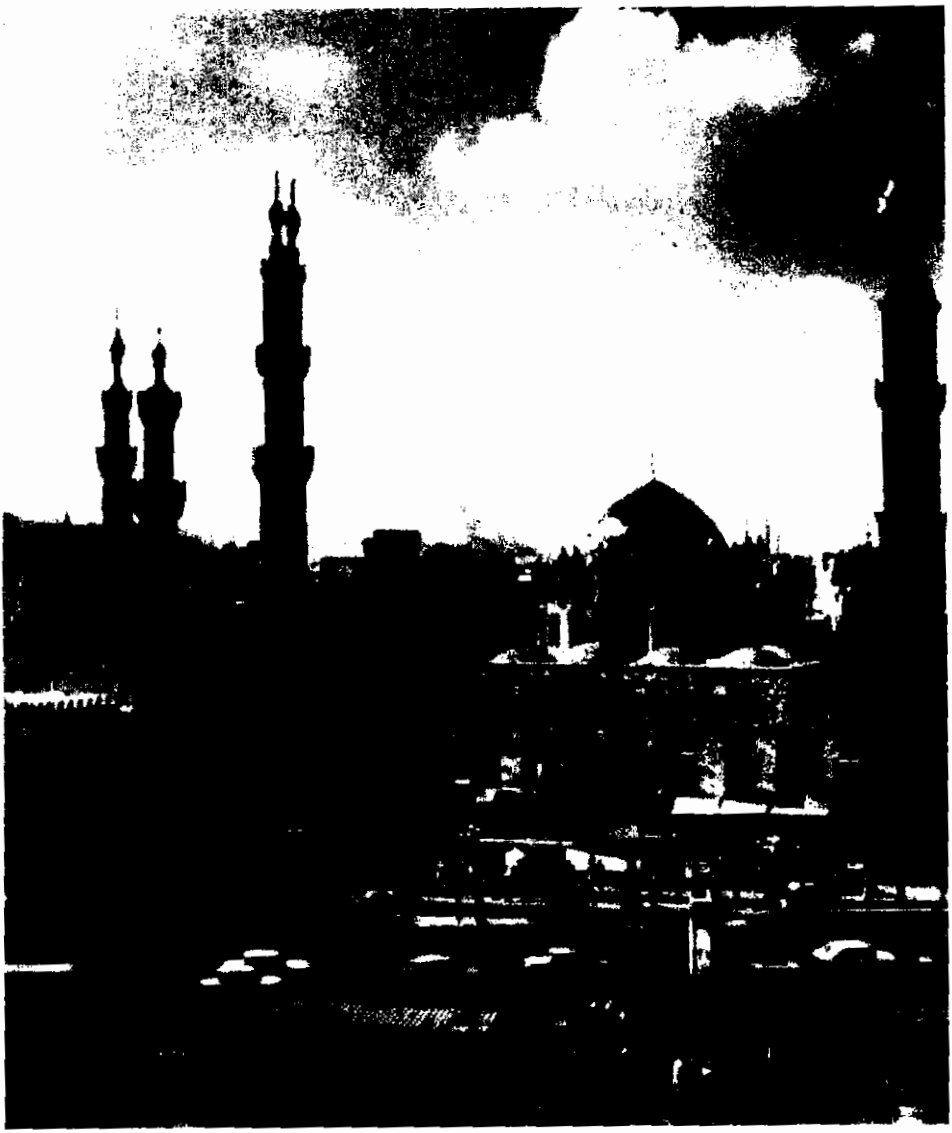

3 – بانوراما للجامع الأزهر الشريف ، والآثار المحيطة به .

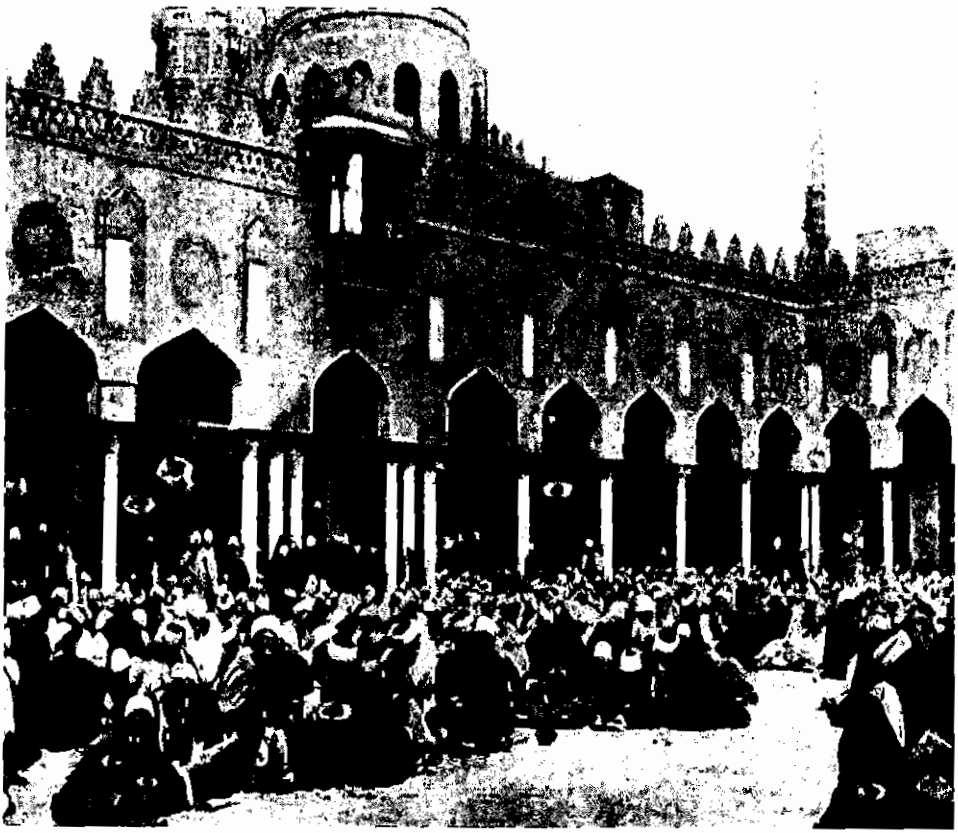

4 - صورة للحلقات التعليمية بالجامع الأزهر الشريف .

عاشراً: الفهارس العامة

1 - فهرس الأعلام

(أ)

- الآمدي : 118
- إبراهيم بن أحمد الأغلبي : 160
- إبراهيم بن أحمد برهان الدين : 61
- إبراهيم الباجوري : 190
- إبراهيم (بن حاجي بن عوف) : 114
- إبراهيم الفرضي (الشيخ) : 165
- ابن بابشاذ النحوي = طاهر بن أحمد أبوالحسن
- ابن بنت الأعز : 163
- ابن برهان الدين المصري : 152
- ابن بطوطة : 85 ، 99 ، 152 ، 157، 170 ، 173 ، 177 ، 178 ، 182 ، 183، 189
- ابن جبير (الرحالة) : 24
- ابن حجر العسقلاني : 56 ، 61
- ابن حوقل : 108
- ابن حيان : 58
- ابن خلدون : 104 ، 139 ، 150 ، 151 ، 196 ، 212
- ابن خلكان : 53
- ابن الريس : 35
- ابن زين النجار : 26
- ابن السيوفي : 35
- ابن فضل الله العمري : 81
- ابن مالك (صاحب الألفية) : 118
- ابن المظفر حسن : 100
- ابن منظور : 57
- ابن النعمان (القاضي) : 45 ، 47
- ابن الهائم : 57
- ابن هشام : 57 ، 58 ، 163
- ابن يونس الفلكي : 50
- أبو بكر بن عبد الحق : 80
- أبو بكر بن نصر الدين بن محمود : 208
- أبو حفص يحيى بن عمرو الهنتاني: 82
- أبو حمو موسى الأول بن عثمان : 82
- أبو حنيفة : 120
- أبو ركوة : 89
- أبو زيان محمد الأول : 82
- أبو شجاع : 68
- أبو العباس أحمد : 213
- أبو العباس الفضل الحفصي : 83
- أبو عبدالله بن سلامة القضاعي : 49
- أبو عبدالله الشيعي : 13
- أبو عثمان : 81
- أبو عنان فارس المريني : 156
- أبو محمد عبد الله الحفصي : 83
- أبو المكارم هبة الله : 89
- أبو النجا بن خلف المصري الشافعي : 58
- أبو يحي بن يعمر أسن بن زيان : 81
- أبو يعقوب (قاضي الخندق) : 46

- أحمد باشا (الوزير) : 37
- أحمد السجيني : 57 ، 58
- أحمد شعبان المعقور : 92
- أحمد بن طولون : 14
- أحمد بن عمر بن أقيت : 148
- أحمد القرين : 97 ، 200
- أحمد منصور الذهبي : 86
- أحمد هاشم أبو القاسم : 160
- أحمد بن هشام المصري : 50
- أحمد بن يعقوب الأطفيحي : 60
- الأحمدي الظواهري (الشيخ) : 41
- إدريس أبو العلاء الواثق : 79
- أرباب بن عودة : 129
- إسحاق بن داود : 97
- أسد الدين شيركوه : 19
- أسكيا إسحاق : 85
- أسكيا محمد الأول : 85 ، 86 ، 115، 173 ، 176 ، 188 ، 197 ، 198 ، 200 ، 202
- الأشرف خليل : 33
- الأشرف قايتباي : 33
- الأشموني : 71 ، 74
- أمونة بنت عبود : 190
- أوم بن عبد الجليل : 87

(ب)

- بادي أبو دقن : 94
- بتول الغبشة : 190
- البجائي : 147 ، 162
- بدر الدين بن جنكل : 33
- بدر الدين بيليك : 34
- برقوق (السلطان) : 28 ، 31 ، 33 ، 66، 212
- برهان الدين المصري : 196
- بهادر الطواشي (الأمير) : 31
- بيبرس البند قداري (السلطان الظاهر) : 28 ، 30 ، 32 ، 84 ، 90 ، 142
- البيجوري : 67
- البيضاوي : 67
- بيلبك الخازندار : 143

(ت)

- التازخني : 148
- التجيبي : 147
- التفتازاني : 67
- توماس أرنولد : 175

(ج)

- الجريري : 26
- جريجيروس : 103
- جقمق (السلطان) : 30
- جلال الدين القزويني : 119
- جمال الدين : 97
- جمال الدين شويخ بن صيرم : 22
- جمال الدين عبد الله الزيلعي : 213
- جمال الدين محمد بن سليمان : 163
- الجمزوري : 68
- جوزيف سومسون : 175
- جولد زيهير : 71

- جوهر الصقلي : 13 ، 14 ، 15
- جوهر القنقبائي (الأمير) : 35

(ح)

- حاجي (الملك) : 28
- الحافظ لدين الله : 16
- الحاكم بأمر الله : 16 ، 50 ، 89 ، 142
- الحراني : 26
- حسان بن النعمان : 104
- حسن الجبرتي : 150
- الحسن بن ذولاق : 49
- الحسن بن علي : 18
- الحسن الوزان : 15 ، 156
- حسونة النواوي (شيخ الأزهر) : 39 ، 40
- الحسين بن علي : 17 ، 18
- حق الدين (سلطان أوفات) : 96
- حق الدين الثاني : 96
- الحوفي (ت 430 هـ) : 49

(خ)

- الخدري (عالم تونسي) : 160
- خلف بن أحمد الشاطبي : 26
- خليل (صاحب المختصر) : 68 ، 117
- خير الدين : 82

(د)

- داود بن سيف أرعد : 208
- داود بن علي بن محمد القلتاوي : 61
- الدردير : 67 ، 190
- دشين (القاضي) : 165
- الدماميني محمد بن أبي بكر بن عمر (ت 828هـ) : 62

(ذ)

- الذهبي : 109

(ر)

- الرازي : 67
- الركراكي : 151

(ز)

- زاكسي (ملك) : 85
- الزرقاني : 68
- زروق : 147
- زكريا بن عبد الحق أبو يحي : 80
- زهير بن قيس البلوي : 104
- الزواوي أحمد بن صالح بن خلاسة (ت 855هـ) : 62
- زيادة الله : 160

(س)

- سالم السنهوري : 164
- السبكي : 68
- سعد بن محمد بن عجلون الأزهري : 34
- السعدي : 117 ، 121
- سعيد باشا : 74
- سعيد السعداء (خادم) : 24
- سلار الأمير : 32
- سلمان بن سلمان بن مظفر النبهاني : 101
- سليمان أحمد شعبان المعقور : 92
- سليمان سولون : 92

- سليمان بن شعيب بن خضر البحيري : 61
- سُن علي : 85 ، 188 ، 205 ، 210 ، 211
- سنداياتا : 84
- السهروردي : 56
- سيف بن ذي يزن : 86
- سيف الدين قطز : 28
- السيوطي : 68 ، 86 ، 115 ، 176 ، 188 ، 205

(ش)

- الشاطبي : 68
- الشافعي : 120
- شاكر (من رجال عقبة بن نافع) : 125
- شاور : 19
- شجر الدر : 28
- الشرنبلالي : 68
- شمس الخواص مسرور : 23
- شمس الدين اللقاني : 190
- شهاب الدين أحمد : 67

(ص)

- صبر الدين : 96
- صبر الدين الثاني : 97
- صدر الدين أبو الحسن محمد بن حمويه الجويني : 21 ، 24 ، 26
- صدر الدين بن درباس (القاضي) : 20
- الصفاقسي : 147
- صلاح الدين الأيوبي : 19 ، 20 ، 22 ، 24 ، 25 ، 90

(ض)

- ضرغام : 19
- ضيف الله بن علي : 130

(ط)

- طاهر بن أحمد أبو الحسن : 49، 50
- الطواشي سعد الدين : 143
- طومان باي : 29

(ع)

- عائشة بنت محمد الفدال : 190
- العادل (الملك) : 22
- العاضد (الخليفة) : 19 ، 21
- العاقب بن عبدالله : 148 ، 195
- العاقب بن محمد بن عمر : 195 ، 196
- عبدالجليل (سلطان بو لاله) : 88
- عبد الحق بن محيو : 79
- عبد الرحمن بن جابر : 130
- عبد الرحمن بن خلدون : 62
- عبد الرحمن بن علي القصري : 147
- عبد الرحمن كتخدا (الأمير) : 37
- عبد الرحمن بن ولاد البر : 129
- عبد العزيز التكروري : 148
- عبد العزيز بن مروان : 104
- عبد اللطيف البغدادي : 53
- عبد الله أبو تميم معد : 15
- عبد الله جماع : 93
- عبد الله حسن الكردي : 191
- عبد الله بن سعد بن أبي السرح : 103 ، 107

- عبد الله بن شمبو : 91
- عبد الله العركي : 165
- عبد الله بن علي بن الحسين الشيبي : 26 (ابن شاكر)
- عبد الله بن نجم بن شاس : 26
- عبد الله بن يس : 125
- عبد الله بن يوسف الزيلعي : 148
- عبد الواحد الحفصي : 82
- عبيد الله بن الحباب : 160
- عثمان بن الحسن أبو عمرو : 22
- عثمان بن عبد الحق : 80
- عثمان بن عفان : 103
- عثمان بن فوري : 214
- عثمان بن الناصر صلاح الدين : 25
- عجيب بن عبد الله جماع : 164
- عرب فقيه : 208
- عروج : 82
- عز الدين أيبك التركماني : 28
- عز الدين إيدمر : 30 ، 32 ، 35
- العزيز بالله الفاطمي : 15 ، 16 ، 45 ، 48
- العشماوي : 68
- عشيب : 210
- عقبة بن نافع الفهري : 104 ، 107 ، 125
- علاء الدين أقبغا بن عبد الواحد (الأمير): 35
- علاء الدين طيبرس الخازندار : 34
- علي بن بري : 129
- علي بن حسن بن علي : 100
- علي ولد عشيب : 196
- علي بن عمر (السلطان) : 203
- عماد الدين زنكي : 19
- عمار بن عبد الحفيظ : 164
- عمارة دونقس : 93 ، 94
- عمر الأول (السلطان) : 101
- عمر التكروري : 214
- عمر بن الحسن أبو الخطاب : 22
- عمر ولشمع : 95
- عمرو بن العاص : 14 ، 25 ، 47 ، 103 ، 106
- العيني : 31

(غ)

- الغزالي : 57
- الغزنوي : 26
- الغماري أحمد بن عيسى بن عبد الرحمن (ت 682 هـ) : 62 ، 147

(ف)

- فاطمة بنت جابر : 190
- فاطمة الزهراء : 15 ، 16
- فاطمة بنت محمد (مؤسسة جامع القرويين): 160
- فخر الدين أبو محمد عثمان بن علي الزيلعي: 118 ، 148 ، 150

(ق)

- القاضي عياض : 68 ، 123
- قايتباي المحمودي (السلطان) : 29 ، 138

- القزويني : 163
- القسطلاني : 68 ، 163
- القشيري : 56
- القلقشندي : 61 ، 172
- قنبر بن عبد الله العجمي الشيرازي : 57
- قنصوة الغوري : 29 ، 33
- قنفذ أحمد بن حسين بن الخطيب : 161

(ك)

- الكامل (الملك) : 25
- كرنبس (ملك النوبة) : 91
- كنز الدولة بن شجاع الدين نصر : 91

(م)

- ماري جاطة : 84
- مالك بن أنس : 58 ، 68 ، 117 ، 120 ، 130
- المای إدريس بن عائشة : 88
- المای بولو : 87 ، 110 ، 197
- المای دونمة بن أوم : 87
- المای دونمة بن سالما بن بكر : 87
- المای علي بن إدريس : 88
- المای عمر بن إدريس : 88
- مجد الدين أبو الأشبال (الوزير) : 25
- محمد بن أبي بكر الدماميني (ت 828 هـ): 62
- محمد بن أبي الفتوح : 35
- محمد أبو عبد الله : 96
- محمد بن إسماعيل البخاري : 58 ، 68 ، 118
- محمد البدوي : 165
- محمد الثاني بن أحمد : 101
- محمد خطيب سيم : 208
- محمد راجل القصير العركى : 114
- محمد شاكر : 130 ، 166
- محمد صالح اشاركو : 203
- محمد بن عبد الحق : 80
- محمد بن عبد الرحمن بن عيسى (ت 853هـ) : 58
- محمد بن عبد الرحمن المحب الحسينى : 36
- محمد بن عبد الله بن حمد : 130
- محمد بن عبد الله الخرشي (شيخ الأزهر): 38
- محمد عبده : 39 ، 130
- محمد بن عبيد الله المهدي : 13
- محمد عليش : 190
- محمد بن عيسى (سوار الذهب) : 165
- محمد الفاسي : 62
- محمد بن قرم الكيماني : 165
- محمد بن قلاوون الناصر : 35 ، 91 ، 200
- محمد بن ماني : 110 ، 197
- محمد مصري القناوى : 164
- محمد بن المضوى : 129 ، 165
- محمد المهدي (شيخ الأزهر) : 39
- محمد الونكري : 117
- محمود بن عمر الصنهاجى : 148
- محمود قصير العركي : 94، 110، 128 ، 129
- مرعي (الشيخ) : 68

- المسبحي : 49
- المستنصر بالله : 16 ، 90
- مصطفى العروسي (شيخ الأزهر) : 38
- مصطفى المراغي (شيخ الأزهر) : 40
- معاوية بن حديج : 104
- المعز لدين الله الفاطمي : 13 ، 14 ، 15
- المغيلي : 176
- المقريزي : 7 ، 31 ، 137
- مكي النحوي الرباطابي : 130
- منسا موسى : 84 ، 85 ، 116 ، 121 ، 171 ، 182 ، 200
- منسا ولي : 84
- المنصور بن عز الدين أيبك : 28
- المنصور قلاوون : 90
- المهدي بن تومرت : 82
- مهنا بن علي البذاري : 61
- موسى بن العادل أبو بكر (الملك) : 25
- موسى بن نصير : 104

(ن)

- ناصر الدين اللقاني : 190
- نجم الدين أيوب : 28
- نجم الدين الخبوشاني : 21
- نجم الدين محمد بن حسين : 32
- النسفي : 67
- نظام الملك (الوزير) : 21
- نور الدين محمود : 19 ، 20
- النووي : 68
- النويري : 61

(و)

- وجيه الدين بن عبد الوهاب البهنسي : 25

(ى)

- يا جيبا صيون : 95
- يحي بن عبد المعطي بن عبد النور : 25
- يعقوب بن عبد الحق أبو يوسف : 80 ، 123
- يعقوب بن كلس : 45 ، 48 ، 49
- يوسف الزرقاني : 164

2 - فهرس الأماكن والبلدان والجبال والأنهار

(أ)

- ادفو : 164
- ارتريا : 157
- استجة (معركة) : 80
- أسوان : 89 ، 90 ، 91
- اشبيلية : 80
- أطلس (جبال) : 105
- أفريقيا : 7 ، 8 ، 9 ، 36 ، 83 ، 102 ، 107، 108 ، 130 ، 135 ، 152 ، 160، 164 ، 169 ، 184 ، 188 ، 189، 199، 207 ، 214
- أم درمان : 166
- انجلترا : 165
- الأندلس : 80 ، 209
- أوجادين : 95
- أودغشت : 105
- أوربا : 124

(ب)

- بات : 79 ، 101 ، 107
- بجاية : 82
- البجة : 89 ، 108
- البحر الأحمر : 94 ، 208
- البحرين : 107
- براوة : 99 ، 100
- بربر (مدينة) : 164 ، 165
- بربرة : 100
- برقة : 103
- برنو : 79 ، 88 ، 108 ، 110 ، 112
- بغداد : 21 ، 29 ، 162
- بنبى (عاصمة مالي) : 84

(ت)

- تامسنا : 125
- تشاد : 86 ، 88 ، 135 ، 136 ، 139
- تفازة : 86
- تكرور (غرب مالي) : 84 ، 139 ، 205
- تكور (رباط) : 125
- تلمسان : 82 ، 84
- تمبكت : 84 ، 85 ، 117 ، 205 ، 211
- تمبو : 106
- تنزانيا : 79
- تونس : 79 ، 82 ، 83 ، 88 ، 92 ، 136، 160 ، 213

(ج)

- جامع أحمد بن طولون : 14 ، 59
- جامع أم درمان : 166
- جامع الإمام الشافعي : 22
- جامع الحاكم : 20
- جامع راشدة : 16
- جامع الزيتونة : 160
- جامع سيدى يحيى : 196
- جامع عمرو بن العاص : 14 ، 21 ، 25 ، 47 ، 59
- جامع القاهرة (الأزهر) : 14 ، 15
- جامع القرويين : 160 ، 161

- جامع القلعة : 59
- جبال البرنو : 84
- جبال فوتا جالون : 84
- جبرت : 95
- الجزائر : 79 ، 136
- الجزيرة : 165
- جنى : 85 ، 105
- جو : 84 ، 85 (جاو)
- جومبي : 88
- جيبوتي : 157
- جيمي (عاصمة تشاد) : 86

(ح)

- الحبشة : 95 ، 96 ، 97 ، 98 ، 108 ، 124 ، 207 ، 208 ، 209 ، 213
- الحجاز : 13 ، 107 ، 121 ، 136 ، 162

(خ)

- خانقاه سعيد السعداء : 24
- الخانقاه الصلاحية : 24
- الخانقاه الطقردمزية : 150

(د)

- دار الحكمة : 16 ، 51
- دارفور : 92 ، 93 ، 139 ، 174 ، 179 ، 197 ، 199 ، 202 ، 203
- درب الأربعين : 92 ، 135
- دفار : 129
- الدولة العثمانية : 37

(ر)

- رأس دلجارو : 101
- رأس غور دافوي : 95
- رواق ابن يعمر : 139
- رواق الأتراك : 37 ، 72 ، 139
- رواق البحيرة : 72
- رواق البرابرة : 65 ، 72 ، 138 ، 139
- رواق البرنو (ية) : 65 ، 89 ، 138 ، 139
- رواق الجبرتية : 65 ، 98 ، 138 ، 139 ، 150
- رواق الدكارنة (التكارنة) : 65 ، 72 ، 85 ، 138 ، 139
- رواق دكارنة صليح : 66 ، 138 ، 139
- رواق الزيالعة : 72
- رواق السليمانية : 37 ، 72 ، 139
- رواق السنارية : 94
- رواق الشراقوة : 72 ، 140
- رواق الصعايدة : 72 ، 140
- رواق صليح : 72
- رواق الغربية : 72
- رواق الفشنية : 72
- رواق الفور : 93
- رواق الفيمة (أهل الفيوم) : 72
- رواق المغاربة : 65 ، 72 ، 138 ، 139

(ز)

- الزاوية الصاحبية : 59

- الزاوية المجدية : 25
- زيلع (ميناء) : 97

(س)

- سبتة : 80 ، 209
- سفالة : 100 ، 101
- سلا : 124
- سنار : 94 ، 139 ، 164 ، 165 ، 214
- السنغال : 84 ، 125 ، 136
- السنغال (نهر) : 84 ، 136
- سنكرى : 123 ، 196
- السودان : 91 ، 93 ، 94 ، 105 ، 106 ، 108 ، 109 ، 110 ، 114 ، 124 ، 127 ، 130 ، 135 ، 164 ، 165 ، 166
- السودان الأوسط : 86
- السوس : 172
- السوس الأدنى : 104
- سويقة أمير الجيوش : 23
- سيدي شكِر (رباط) : 125

(ش)

- الشام : 19
- الشايقية : 129
- شرق أفريقيا : 157 ، 200 ، 202
- شريش : 80
- الشلال : 94
- شمال أفريقيا : 147 ، 156 ، 160 ، 161 ، 205 ، 209
- شيراز : 100

(ص)

- الصحراء الغربية : 135
- صنغي (صنغاي) : 79 ، 84 ، 85 ، 86 ، 106 ، 177 ، 183 ، 197 ، 202 ، 205 ، 210
- صنهاجة : 105
- صوصو (إقليم جنوب شرق مالي) : 84
- الصومال : 79 ، 99 ، 102 ، 157

(ط)

- طنجة : 104

(ع)

- عمان : 101 ، 107
- عيذاب : 89 ، 91

(غ)

- غانا (غانة) : 84 ، 105
- غرب أفريقيا : 155 ، 176 ، 179 ، 182 ، 184 ، 196 ، 198 ، 201 ، 202 ، 210

(ف)

- فاس : 8 ، 123 ، 156 ، 160
- فترى (بحيرة) : 88
- فزان : 87
- الفسطاط : 14
- فطجار (نهر) : 208

(ق)

- قابس : 172
- القاهرة : 14 ، 29
- القرافة : 150
- القرافة الصغرى : 27

- قرطبة : 80
- قوص : 89
- القيروان : 104 ، 160
- قيسارية الشرب : 24

(ك)

- الكانم : 79 ، 108 ، 110
- كردفان : 94
- كسمايو : 99
- كلوة : 79 ، 101 ، 107 ، 182 ، 210
- كنكا : 106
- كورتي : 129
- كوكو (شرق مالي) : 84 ، 180
- الكوة : 129
- كيرمبا (جزيرة) : 101
- كينيا : 79

(ل)

- ليبيا : 87 ، 136 ، 214

(م)

- مالي : 79 ، 83 ، 84 ، 85 ، 86 ، 157 ، 171 ، 173 ، 183 ، 206 ، 210
- مئذنة السلطان الغوري : 33
- المحيط الأطلنطي : 84
- المخيرف : 164
- مدرسة ابن رشيق : 87
- مدرسة ابن شاس : 22
- مدرسة الأشرف خليل : 33
- مدرسة الحلفائين : 156
- مدرسة زين التجار : 21
- المدرسة الأقبغاوية : 35 ، 143
- المدرسة الجوهرية : 35
- المدرسة السيوفية : 21
- المدرسة الشريفية : 21
- المدرسة الصفارية : 156
- المدرسة الصلاحية : 22 ، 24 ، 59
- المدرسة الصيرمية : 22
- المدرسة الطيبرسية : 143
- المدرسة العنانية : 156
- المدرسة القمحية : 21
- المدرسة الكاملية : 22
- المدرسة المسرورية : 23
- المدرسة الناصرية : 21
- المدرسة النظامية : 21
- مراكش : 79
- مرتفعات فوتا جالون : 84
- مرج دابق (موقعة) : 29
- مُرة (جبل) : 92
- مريس : 89
- مسجد سنكرى : 196
- مصر : 7 ، 13 ، 19 ، 21 ، 23 ، 25 ، 28 ، 29 ، 32 ، 37 ، 61 ، 81 ، 82 ، 85 ، 86 ، 87 ، 89 ، 90 ، 91 ، 98 ، 100 ، 103 ، 104 ، 116 ، 135 ، 136 ، 140 ، 145 ، 147 ، 149 ، 150 ، 152 ، 158 ، 162 ، 163 ، 164 ، 165 ، 179 ، 212 ، 213
- مصوع (ميناء) : 95
- مضيق باب المندب : 208
- المغرب : 13 ، 79 ، 80 ، 81 ، 82 ، 86 ، 104 ، 105 ، 136 ، 153 ، 160

- المغرب الأوسط : 81
- مقديشو : 79 ، 99 ، 100 ، 107 ، 152، 170 ، 178 ، 180 ، 182 ، 196 ، 200 ، 202 ، 210
- مقرة : 90 ، 107
- مكناسة : 80
- ممبسة : 100 ، 102
- المهدية : 84
- موريتانيا : 139

(ن)

- نجزر جامو (مدينة) : 88
- ندى (شرق سلطنة مالي) : 84
- النوبة : 89 ، 90 ، 91 ، 106 ، 107
- النيجر : 135 ، 136
- النيجر (نهر) : 87 ، 136
- النيل الأبيض : 114 ، 128 ، 129
- النيل الأزرق : 94

(هـ)

- هرر (ميناء) : 97
- هضبة الحبشة : 95

(و)

- وادي النيل : 129 ، 130 ، 214
- ولاتة : 84
- وهران : 82

3 - فهرس الطوائف والقبائل والشعوب والدول

(أ)

- الأتراك : 83 ، 91
- الأحباش : 96 ، 97 ، 158 ، 207 ، 208 ، 209 ، 213
- أرايني (مملكة) : 98
- الأزهريون : 7 ، 8 ، 109 ، 122 ، 207 ، 208 ، 211 ، 212 ، 214
- الإسبان : 80 ، 83 ، 124
- الأغالبة : 160
- الأفارقة : 106 ، 109 ، 111 ، 112 ، 113 ، 114 ، 115 ، 116 ، 117 ، 121 ، 126 ، 135 ، 136 ، 138 ، 145 ، 147 ، 149 ، 150 ، 151 ، 152 ، 154 ، 157 ، 158 ، 162 ، 163 ، 175 ، 179 ، 211
- أقيت (عائلة) : 199
- أوفات (سلطنة) : 95 ، 96 ، 97
- الأيوبيون : 7 ، 8 ، 19 ، 21 ، 23 ، 24 ، 25 ، 26 ، 27 ، 30 ، 53 ، 90

(ب)

- بات (سلطنة) : 101 ، 102
- بالي (إمارة) : 97 ، 98
- البجة (قبائل) : 108
- البربر : 83 ، 104 ، 105
- البرتغاليون : 80 ، 97 ، 100 ، 101 ، 207 ، 208 ، 209 ، 210
- برغواطة (قبائل) : 125
- البرنو : 84 ، 86 ، 88 ، 197
- بنو الأحمر : 80
- بنو أيوب : 25
- بنو توجين : 81
- بنو الحارث : 99
- بنو ربيعة : 89
- بنو العباس : 19 ، 92
- بنو عبد الدار : 95
- بنو عبد الواد : 81
- بنو كنز : 89 ، 90 ، 91
- بنو مرين : 79 ، 80 ، 81 ، 82 ، 156
- بنو نبهان : 101 ، 102
- بنو هلال : 92 ، 105
- بنو ولشمع : 97
- البولاله (قبائل) : 87 ، 88

(ت)

- التتار : 29
- التعايشية (قبائل) : 92
- التكرور : 205
- التنجور : 92

(ج)

- جذام : 86
- الجلا (قبائل) : 96 ، 99
- جهينة : 86

(ح)

- الحاميين : 92

- الحبانية (قبائل) : 92
- الحفصيون : 87
- حمير (قبائل) : 105

(د)

- الداجو : 92
- الدناكل : 99
- دوارو (سلطنة ، إمارة) : 96 ، 98
- الدولة الإخشيدية : 13
- الدولة الأيوبية : 19 ، 20 ، 21 ، 23 ، 52 ، 53 ، 142
- الدولة الحفصية : 79 ، 81 ، 82
- الدولة الزيانية : 79 ، 81 ، 82
- الدولة العباسية : 13 ، 19
- الدولة الفاطمية : 13 ، 14 ، 16 ، 19 ، 20 ، 47 ، 89 ، 90
- الدولة المرينية : 79 ، 80 ، 81
- الدولة المملوكية : 30 ، 37
- الدولة الموحدية : 79 ، 81
- دولة الموحدين : 79 ، 80

(ر)

- ربيعة : 89
- الرزيقات : 92

(ز)

- زناتة : 79 ، 81
- الزنوج : 92
- الزيالعة : 98 ، 207
- الزيديون : 99
- الزيلع (بلاد) : 95 ، 96 ، 98 ، 124 ، 158 ، 178 ، 200 ، 207 ، 208 ، 213

(س)

- السودانيون : 94 ، 164 ، 165 ، 191

(ش)

- الشوا (سلطنة / قبائل) : 86 ، 95 ، 97
- الشيعة الإسماعيلية : 47

(ص)

- الصليبيون : 19
- الصو (قبائل) : 86 ، 88
- الصوفية : 106 ، 112 ، 130 ، 135 ، 159
- الصومال (قبائل) : 96

(ط)

- الطوارق : 105 ، 182 ، 211

(ع)

- العباسيون : 93
- العثمانيون : 29 ، 82 ، 91 ، 100
- عدل (سلطنة) : 97
- العرب : 103 ، 105 ، 115 ، 121

(غ)

- الغور (بلاد) : 92

(ف)

- الفاطميون : 7 ، 8 ، 13 ، 14 ، 16 ، 17 ،

19 ، 21 ، 23 ، 45 ، 47 ، 48 ، 49 ،
89، 90، 142
- الفرس : 100
- فطجار (سلطنة) : 98
- الفلاتا (قبائل) : 112
- الفولاني : 83 ، 85
- الفونج (مملكة) : 93 ، 94 ، 114 ،
115، 128

(ق)

- القادرية : 106
- القواسمة : 93 ، 94

(ك)

- الكانم : 85 ، 86 ، 87 ، 88 ، 197 ،
210
- الكافوري (قبائل) : 86
- الكواهلة : 93
- الكوش الحاميون : 99
- كلوة (مملكة) : 93 ، 94 ، 100
- الكنوز : 91

(م)

- المالكية : 150
- الماندنجو : 83 ، 85
- المرابطون : 105 ، 125
- المسيحيون : 83
- المسيرية : 92
- المصريون : 14 ، 85 ، 137 ، 140 ، 146 ،
147 ، 149 ، 150 ، 151 ، 152 ،
165 ، 191 ، 199
- المغاربة : 109 ، 152
- مغراوة : 81
- المماليك : 7 ، 8 ، 9 ، 23 ، 28 ، 29 ،
30، 31 ، 32 ، 36 ، 52 ، 54 ، 55 ،
64 ، 67 ، 79 ، 81 ، 87 ، 91 ، 96
، 107، 108 ، 129 ، 135 ، 137 ،
138 ، 162 ، 164 ، 190 ، 214
- المماليك البحرية : 28
- المماليك البرجية : 29
- المملكة الزرقاء = الفونج مملكة
- الموسى (مملكة) : 85

(ن)

- النبهانيين : 102
- النبهاوية : 101
- النوبيون : 90

(هـ)

- هدية (إمارة) : 96
- هتانة : 82
- هوارة : 91

(و)

- الوثنيون : 109
- الولوف : 85

4 - فهرس الكتب الواردة في متن الكتاب

(أ)

- الأجرومية : 68
- الأحكام للآمدي : 118
- أخبار قضاة مصر : 49
- أخبار مصر في سنتين : 49
- الأشباه والنظائر : 68
- الإصابة في تمييز الصحابة : 61
- إعراب القرآن الكريم : 49
- إغاثة الأمة : 7
- الاقتصار في الفقه الشيعي : 45، 47
- ألفية ابن مالك : 58، 68، 119
- أم البراهين للسنوسي : 67
- الأنبياء : 49

(ب)

- البدر المنير (تخريج الأحاديث) : 58
- البصائر (فقه مالكي) : 26

(ت)

- تاريخ الخلفاء : 49
- تاريخ الذهبي : 109
- تاريخ السعدي : 117
- تاريخ مدينة القاهرة وخططها : 49
- تبيان الحقائق لما في الكنز من الرقائق : 118
- التحفة (تجويد) : 68
- تفسير الجلالين : 67
- تفسير الرازي : 67
- تفسير النسفي : 67
- التقريب (لأبي شجاع) : 68
- تلخيص المفتاح : 119
- التوضيح مع شرح الشيخ خالد : 68

(ج)

- جمع الجوامع : 68
- الجواهر في أركان الإيمان : 129

(ح)

- الحاشية على أم البراهين الصغرى والكبرى: 129
- حاشية على مختصر خليل : 130
- حرز الأماني ووجه التهاني (قراءات) : 27

(خ)

- الخريدة : 67

(د)

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : 61
- دعائم الإسلام : 47

(ر)

- الرسالة : 114
- الرسالة الوزيرية (ابن كلس) : 45، 47
- رسالة في الفتاوى والأحكام : 130

(س)

- سنن أبي داود : 58

- سنن الترمذي : 58
- سنن النسائي : 58

(ش)

- الشاطبية (تجويد) : 68
- شذور الذهب : 58
- شرح الأصول : 50
- شرح أم البراهين : 129
- شرح البسملة : 164
- شرح البيجوري : 67
- شرح الجمل : 50
- شرح الرسالة : 130
- شرح العشماوية : 68
- شرح ابن عقيل : 68
- الشرح على عقيدة السنوسي الصغرى : 164
- شرح مختصر خليل : 130
- الشفاء : 68 ، 123

(ص)

- صحيح البخاري : 58 ، 68 ، 118
- صحيح مسلم : 58، 68 ، 118 ، 119
- صحيفة الرائد : 191

(ط)

- طوالع الأنوار : 67

(ع)

- العشماوية : 164
- عقود الجمان : 68

(ف)

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري : 61
- الفصول في النحو : 25

(ك)

- الكشاف (تفسير الزمخشري) : 67

(ل)

- اللمحة البدرية (نحو) : 58

(م)

- متن الدليل : 68
- مختصر خليل : 68 ، 114 ، 118 ، 129
- المختصر الكبير : 118
- المفتاح بشرح السعد : 68
- مناقب الإمام الشافعي : 49
- المنهاج (فقه الشافعي) : 58
- موطأ الإمام مالك : 58 ، 68 ، 117

(ن)

- نور الإيضاح (فقه حنفي) : 68

(و)

- الورقات (أصول فقه) : 58 ، 68

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
مقدمة	7
الفصل التمهيدي: (نشأة الأزهر وتطوره)	11
1 – بناء الفاطميين للأزهر	13
2 – الأزهر في العصر الأيوبي	19
3 – الأزهر في العصر المملوكي	28
4 – الأزهر بعد العصر المملوكي	37
5 – التنظيم الإداري للأزهر	38
6 – القوانين المنظمة لعمل الأزهر الشريف	39
الفصل الأول: ملامح الحياة العلمية في الأزهر	43
1 – تحويل الجامع للدراسة في عصر الفاطميين	45
2 – الحياة العلمية في عصر الأيوبيين	53
3 – الحياة العلمية في عصر المماليك	55
4 – الحياة العلمية بعد عصر المماليك	67
الفصل الثاني: الدور الديني للأزهر في أفريقيا.....	77
1 – أهم الممالك الأفريقية التي ظهر فيها دور الأزهر الديني	79
2 – دور الأزهر الديني في الممالك الإسلامية	103
3 – تصحيح المفاهيم الدينية وإرساء قواعد الدين السليمة	111
4 – إرسال الكتب الدينية والمصاحف الشريفة لبلدان القارة	116
5 – تأهيل القضاة وعلماء الدين الأفارقة	120
6 – المساهمة في إنشاء العمائر الدينية	122

7 – الدور الديني للأزهر بعد عصر المماليك 129
الفصل الثالث : الدور العلمي والتعليمي للأزهر في أفريقيا 133
1 – استقبال الدارسين من طلبة العلم والعلماء الأفارقة 135
2 – إنشاء الأروقة اللازمة لإقامة الطلاب الأفارقة بالمجان 138
3 – الأوقاف التي كانت تُخصَّص للإنفاق على الطلبة 141
4 – العلوم التي كان الأفارقة يدرسونها في مصر 145
5 – تأثير الطلبة الأفارقة وتأثُّرهم بالحياة المصرية 149
6 – إرسال بعض علماء الأزهر إلى أنحاء القارة 152
7 – المساهمة في إنشاء العمائر التعليمية 153
8 – الحفاظ على الهوية العربية والثقافة الإسلامية 157
9– بروز دور الجامع الأزهر الشريف عن نظائره من الجوامع الأخرى في القارة 160
01 – الدور العلمي والتعليمي للأزهر بعد عصر المماليك 164
الفصل الرابع : الدور الاجتماعي لعلماء الأزهر في أفريقيا 167
1– المشاركة في الاحتفالات الدينية 169
2 – المساهمة في مقاومة البدع والخرافات والأمراض الاجتماعية 172
3 – المساهمة في تطوير أساليب الحياة اليومية 178
4 – علاقة العلماء الأزهريين بالطبقات الاجتماعية الأفريقية 184
5 – الدور الاجتماعي للأزهر بعد عصر المماليك 190
الفصل الخامس : الدور السياسي لعلماء الأزهر في أفريقيا 193
1 – موقع العلماء الأزهريين من السلطة والحكم في بلدان القارة المسلمة .. 195
2 – علاقة العلماء الأزهريين بالحكام والسلاطين 199

3 – دور العلماء الأزهريين في العلاقة بين الحكام والمحكومين 204
4 – دور العلماء الأزهريين في الحروب والقضاء على الفتن 207
5 – دور العلماء الأزهريين في العلاقات الخارجية 212
6 – الدور السياسي للأزهر في أفريقيا بعد عصر المماليك 214
قائمة بأهم المصادر والمراجع 215
الملاحق 227
أولاً : الخرائط 229
ثانياً : الوثائق 231
ثالثاً : قائمة بأهم التواريخ في حياة الأزهر الشريف 237
رابعاً : علماء الأزهر الشريف في عصوره الأولى 238
خامساً : كتب الدراسة في الأزهر الشريف 241
سادساً : قائمة بأشهر حكام الدولة الفاطمية 243
سابعاً : قائمة بأسماء سلاطين المماليك البحرية 244
ثامناً : قائمة بأسماء سلاطين المماليك الجراكسة 246
تاسعاً : الصور 248
عاشراً : الفهارس العامة 252
– فهرس الأعلام 252
– فهرس الأماكن والبلدان والجبال والأنهار 259
– فهرس الطوائف والقبائل والشعوب والدول 264
– فهرس الكتب الواردة في متن الكتاب 267
فهرس الكتاب 269